

المكتبة التاريخية

الأسما عيُّون في بلاد الشام
على عصر الحروب الصليبية
٤٩١ - ٦٩١ هـ = ١٠٩٧ - ١٢٩٠ م

دكتور

عبد الحيد عيسى

كلية الآداب جامعة القاهرة بالخرطوم

١٩٨٣ / ١٩٨٤



المكتبة التاريخية

المجلد : ١ - مكتبة الاسكندرية
تم التخصيص في: ١٩٨٣/١٩٨٤
رقم التسجيل : ١٧٦٧

الأسماكيليون في بلاد الشام
على عصر الحروب الصليبية
٤٩١ - ٦٩١ هـ = ١٠٩٧ - ١٢٩٠ م

دكتور:

عبدالحكيم عيسى

كلية الآداب جامعة القاهرة بالخرطوم

١٩٨٣ / ١٩٨٤

محتويات البحث

صفحة

عرض وتحليل

الفصل الاول

نشأة الاسماعيلية وامتداد نشاطهم الى بلاد الشام

نظرة عامة على حالة مصر في عهد المستنصر بالله • الشدة العظمى مدخل هام للحكم الجمالي في مصر • موت المستنصر واثره في انقسام الدعوة • دور الافضل شاهنشاه في ذلك الصراع النزاری المستعمر حول الامام • مقتل نزار • انتصار المستنصر واثره في ظهور الدعوة النزارية في الشرق • الحسن بن الصباح مؤسس النزارية • الدعوة في فارس واصفهان حصن الموت ودوره في نشر الدعوة في المشرق الاسلامي الاسماعيلية اغتيال الافضل شاهنشاه • مناقشة حول اغتياله وموقف الراي العام من ذلك الحادث • الاسماعيلية واغتيال الامر • مناقشة حول اغتياله وموقف الراي العام • راى الباحث في الحادثين • احمد بن عطاءش وقلاع الاسماعيلية في عصره ملكشاه ونظام الملك • علاقة الحسن بن الصباح بنظام الملك وعمر الخيام وموقف نظام الملك من الاسماعيلية • اغتيال نظام الملك مناقشة وراى • حول قضية اغتياله • براءة الاسماعيلية من جريمة قتله • انتقال الدعوة الى بلاد الشام • موقف المستعمر في مصر من النزارية في بلاد الشام •

الفصل الثاني

الاسماعيلية والقوى الاسلامية في بلاد الشام في القرنين
الثاني عشر والثالث عشر

الحالة السياسية في بلاد الشام اواخر عهد المستنصر • السياسي

والدعوة الاسماعيلية في بغداد . الحكم العباسي واثره في نشر
الدعوة في الشام والعراق فشل ثورة البساسيري ومقتله . الاسماعيلية
والسلاجقة . الب ارسلان ونظام الملك والتوسع السلجوقي في بلاد
الشام . موقعة مازكرت واثرها في التفوق السلجوقي على الاسماعيلية
في بلاد الشام . ملكشاه ومحاولته فتح مصر . فشله في ذلك . الصراع
الاسماعيلي السلجوقي حول دمشق وحلب وبيت المقدس . تنش هو سس
دولة سلاجقة الشام . مقتله واثره في تقسيم ملكه . كيف كان سلاجقة
الشام عاملا اساسيا في نشر النفوذ الاسماعيلي . حلب كمركز جديد
وهام للاسماعيلية . القرامطة والاسماعيليون في بلاد الشام . الحسن
بن الصباح واقليم والشام . ابو طاهر الصايغ في بلاد الشام . الحكيم
المنجم ودوره في حلب . الامير رضوان واسماعيليه مصر . اثر الاسماعيلية
في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في حلب . الاغتيالات
اغتيال جناح الدولة واثره . ابو الفتح السوميني . اغتيال خلف
بن ملاعب ونوائجه . موقف اهل حلب من الاسماعيلية . الاسماعيلية
واغتيال مودود . راي حول ذلك . الاسماعيلية اغتيال اق سنقر البرسقي
واسبابه . اسماعيلية حلب التاجر المشرقي الخجندی . ثورة حلب
ضد الاسماعيلية . اغتيال الرئيس ابن بدیع . الاسماعيليون في دمشق
ملفتكين والاسماعيلية . المؤامرات الاسماعيلية حول دمشق بهرام
الاستراباذي واصحاب وادي البتم . ابو الوفاء الاسماعيلي يتولى
قضاء دمشق الاسماعيليون وحسن بانياس . الوزير الزدغانسي
واسباب انضمامه للاسماعيلية . مذبحه دمشق ومحاوله اغتيال تساج
الملوك بوري . الاسماعيليون في بغداد . اغتيال الخليفة المسترشد
اغتيال الراشد . تعاون اسماعيلي عباسي .

الفصل الثالث ===

الاسماعيلية والقوى الصليبية في بلاد الشام
في القرنين الثاني عشر والثالث عشر

صفحة

بلاد الشام بين غزوين • الاسماعيلى من الشرق والصليبي
من الغرب • التوسع الصليبي في بلاد الشام • موقف الاسماعيليه
من الخطر الصليبي • عوامل التحالف بين الاسماعيليه والصليبيين
الخلافة العباسية والخطر الصليبي في الشام • الترحيب بالفسزو
الصليبي في بلاد الشام ومناقشة حول اسباب ذلك • فتح بيت
المقدس وموقف الاسماعيليه من ذلك • الحملات الاسماعيليه على
بلاد الشام وفشلها • استيلاء الصليبيين على مدن الشام الساحلية
ودور الاسماعيليه في ذلك • حصن بانياس واهمية سقوطه في يـ
الصليبيين • شيخ الباطنية على وفاء وتحالفه مع ريموند بواتيه ضد
نور الدين • نور الدين وفتح مصر • الصراع النورى الاسماعيلى
الصليبي حول مصر • تحالف راشد الدين سنان وعمورى ضد نور
الدين • اغتيال رسل المفاوضات الاسماعيليه الصليبيه على
مشارف طرابلس • اتهام راشد الدين سنان بقبول اعتناق المسيحية
ورأى • الاغتيالات • اغتيال ريموند الثانى امير طرابلس • اغتيال
كونراد مونتفرات مناقشة ورأى حول ذلك • صلح الرملة وخضوع -
الاسماعيليه لصالح الدين • الاسماعيليه والاسبتاريه • الاسماعيليه بعد
سنان وعلاقتهم بالصليبيين • اغتيال ريموند الابن الاكبر ليوهنسد
الرابع واثره • العلاقات الاسماعيليه الايوبيه ضد الصليبيين • اغتيال
البرت بطريك بيت المقدس • موقف البابويه من الاسماعيليه نتيجة
لذلك •

الفصل الرابع

انكماش النفوذ الاسماعيلية على عصر سلاطين

المماليك في بلاد الشام

صفحة

حالة بلاد الشام عند قيام دولة المماليك في مصر سنة ١٢٥٠ .
الحشيشية والصليبيون . موقف اسماعيلية الشام من المماليك في
مصر . ظهور التتار . سقوط حصون الاسماعيلية في بلاد فارس
والشام في ايديهم . موقعة عين جالوت واثرها في عودة ظهور نفوذ
الاسماعيلية . تمرد الاسماعيلية ضد الحكم المماليكي في بلاد
الشام . الطاهر بيبرس يستولى على حصون الاسماعيلية . خضوع
الاسماعيلية في بلاد الشام للحكم المماليكي . اثر ذلك في المجتمع
الاسلامي في مصر والشام .

المصادر والمراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

تنسب الاسماعيليه الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهى
احدى فرق الاماميه وتعتبر الموءسس للباطنية والتاويل . ومنها تفرغت
فروعه عديدة .

والمعروف عن الاسماعيليه انهم لعبوا دورا خطيرا على عصر الحروب
الصليبيه فى بلاد الشام . وقد تمثل هذا الدور فى مقاومتهم للمذهب
السنى والعمل على الفتك باهله وزعمائه وقادته من ناحيه ، ثم فى مقاومة
الصليبيين والفتك بزعمائهم من ناحية اخرى .

ولاشك فى ان الدور الذى قام به الاسماعيليون فى بلاد الشام
على عصر الحروب الصليبيه يستحق الدراسة لاستجلاء الحقائق الخاصة
به فى كشف النقاب عن جوانبه الخامضة . وهذا ما استهدفت القيام
به فى بحثى هذا .

وقد ظهر الاسماعيليون على مسرح الاحداث التاريخيه عقب
موت الامام جعفر الصادق عام ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م . اذ التف انصاره
حول حفيده ، محمد بن اسماعيل الذى — كما تنص عقيدتهم —
انتقلت اليه الامامة مباشرة دون ان يكون لعمه موسى بن جعفر اكثر
من دور الامام المستودع .

(ب)

وبموت الامام محمد بن اسماعيل بدأ دور الائمة المستورين .
وهم عبد الله بن محمد الذي اتخذ المستر وسيلة حتى لا يقع تحت
مائلة الخلافة العباسية التي عملت جاهدة على تعقيبهم والفتن بهم .
فكان كثير التنقل بين نهاوند والاهواز وطبرستان . وقد عاصر الخليفين
الرشيد ولعالمون وكان من اهم علاماته المستر . لدرجة انه سمى
جميع دعائه باسمه حتى لا ينكشف امره ولا يعرفه احد . مما كان له اثره
في تعميه الامر على السلطة الحاكمة وكما عبر الداعي عماد الدين ادريس:
فقد كان استتارة كظلمة الليل الشديد وذلك لما غلب الباطل على
الحق ولشدة دولة الظلم من آل عباس وعظم الرب والوسواس . وقد اتخذ
ذلك الامام من المعرة ثم من بعدها سلبه مفر الدعوة ، لتنتشر
منها الى سائر الاقطار الاسلامية . ولا تزال سلميه حتى اليوم هي
المقر الرئيسي لاتباع المذهب الاسماعيلي في القطر السوري من بلاد الشام

ثم تولى امر الدعوة من بعده ابنه احمد الذي ولد في سلميه عام
١٩٨ هـ / ٨١٣ م . فاتخذها فيما بعد مقرا له ومركزا لدعوته التي استعان
فيها بالداعي عبد الله بن ميمون القداح .

امتاز ذلك الامام بانه كان على جانب كبير من العلم والثقافة
فضلا عن دهائه الذي تمثل في تنقلاته المختلفه بين الديلم والكوفة
وغيرها متظاهرا بالاعمال التجارية التي اخفت في حيايتها ما كان يبذله

(ج)

في سبيل نشر الدعوة الاسماعيلية ومبادئها والعمل على تذكيره الافكار
الاسماعيلية لتقويض دعائم واركان الخلافة العباسية .

والمعروف انه عاصر الخليفة المأمون وشارك في تاليب الثوارت ضده
وكان من اساليب اختفائه وستره قضاء الشتاء في سلميه والصيف في
مصياف حيث مات بها عام ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م .

ومن هذا يبدو ان بذور الدعوة القيت في ارض مصيا ف لتؤتسى
ثمرها عندما استولى عليها الاسماعيليون فيما بعد وعلى وجه التحديد
عام ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م .

ثم آلت الدعوة بعد وفاته الى ابته الحسين بن احمد السدي
كان قد ولد في مصيا ف عام ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م ، وانتقل الى سلميه المركز
القديم للدعوة . ويبدو ان رجال هذه الدعوة كانوا على جانب كبير
من الشراء . حيث انهم عملوا في التجارة كوسيلة للعيش من ناحية ،
ولاخفاء حقيقة امرهم ودورهم الطبيعي في الحياة الاجتماعية والسياسية
من ناحية اخرى . يضاف الى ذلك ان اموالا طائلة كانت تحمل اليهم
من كافة الجهات الخاضعة لنفوذ اتباعهم من المريدين ، والرنقساء .
كل ذلك ليتمكنوا من الانفاق السخي على دعوتهم ودعاتهم .

(٢)

وفي ذلك المناخ السياسي المفعم بالكراهية والبغض الشديدين
للسلطة الحاكمة ، كانت الحركات الشيعية تأخذ طريق الجديده ضد
الخلافة العباسية .

فالاثنا عشرية من ناحية والاسماعيلية من ناحية اخرى كل منهما
حاولت جاهدة تقويض عرض الخلافة القائم بكل الوسائل المتلفة ، فضلا
عن كسب اكبر عدد من انصار الدعوة للمهاشمين . ولكن اذا ما استعرضنا
سير الحوادث نجد ان الغلبة كانت للاسماعيلية حيث كان جناحهم —
كما اوضحنا في متن البحث — اكثر نشاطا واوسع طموحا من ابناء عمومته
الاثنا عشرية . وكانت غيبة الامام الاثنا عشرى من اهم العوامل الرئيسية
التي ساعدت على انضمام معظم دعائهم الى الدعوة الاسماعيلية .

فمثلا نجد الداعي ابا القاسم حسن بن فرج بن حوشب " منصور
اليمنى " وعلى بن الفضل ، يلتقيان بالامام الحسين بن احمد بالنجف
الاشرف . فيؤثر فيهما بدعوته . فينفذان عنهما غبار الاثنا عشرية ليلتحقا
بلحاف الاسماعيلية . ومن سلميه حيث تاسست مدرسة الاسماعيلية
الكبرى خرج اكبر دعائهم ابو عبد الله الشيعى المؤسس الاول للدولة
الاسماعيلية في بلاد المغرب .

وفي ذلك الوقت لم يأل ابو القاسم وزميله جهدا في نشر الدعوة فى
بلاد اليمن . ويحدثنا صاحب كتاب ظاية الامانى ان الدعوة فشلت فى

(هـ)

البلاد وظهر امرها • وكان ان ابتنى ابو القاسم حصنا بجبل لاعمه
وجيش الجيوش وانفتح الكثير من مدن اليمن وملك صنعاء • كما ارسل
دعائه الى اليمامة والبحرين وبلاد السند والهند ونواحي مصر والمغرب

وتعتبر حركة منصور اليمن هذه اول حركة اسماعيلية ناجحة •
بل انها تمثل اول دولة اسماعيلية ظهرت في التاريخ وقامت باسم
الامام الاسماعيلي المنتظر •

ثم ياتي دور المغرب الذي ساعدت بداوة اهله وفطرتهم على
التمكين للدعوة • الامر الذي مكن دعاة الاسماعيلية من تثبيت اقدامهم
ونشر دعوتهم في تلك البلاد بيسر وسهولة • يضاف الى ذلك اهمال
الخارفة العباسية لشئون تلك الاقاليم لبعدها • وما اوجد ارضا صالحة
نبت فيها بذور الاسماعيلية التي القى بها الداعيان ابو سفيان والحلواني
من قبل ليحرثها فيما بعد الداعي ابو عبد الله الشيعي ولتنتبت شجرتها
فتظل بلاد المغرب ومصر والشام وبقاع كثيرة من الشرق الاسلامي فضلا
عن بعض جزر بحر الروم (الابيض المتوسط) •

وجاء بعد ذلك دور مصر التي عزيت من قبل حركات العلويين
واحتضنت بعض فوارها • وكانت ملجأً للعالمين وامينا للمهاجرين من سطوة
الامويين ثم العباسيين من بعد • لتصبح دار خزانة ومقر الخليفة اسماعيلي
بعد ان كانت ولاية من ولايات الدولة الاسلامية ومصر من امصارها •

(٤)

ومن مصر خرج الاسماعيليون الى بلاد الشام على عهد جعفر بن فـسـلـاح
وجوهر القائد ليبحثوا مبادئهم التي ساعدت ابن الصباح فيما بعد على
ان يبعث بركائزه التي رغم وقفت عليها دعائم دعوته النزاريه . والـسـتـى
عملت جاهدته مع شقيقتها المستعلوية رغم تبانيهما واختلافهما - على
استخلاص بلاد الشام ما امكنهما ذلك من يد اصحابها السلاجقة او -
العباسيين .

وتتدرج الدعوة الاسماعيلية في سبع مراتب بنيت كل منها على
الـاخرى وقد عرضها الغزالي - وهو اول من تصدى لدعوتهم - بالنقصد
والتفنيد على الوجه التالي :

١ - التأسيس :

وهو ان يعمل الداعي على ان تضمن نفس المدعو اليه .
فيأتيه من زاويته الدينية او المذهبية . فيحدثه بشيء من الكلام
الرقيق واضراف من المواعظ اللطيفة الآخذة بمجامع القلوب .

٢ - التشكيك :

ويقوم على تغيير اعتقاد المستجيب بان يزلزل عقيدته فيما هو
مصمم عليه او موقن له . كأن يلقي عليه اسئلة من تفسير بعض
الآيات القرآنية الكريمة والاحكام الدينية المختلفة .

٣ - التعليق :

وهو أن يتركه معلقا فيما القى عليه من الاسئلة • وهنا يتعين على الداعى ان يسهل على المدعو الامر ويعضمه •

٤ - الربط :

وهو ان يربط - المدعو - لسانه بايمان مغلفة • وعمود مؤكده لا يجسر معها على المخالفة لها باى حال من الاحوال •

٥ - التدليس :

وهو عدم السماح ببث الاسرار الى المدعو دفعه واحده ولكن على الداعى ان يتدرج به الى سبع مراتب اخرى جانبية تدخل كلها تحت ذلك البند •

٦ - التلبيس :

هو ان يوا - ثه على مقدمات يتسلمها منه مقبولة للظاهر مشهورة عند الناس ذائعة • ويرسخ ذلك فى نفسه مدة • ثم يستدرجه منها بنتائج باصله •

٧ - الخلع والسلخ :

وهما متفقان • وانما يفترقان فى ان الخلع يختص بالعمل • فاذا افضوا بالمستجيب الى ترك حدود الشرع وتكاليفه يقولون : وصلت السى درجة الخلع • اما السلخ فيختص بالاعتقاد الذى هو خلع الدين •

(ج)

فاذا انتزعوا ذلك من قلبه دعوا ذلك سلخا • وقد سماهـــــــــــــــــا
الغزالي " بالبلاغ الاكبر " •

ويبدو ان الاسماعيلية اظهروا مهارة كبيرة في اختيار اتباعهم •
ويفهم مما ذكره الديلمي انهم لم يقتدروا في دعوتهم على المسلمين فحسب
بل انهم استجلبوا اليها الكثيرين من اليهود والنصارى ، بل مســـــــــــــــــن
المجوس ، ايضا •

لكن هذا الراى في الواقع يحمل تحاملا خطيرا على الاسماعيلية
لان مبدأ الدعوة قائم على اساس احثيه الامام على بن ابي طالب وشيعته •
من بعده في امامته دون غيرهم من المهاجرين والانصار ، ولذلك
اقتصر خلافهم على رضخهم الاعتراف بخلافة كل من ابي بكر وعمر وعثمان
ثم الامويين والعباسيين من بعدهم •

هذا الى ان الدعوة الاسماعيلية قامت على اكتاف المسلمين الشيعة
وحد هم مع اختلاف امصارهم دون غيرهم من ابناء الملوك الاخرى •
ولذلك لا مجال هنا الى ان نزج بهم في هذا المضمار الذي اراده لهم
كثير من المؤرخين غير المنصفين •

وحسبنا ان الملطى ، وهو اول من اماط اللثام عن كنه الدعوة ،
الاسماعيلية يصفهم بانهم " يصلون الخمس ويظهرون التمسك والتهجد
والورع ولهم سجادات ويدفعون زكاتهم وصدقاتهم الى ائمتهم ويتحنثون

(ط)

بالحناء وينوحون على الحسين عليه السلام • واعتقادهم العدل والتوحيد •

كما انه لم يؤثر عن الاسماعيليين انهم استمدوا عوناً من غير المسلمين باستثناء ما حدث ابان الحروب الصليبية • وهذا الامر فرضته عوامل سياسية بحتة •

ويجد ربنا ان نذكر انهم ركزوا دعوتهم — كما اوضح ابن ابيك على اسباب عدة • ا ميا اعراض الناس عن ائمة نصبوا لهم وافيموا حافظين لشرائعهم يوءدونها على حقائقها ويحفظون عليهم معانيها —
انها • كما انهم اوهموهم بان " الدين صعب مستصعب وامر ، وعلم خفى غامض ستره في حجته وعلم شانه عن ابتذال الاسرار فهو سر الله عز وجل المكتوم وامره المستور الذي لا يطيق حملـه
مهمض باعبائه وثقله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن استحسن للايمان •

• عامة سريعة عن اصل الاسماعيلية الذين اتخذنا نشاطهم
ضوعاً لبحثنا • وقد قسمت هذا البحث الى ستة فصول •

• من نشأة الاسماعيلية وامتداد نشاطهم الى بلاد الشام •
• حالة مصر على عهد المستنصر • ثم الصراع الفزارى المستعلاوى

(٨)

(ى)

ودور الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالى فى ذلك • كما اوضحنا
جهود الحسن بن الصباح فى اقامة الدعوة النزارية ونشر دعوتهم فى بلاد
فارس واصفهان •

اما الفصل الثانى فعالجت فيه موضوع الاسماعيليه والقوى الاسلاميه
فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر • وفيه ابرزت نشاط
الاسماعيليه فى بلاد الشام وعلاقتهم بالقوى الاسلاميه •

وانتقلت بعد ذلك الى الفصل الثالث وفيه تكلمت عن علاقة
الاسماعيليه بالقوى الصليبيه فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر
والثالث عشر • فاوضحت الدور الذى لعبه الاسماعيلون مع الصليبيين
وكيف ان العلاقة بين الطرفين تقلبت بين الود حيناً والعداء احياناً •
وذلك دون النخرا الى اى اعتبار الا اعتباراتهم الذاتية البحتة والجرى
وراء ما يحقق اهداف دعوتهم •

اما الفصل الرابع فقد خصصناه لبحث انكسار النفوذ الاسماعيلى
على عصر السلاطين المماليك فى بلاد الشام • وذلك بعد انتصارهم فى
عين جالوت عام ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م •

هذا وان كان الاسماعيليون قد استطاعوا فى النهاية ان يكونوا —
اصحاب حظوة عند بعض سلاطين دولة المماليك والناصر محمد بن علاون
بالذات •

(٩)

لم يفت هذا البحث ازاء القضايا التي تعرضنا لها ، مثل قضايا
الاغتيال او رميهم بالكفر او الزندقة والالحاد . او تحليل علاقاتهم بكل
من السنيين والصلبيين موقفا جامدا ، وانما ناقشناها مناقشة علمية
جادة بعيدة كل البعد عن التحيز .

هذا . . . وقد اعتدت في هذا البحث على مصادر عديدة متنوعة .
اختلفت ما بين تاريخه وعقائديه سنية او شيعية اسماعيلية متخصصة
بالذات . رغم ما عانينا من جهد في سبيل الحصول عليها لعدم توافر
معظمها في المكتبات الجامعية او القومية فضلا عن المكتبات العامة .

ومن اهم هذه المصادر في المجال التاريخي : ذيل تاريخ
دمشق لابن القلانسي ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م . وهو من المصادر الاصلية
التي عالجت تاريخ بلاد الشام بصفة عامة ودمشق بصفة خاصة فسي الفترة
من عام ٣٦٣ هـ الى ٥٥٥ هـ . فاستنتاج ان يلقي الضوء على ابتداء انتشار
الدعوة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام بما اوضحه عن مدم الحكسيم
المنجم الى تلك الديار وما كان بينه وبين حليفه رضوان امير حلب
من علاقات قوية لعبت دورا هاما في تثبيت اقدام الاسماعيليين في حلب
فترة طويلة .

على انه رغم كراهية ابن القلانسي الواضحة لهم فانه انصفهم احيانا ،
حيث نفى عنهم تهمة اغتيال الافضل شاهنشاه كذلك اشاد بموقفهم

جنباً الى جنب مع اخوانهم السنيين للدفاع عن دمشق ضد الفسزو
الصليبي عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م . وهذا كله يشهد على واقعيته .

والكامل لابن الاثير ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ، ويعتبر اهم مصادر
التاريخ الاسلامي حتى عام ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م على الاطلاق ، وقد
لعب هذا المصدر دورا هاما في الوقوف على بداية ظهور الاسماعيليه
في بلاد فارس واصفهان . كما انه امدنا بمعلومات تاريخيه واقفيه عن
قلاعهم وتحركاتهم وموقفهم من اهل السنه في تلك البتاع . وان كان
قد لعب دورا هاما مع سلفه ابن الجوزي في تثبيت اتهام الاسماعيليه
باغتيال نظام الملك رغم براءتهم من هذه الجريمه .

على انه يتعين على من يرجع الى ذلك المصدر الهام الا
يقصر قوائمه على ما تحويه عناوين الموضوعات الرئيسيه للكتاب فحسب
بل عليه ان يهتم بما ذكره المؤرخ تحت عدة حوادث ايضا . ذلك
تشكل اهمية كبرى لما جاء فيها من حوادث وقضايا على درجة كبيرة
من الاهمية لم يوردها المؤلف في سني الحوادث .

اما مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ فانه
لا يختلف كثيرا عما جاء في كتاب المنتظم لجدّه ابن الجوزي ت .
٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م . وكثيرا ما اشار هو بنفسه الى ذلك . ويعتبر

كتاب مرآة الزمان هذا من المصادر الأساسية التي تابعت تحركات الاسماعيليه في بلاد الشام . وقد لعب دورا هاما في كشف النقاب عن بعض جوانب قضايا الاغتيالات الاسماعيليه وخاصة قضية اغتيال مسعود في دمشق الامر الذي استنعنا معه تحديد مركز طفتكين في هذه القضية الخبيثه . ويمتاز سبط ابن الجوزي في كتابه هذا بالاعتدال ، فضلا عن التزامه الدقه في عرض موضوعاته .

وزبدة الحلب وسيرة راشد الدين سنان لابن العديم عام ٦٦٠ هـ ١٢٦١ . بالنسبة للاول ، فانه يعتبر من المصادر الأساسية لتاريخ حلب ذلك لما حواه من حقائق تاريخيه على جانب كبير من الاهمية بالنسبة للدور الذي لعبه الاسماعيليون في حلب .

على انه يلاحظ انه على الرغم من كراهية ابن العديم للاسماعيلية فانه انصف راشد الدين سنان بنفيه ما قبل عن دعاوى الوعيتة . حيث أثبتت بطريقة لا تقبل الشك ان راشد الدين سنان نفسه امر بقتل من نادوا بذلك من اتباعه . والفضل ما يشهد به الإعداء .

اما كتابة الثاني وهو سيرة راشد الدين سنان فانه يعتبر من كسل النواحي مصدرا أساسيا لتاريخ احد كبار شيوخ البهائية واول من تزعم الاسماعيليين في بلاد الشام بصورة واضحة وجلييه . وقد حوى حقائق تاريخيه عن راشد الدين سنان لم يسعفنا بها مصدر

(ن)

آخر - باستثناء النذر القليل الذى اوردہ ابن جبير في رحلته عن
اسرة سنان - لذات فان سيرة راشد الدين سنان لابن العديم تعتبر
من اهم الوثائق التاريخية التى اعتمدت عليها في بحثي بالنسبة للدور
الاول من حياة شيخ الجبل الثالث راشد الدين سنان .

ثم كتاب البدايه والنهاية لابن كثير ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م . ويعتبر
ابن كثير من اكثر المؤرخين ونسحا في عرض الاحداث التى تعرض
لها في كتابه . والواقع فانه ساعد كثيرا على القاء الاضواء على بعض
القضايا التى عالجتها في هذا البحث خاصة قضية اغتيال نظام الملك .
كما انه لعب دورا هاما في توضيح العديد من النقاط التاريخية الهامة .
وكان ابن كثير اول من اشار الى اعتناى ملكشاه نفسه لعقيدة الباطنية
وتعاطفه معهم حينما من الدهر .

اما كتاب صبح الاعشى للقلقشندي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م . فتتمثل
اهميته - بالنسبة لبحثي - فيما اثاره حول وقوع خلاف بين الحسن بن
الصباح واستاذہ ابن عطار مما تسبب عنه - حسبما يفهم من قصة
القلقشندي هروب ابن الصباح الى القاهرة . ولقد نأفشنا على ضوء ما جاء
في هذه القصة الدور الذى لعبته السرية او التقية التى انتهجها الاسماعيلون
في تحركات دعائهم . هذا فضلا عن دوره في توضيح بعض جوانب حياتهم
العامه في قلاع الدعوة في بلاد الشام .

(س)

ثم اتعاط الحنفا ، والخطط ، والسلوك للمقريزى سنة ٨٤٥ هـ /
١٤٤١ م . ويعتبر كتاب اتعاط الحنفا وهو او فى ما كتب فى تاريخ
الدولة الاسماعيلية . وقد بدأه بذكر اولاد امير المؤمنين على بن
ابى طالب كرم الله وجهه ، وانتهى فيه الى عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م
لذلك فهو يمثل اهم الموسوعات التاريخية التى عالجت بدقه وامانة
علميه تاريخ دولة من اهم واعظم دول الاسلام الا وهى الدولة
الفاطمية الاسماعيلية فى مصر . حتى غدا كتابه هذا هو المصدر الاصلى
والاساسى لهذه الدولة . وقد كان لكتاب اتعاط الحنفا اهمية خاصة
لبحثى فيما افدته منه عن دور التخاذل السرى الذى لعبته ام الافضل
شاهنشاه فى مدينة القاهرة اثناء نشوب الحرب بين ابنها وبين نزار
فى مدينة الاسكندرية اثر الخلاف الذى دب فى البلاط المستنصرى بسبب
ابعاد نزار وتولية المستعلى . ومن الغريب انها نجحت كل النجاح
فى تادية دورها هذا ، الامر الذى شكل خطورة كبيرة على انصار
نزار فى مدينة القاهرة . وقد فصلنا ذلك كله عند مناقشة هذا الموضوع
فى معالجتنا لقضية الانشقاق الاسماعيلى فى القاهرة . هذا فضلا عن -
معالجته لمشكلة النسب .

اما كتابه الخطط ، فهو يعتبر ثبوتا زائرا باحوال القاهرة واخبارها
وطرن المعيشة بارجائها الراسعة فى العصر الوسطى . على انه يلاحظ
ان المقريزى اهتم فى كتابه هذا بكثير من اخبار الدعوة الاسماعيلية

(ع)

وفصل كثيرا من مبادئها ، وان كان منهجه في ذلك لم يختلف كثيرا عن سلفه النويرى ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م حيث اوضح كل منهما ان الدعسوة الاسماعيليه بنيت على اساس تسع مراتب وذلك عكس ما ذكر الغزالى الذى اوضح انها سبع مراتب فقط . وقد اعتمدنا على الغزالى دون غيره في تفصيل ما سبق توضيحه في هذا الشأن .

على ان كتابه السلوك ، وهو يشكل تاريخا كاملا لدولتي الايوبيين والمماليك في مصر حتى عام ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م . فانه من غير ما شك يحتل بحق مكان الصدارة وسط مؤلفات علم التاريخ في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) . وقد لعب هذا المصدر الهام دورا رئيسيا في الوقوف على حالة الاسماعيليه في بلاد الشام على عهد الظاهر بيبرس ، حيث اوضح بجلاء مراحل تطور العلاقات السياسيه بين الظاهر بيبرس وبينهم حتى تم الاستيلاء على حصونهم في بلاد الشام .

كذلك اعتمدت على كتاب النجوم الزاهرة " لابي المحاسن عام ٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م والذي احتل صاحبه - على حد تعبير استاذنا المرحوم الدكتور محمد مصطفى زياده . مركز الصدارة بين المؤرخين بمصر بعد وفاة المعريزى والعينى ، فانه يعتبر من اهم المصادر التاريخية لمصر والشام في العصور الوسطى . ود امتاز بسهولة اسلوبه وعذوبته

(ف)

مع دقة البحث والاستقصاء ، بعيدا عن الاستطراد الممل . فهو فسى
راى موسوعة تاريخيه شامله ومركزه . فضلا عن ذلك فقد غلب علمسى
صاحبه الذوق الرفين ، فكان من امتع المصادر التى رجعت اليها .
وتتمثل اهميته بالنسبة لبحثى الوقوف على اسباب الخلاف السنى
دب بين الافضل ونزار ، الامر الذى ترتب عليه ووقوع اخطر انشقاق
صفوف الاسماعيليه فى مصر ، فكان بداية النهاية لهذه الدعوة ،
هذا فضلا عن اهمية هذا المصدر فى ازالة الستار عن الاسباب الحقيقية
التي دعت الوزير المزدغانى الى التحالف مع اسماعيليه دمشق فيما بعد
وقد فصلنا ذلك كله فى فصول البحث .

يضاف الى هذا كله كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذانى
الذى يعتبر المصدر الرئيسى لتحركات المفل وسياستهم فى بلاد
فارس واسفهان ثم فى بلاد الشام فيما بعد . هذا فضلا عن كتاب
آل سلجون للبندارى الذى كان له اهمية كبرى حيث يعتبر من المصادر
الاساسية لهذه الفرقة على عهد السلاجقة العظام .

اما فى المجال العقائدى السنى فقد اعتدت فى البحث علمسى
مصادر جاده من اهمها : مقالات الاسماعيليين للاشعرى ٣٣٠هـ / ٩٤١م
وهو من اوائل المصادر التى تحدثت عن البرو الاسلاميه المختلفه
وقد رماهم جميعا بالرفض . فضلا عن ذلك فانه خلط بين الاسماعيليه

(ص)

والقرامطة الامر الذي ترتب عليه الاعتقاد السائد ان الاسماعيلية هم القرامطة او على الاقل ، هم فرع منهم . تم التنبية والرد للملطي سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م . الذي يعتبر من اوائل المؤلفين في شرح احوال الفرق . فلا ريب ان قلنا انه كان المصدر الاساسي للبغدادى ومن جاء بعده فمن تصدوا لهذا الموضوع الخباير . على انه يؤخذ على الملطي انه خلط بين الاسماعيلية وبين الاثنى عشرية

كذلك اعتمدت في بحثي على كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م . ويعتبر البغدادى عمدة المؤلفين في هذا الموضوع ، وان كنا نأخذ عليه اعتقاده ان الباطنية ليست من فرق الاسلام واعتباره انها من فرق المجوس ، فضلا عن وصفه لهم بانهم دهرية زنادقة اميلهم ، حسب تصوره - الى استباحة كل ما يميل اليه بالذبح . وسبب ذلك فيما نعتقد انه ذهب مذهب المؤرخين الذين خلطوا بين عقيدة الباطنية وتعاليم القرامطة .

ثم كتاب المستظهرى للنزالي عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م ، والمعروف في الاوساط العلمية بغضائى الباطنية . وترجع اهمية هذا الكتاب الى معاينة النزالي نفسه للحسن بن الصباح ، فضلا عن ارتباطه الوثيق بالوزير نظام الملك حيث عمل استاذاً في مدرسته النظامية .

والخزالي هو اول واهم من تصدى للدعوة الجديدة في مهدىها .
فقد وقف على توضيح بيان القلبهم والكشف عن السبب الداعى لهم
على نصب دعوتهم .

كذلك يعتبر الخزالي من اوائل فقهاء وعلماء المسلمين الذين
تصدوا لشرح غنائدهم في الاليهات والنبوات والامامه وبيان مذهبهم
في القيامه الميعاد والتكاليف الشرعية . هذا فضلا عن افساده -
لتاويلاتهم التي تنص على ان لكل ظاهر باطنا . والواقع لقد بلغت
شهرة كتابه هذا الاغاي . وان كنا نعتبر انه احد نتاج عصر الاسماعيليين
ان لولا الاسماعيليه ودعوتهم لما كان هناك ما يدعوا الى وضع هذا الكتاب
او مثله من مختلف المؤلفات السنية التي ساعدت من جانب اخر
على ازدهار علم الكلام . وهذا مما يويد راينا في ان الاسماعيليه هم
اصحاب الفضل الاول في ازدهار هذا الفن من علوم المسلمين .

واعتمدت ايضا على كتاب الملل والنحل للشهرستاني عام ٥٤٨ هـ /
١٥٣٣ م . وموضوعه دراسة الاديان والمذاهب والفرق . وهو يعتبر
فريدا في فنه . فمهد دائرة المعارف مختصرة للاديان والمذاهب والفرق
بل للاراء والفلسفه . ولقد نال من الشهرة قدرا عظيما في الاوساط العلمية
الشرقية والغربية على السواء . وقد اختلف المؤرخون في تحقيق تاريخ
مولده . ففي قول انه ولد عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م وفي قول اخر عام

(ر)

٤٦٩هـ / ١٠٧٦ اما وفاته فكانت عام ٥٤٨هـ / ١١٥٣م . وعلى ذلك فيكون معاصر الاصحاب الدعوة الاسماعيلية الجديدة وهم فسي عنفوان شبابهم وشباب دعوتهم ايضا . اشترك كالفزالي في التدريس في المدرسة النخلاية في بغداد والتف حوله كثير من كبار العلماء وفقهائهم وقد شهد له كثير من علماء القوم انه كان من اهل الفلسفة الاسلامية الذين يستشهد برأيهم .

وترجع اهمية هذا الكتاب الى ان صاحبه الفه بعد ان اتمت مكانته العلمية ومكنته سنه من التجربة والتعمق في الامور وحسن الاستنتاج حيث قيل انه الفه بعد سن الاربعين . وقد امتاز الشهرستاني بالاستصاء في البحث والتدقيق في الموضوعات التي تناولها . كذلك امتاز بالاعتدال في احكامه على اهل كل فرقة من الفرق التي تعرض لها . وكما قال هسو عن نفسه " وشوطي على نفسي ان اورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم .

فضلا عن ذلك فقد اعتمدت في بحثي على كتاب بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى . وقد اوضح الديلمى في كتابه هذا بيان مذهب الباطنية وساق الادلة على بطلانه الامر الذي يجعلنا نضيفه الى مجموعة المصادر التي وقفت موقفا عدائيا من اصحاب الدعوة الاسماعيلية . وقد سبق ان ناقشنا بعض آراء الديلمى ازاء التجمعات الجماهيرية في الاسماعيلية . ذلك فضلا عن كتابي الافحام لافئدة الباطنية الطعام ، ومشكاة الانوار الهادية لقواعد الباطنية لشرار ليحيى بن حمزة

العلوى ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م . فقد جاء الكتاب الاول فى سبعة فصول عرفها المؤلف بالافحام . وكلها خاصة بمناقشة عقائدهم فيما يختص بالالهييات والنبوه والامامه والعبادات ، وتاويل بعض ايات القرآن ، الكريم . اما كتابه الثانى فقد وضعه على اساس دحض اباطيلهم مبينا خلال عرضه لموضوعات الكتاب هدف الباطنيه ومقصدهم من تحريفهم الكتاب الكريم وتاويلهم لنصوص الشريعة الاسلاميه على غير مدلولها .

اما فى المجال العقائدى الاسماعيلى . فقد لعبت مصادر القاضى الاسماعيلى ابن جيون عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م . دورا هاما فى فهم جوانب الفقه الاسماعيلى . فبالنسبة لكتاب دعائم الاسلام فانه يعتبر المصدر الاساسى لتشريعاتهم وعقائدهم ، وذلك بسبب انه اول من دون فقه المذهب الاسماعيلى على عهد الخليفه المعز لدين الله ، اول الخلفاء الاسماعيليه فى مصر . اما كتابه المهم فى ادب اتباع الائمة ، فموضوعه الاساسى يتصل بالامامة التى هى اهم عقائد الاسماعيليه . بل هى المحور الذى تدور عليه كل عقائد الشيعة بصفة عامه والاسماعيليه بصفة خاصة ، فلا دين عندهم لمن لا يعتقد امامه الاثمة المنصوص عليهم من اهل بيت الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وهذا مما يؤخذ عليهم فى الاوساط الاسلامية السنية بصفة عامه .

فذلك فى الوقت الذى يعتبر كتابه رسالة افتتاح الدعوه من اوائل المصادر الاسماعيليه التى اقت الاضواء على امرها . ذلك هو انسلاخ الكثيرين عن الدعوه الاثنى عشرية وانضمامهم الى الاسماعيليه بسبب

(تا)

الشكوك التي ساورتهم في قضية غيبة المهدي والمنتظر.

هذا وان اعتبر القاضي ابن حيون هو مصدرهم الرئيسي في الفقه الاسماعيلي ، فان الكرمانى صاحب كتاب راحة العقل يعتبر من ابرز واعق الفلاسفة الدعاة والعلماء الذين انجبتهم الدعوة - الاسماعيلية والذين عنوا عناية خاصة بالاحوال والاحكام . وما لاشك فيه انه كان ملما بالمأما واسعا بالوان العلوم العقلية المختلفة التي تتصل من قريب او بعيد بالنعفائد الاسماعيلية . ويعتبر كتاب راحة العقل من اوسع الرسائل الاسماعيلية الفلسفية . بما تضمنه من اسوار ومشارع وعلوم ومعارف . وقد وضعه مؤلفه في سبعة فصول عرفها بالاسوار . وتدور كلها حول العدد سبعة وهو العدد الذي لعب دورا له اهميته وذوورته في الدعوة الاسماعيلية . هذا فضلا عما تحويه هذه الاسوار من فلسفة عميقة تدور كلها حول العالم العلوى وعلى اساس المفاهيم الاسماعيلية البحتة .

كذلك اعتمدت على كتاب الذخيرة في الحقيقة للداعي الاسماعيلي على بن الوليد علم ٦١٢هـ / ٢١٥م ، اذ يعتبر من اهم المصادر الاسماعيلية التي القت الاضواء على تسلسل الامامة في الاسماعيلية مبتدئا بالامام على بن ابي طالب ، كرم الله وجهه ، دون الاعتراف بامامة موسى الكاظم ومن خلفه من اثمة الاثنى عشرية . وقد ركز تركيزا واضحا

(خ)

على ما عرف عندهم بالعقزل السبعة ومراحلها وتطوراتها فضلاً
عما يحويه من امثلة فلسفية حيه تختص كلها بالحدِيث
فى المبدأ والبعاد واصل الموجودات ونشأتها بقا لفلسفة
العقائد الاسماعيلية .

هذا يضار عن المجالس المستنصرية والسجلات المستنصرية
ومجموعة الوثائق الفاطمية ولكنها لعبت دورا هاما فى اجلاء
كنه الدعوة الاسماعيلية فى مختلف مراحلها . وكما امكننا بمعلومات
غاية فى الاهمية عن طريق نشر الدعوة الاسماعيلية ونظم الفاعليين
فى مصر . وكان لهذه الوثائق اهمية كبرى فى اثبات ان الاسماعيلية
مصر - وعلى عهد الامر بالذات - هم اول من اطلقوا لقب
الحشيشية على اسماعيلية الشام .

يضاف الى هذا ، العديد من المصادر الاخرى الهامة
والمراجع الحديثه التى - لا انكر - انها امتنى بمادة تاريخية
هامه .

وغاية ما ارجوه ان اكون قد وفقت فى اضافة لبنة جديدة فى
لسلسلة الابحاث الاسماعيلية .

(ن)

على ما عرف عندهم بالعقول السبعة ومراحلها وتطوراتها فضلا عما يحويه من امثلة فلسفية حيه تختص كلها بالحديث في المبدأ والميعاد واصل للموجودات ونشأتها ذبنا للفلسفة القائدة الاسماعيلية .

هذا فضلا عن المجالس المستنصرية والسجلات المستنصرية ومجموعة الوثائق الفاطمية وكلها لعبت دورا هاما في اجلاء كنه الدعوة الاسماعيلية في مختلف مراحلها . كما امدتنا بمعلومات غاية في الاهمية عن طرق نشر الدعوة الاسماعيلية ونظام الفاطميين في مصر . وكان لهذه الوثائق اهمية كبرى في اثبات اسماعيليه مصر - وعلى عهد الامر بالذات عندهم اولاً من اطلقوا لقب الحشيشيه على اسماعيليه الشام .

يضاف الى هذا ، العديد من المصادر الاخرى الهامة والمراجع الحديثه وعلى راسها موضوعه الحركة الصليبيه لاستاذنا الجليل الاستاد الدكتور سعيد عب. الفتاح عاشور . وقد لعب هذا المرجع الرئيسى دورا هاما وواضحا في تشكيل مادة البحث بما اضافته من مادة تاريخيه دسمة .

وغاية ما ارجوه ان اكون قد وفقت في اضافة لبنة جديدة في سلسلة الابحاث الاسماعيليه .

(م)

ولا يفوتنى فى ختام هذا التقديم ان اشكر كل من عاوننى بارائه
او افكاره فى سبيل اتمامه . و اخص بالذكر استاذى الكبير الا . تاذ الدكتور
سعيد عبد الفتاح عاشور استاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة القاهرة
الذى تفضل مشكورا فغمرنى بكريم عطافه وصادق معونته . حال اشرافه
على هذا البحث .

والله تعالى ولى التوفيق

القاهرة فى ٢٩ ربيع الاول ١٣٩٥ هـ

١١ ابريل ١٩٧٥ م

عثمان عبد الحميد عبرى

الفصل الاول

الفصل الاول

=====

نشأة الاسماعيلية وامتداد نشاطهم الى

بلاد الشام

مظرة عامه على حاله مصر في عهد المستنصر بالله • الشده العظمى
مدخل هام للحكم الجاهلي في مصر • موت المستنصر واثره في انقسام
الدعوة • دور الافضل شاهنشاه في ذلك الصراع النزاری المستعلوي حول
الامامه • مقتل نزار • انتصار المستعلي واثره في ذلهور الدعوة النزارية
في الشرق • الحسن بن الصباح مؤسس النزاريه • الدعوة في فارس واصفهان
حصن الموت ودوره في نشر الدعوة في المشرق الاسلامي الاسماعيليه
واغتيال الافضل شاهنشاه • مناقشة حول اغتياله وموقف الراي العام
من ذلك الحادث • الاسماعيليه واغتيال الامر • مناقشة حول اغتياله
وموقف الراي العام • راى الباحث في الحادثين • احمد بن عشا وقلع
الاسماعيليه في عصر ملكشاه ونظام الملك • علاقة الحسن بن الصباح
بنظام الملك وعمر الخيام • موقف نظام الملك من الاسماعيليه • اغتيال
نظام الملك مناقشة وراى حول تقضية اغتياله • براءة الاسماعيليه من
جريمة قتله • انتقال الدعوة الى بلاد الشام • موقف المستعلوية في
مصر من النزاريه في بلاد الشام •

المستنصر بالله وانقسام الدعوة :
=====

المدخل الطبيعي للكلام عن نشأة الاسماعيلية هو الاشارة الى
ال خليفة المستنصر بالله الفاطمي وما حققته الدعوة في عهده من انتشار

ثم ما اصابها من انقسام • والخليفة المستنصر هو ابو تميم معد •
الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بامر
الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد اول الخلفاء
بمصر^(١) • ولد في السادس عشر من جمادى الآخرة عام ٤٢٠ هـ الثانى
من يولييه عام ١٠٢٩ م ومبىع بالخلافة بعد موت ابيه الظاهر لاعزاز دين
الله ، يوم الاحد منتصف شعبان عام ٤٢٧ هـ^(٢) • ١٤ يونيو عام ١٠٣٦
م • ولم يتجاوز عمره وقتئذ سبع سنين وسبعة عشر يوما^(٣) • وظل
في الخلافة ستين سنة او اكثر • وكان كما اتفق جمهور مؤرخى العصور
الوسطى اطول الخلفاء عهد^(٤) • فلم تطل مدة احد من الخلفاء
مطلقا اكثر من المستنصر البىدى^(٥) • ولم يدانيه احد في ذلك
من حيث المقارنة مع الفارق - الا خليفة العباسى الناصر لدين الله •
الذى كانت مدة خلافته سبعا واربعين سنة الاشهر^(٦) • وقد

-
- (١) ابوالمحاسن النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١
 - (٢) الذهبى : دول الاسلام ج ١ ص ٢٥٤
 - (٣) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٥٤
 - (٤) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٢
 - (٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٠٦
 - ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٦٢
 - (٦) ابوالفدا : المختصر فى اخبار البشر ج ٣ ص ١٤٢

عبر السيوطي عن ذلك بقوله " لا اعلم ان احدا في الاسلام لا خليفته ولا سلطانا اقام هذه المدة (٢) .

وقد امتد سلطان الاسماعيليين في القسم الاول من عهد المستنصر على بلاد الشام وفلسطين والحجاز وسفليه وشمال افريقيه . وكان يدعى له على كافة منابر البلاد الممتدة من المحيط الاطلسي غربا الى البحر الاحمر شرقا فضلا عن سفليه واليمن والحجاز والموصل (٢) بل لقد دعسى له في بغداد ذاتها حاضرة العباسيين مدة تقرب من عام (٣) . ويعتبر ذلك في الواقع امتدادا لمن سبقوه من خلفاء الاسماعيليين في مصر (٤) . ولا ادل على ذلك من كتاب المعز لدين الله الى الحسن بن احمد القرمطي . فما من جزيرة في الارض ولا اقليم الا لنا فيه حجج ودعاة — يدعون البنا ويذلون علينا ياخذون بيعتنا ويذكرون رجعتنا ويتشبهون علمنا وينذرون باسنا ويبشرون ايامنا بتصاريف اللغات باختلاف الالسن . (٥) .

-
- | | |
|----------------|----------------------------|
| (١) السيوطي | تاريخ الخلفاء ص ٢١٤ . |
| (٢) ابن كثير | انباية والنهاية ج ١٢ ص ١٢١ |
| (٣) ابن الجوزي | المنتظم ج ٨ ص ٢١٠ |
| (٤) ابن اياس | بدائع الزهور ج ١ ص ٥٩ |
| (٥) المقرئزي | اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٩٦ |

ويبدو ان مصر تمتعت في ذلك الدور بقدر وافر من الرخاء ، الامر الذى يشهد عليه الرحالة ناصر خسرو والذى زار البلاد في صفر عام ٤٣٩هـ اغسطس عام ١٠٤٧م . ان وصف ثروة البلاط الاسماعيلى وابهتته وما كانت عليه القاهرة في ذلك الوقت من يسر ورخاء . (١) .

غير ان هذا الرخاء لم يستمر طويلا . ان اخذ نفوذ الاسماعيليين ينكمش رويدا ورويدا بسبب انغلاء الذى عم البلاد (٢) . فانشلت الاداء الحكومية تماما وهجر الناس الارض فتحوّلت الى خراب (٣) . وقد استمر سبع سنين ٤٥٧ هـ - ٤٦٤ هـ - ١٠٦٤ - ١٠٧١م فعم الغلاء مـ وباء شديد فاقام ذلك سبع سنين والنيل يمد وينزل فلا يجد من يزرع (٤) مما ادى الى فساد الحال مع كثرة الموتى (٥) . وكان ذلك الوباء فريداً في نوعه لطول مدته وسوء اثره حتى اطلق عليه اسم " الشدة العظمى " (٦) . الامر الذى اعجز الخليفة عن ضبط الامور في البلاد (٧) . فاضطر الى استدعاء والى عكا بدر الجمالى عام ٤٦٥ / ١٠٧٣ وعهد اليه بالوزارة (٨) . ويتولى

-
- (١) ناصر خسرو الرحلة ٤٦ - ٤٨
 - (٢) د . سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص ٢٢٤
 - (٣) المقرئى الخطط ج ١ ص ٣٥٥
 - (٤) المقرئى الخطط ج ١ ص ٦٣٣
 - (٥) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣١٨
 - (٦) د . سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص ٢٠٤
 - (٧) المقرئى : اغائه الامه ص ٢٤ - ٢٦ سيد امين علي روح الاسلام ج ١ ص ٤٩٢
 - (٨) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ١٣

بدر الجمالى لمقاليد الامور فى البلاد عام ٤٦٦ هـ / ١٠٧٤ م تبسداً
صفحة جديده من صفحات الحكم الاسماعيلى فى مصر وفى بلاد الشام .
فساس الامور احسن سياسته " وكان وصوله اول سعادته المستنصر واخسر
قطوعه (١) .

والذى ساهمنا فى هذا المجال هو الدور الذى لعبه بيت الجمالى
فى النقسام الدعوة الاسماعيليه الى فرقتين : فرقة نزاريه تطاهن فسى
امامه المستعلى وفرقة ترى حقه خلافته (٢) وقد ترتب على تولية بدر
الجمالى لامور الوزارة اضمحلال سلطة الخلافة ونفوذها بظهور نقوذ الوزراء
العظام الذين سيطروا على مقاليد الحكم (٣) . فلم يكن للمستنصر ومن بعده
من الخلفاء سوى الاسم فقط . الا تبلاء وزراءهم على الامور وحجرهم عليهم
وتقسيمهم بالقاب الملوك فكانوا معهم كخلفاء بغداد مع بنى بويه واشباههم (٤)
وقد تولى الوزارة فى اواخر عهد المستنصر بالله بعد ان وفى بدر الجمالى
عام ٤٨٢ / ١٠٩٤ ابنه الافضل (٥) . وتتمثل اهمية الافضل فسى انه

-
- (١) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٠
ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٨٩
(٢) المقرئى الخطط ج ١ ص ٣٥٦
(٣) د . سعيد عاشور "خزينة الدولة الناصبية" ج ١ ص ١٧
(٤) السيوطى حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٠٩
(٥) ابن ابيك الدوادار كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٩

لعب دورا هاما وخطيرا في الانقسام السابق لائارة اليه^(١) . وذلك
انه عندما توفي المستنصر بالله ليلة الخميس الثامن عشر من ذي
الحجة عام ٤٨٧ هـ ٢٩ ديسمبر ٢٠٩٤ بادر الافضل بن امير الجيوش
الى القصر فاجلس ابنه ابا القاسم احمد ٤٨٧ — ٤٩٥ هـ = ١٠٩٤ —
١١٠١ م (لقب المستعلى بالله امير المؤمنين)^(٢) . ثم بعث الى
نزار وعبد الله واسماعيل ابناء المستنصر . فلما جاءوا يستظلمون الخبر
تبين لهم ان الامر قد اسقط في ايديهم وعليهم — كما طلب اليهم الافضل
ان يتقدموا فيقبلوا الارض . المتعالي ولمولانا المستعلى ويبايعوه . فهو
الذي نصر عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده^(٣) . ولما
كان الامر بمثابة مفاجأة لهم فقد امتنعوا عن ذلك بحجة ان والدهم كان
قد وعد كلا منهم بالخلافة^(٤)

اما نزار فهو الابن الاكبر الذي كان وزالده قد ولاه العهد من
بعده^(٥) . حيث كان قد عهد بالامر الى ولده نزار ، فخلعه الافضل
بن بدر الجمالي بعد موت ابيه وامر الناس فبايعوا احمد بن المستنصر
اخاه ولقبه بالمستعلى^(١) . وقد اعلنها صراحة " ولو قطعت ما بايعت
من هو اصغر سنا مني وخط الذي عندى بانى ولي عهده وانى

(١) ابن الاثير . الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٨١
Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. ٨٣

(٢) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٢ — ٣

سيد امين على روح الاسلام ج ١ ص ٤٩٤

(٣) ابن ميسر . تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٥

(٤) المقرئى الخطط ج ١ ص ٤٢٢

(٥) د . سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص ٢٠٨

(٦) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤٨

احضره^(١) . وكان عليه بالطبع ان يفهم ان ذلك كله من عمل الافضل فتعين عليه ان يحدد موقفه من تلك اللعبة . فخرج مسرعا كي يحضر العهد الذي ذكره معنا " عندى الخط من المستنصر بولاية العهد لسى وانا اتيكم به . وخرج لياتيهم بذلك فاستخفى وطلب فلم يوجد الى ان ظهر امره بالاسكندرية وادعى الخلافة^(٢) . فلم يقف الافضل على اثر له حينما بعث اليه يتعجل الامر فأنزعج على حد وصف المقرئى " انزعاجا شديدا^(٣) .

وقد علل كثير من المؤرخين ان سبب حقد الافضل على نزار وكراهته له ، ومحاولة ابعاده عن منصب الخلافة هو تعالى نزار على الافضل وزير ابيه وازدراءه اياه^(٤) . ذلك ان نزار اخرج ذات يوم في حياة ابيه فاذا الافضل ممتدحا طهر جواده وقد دخل من حد ابواب القصر يعرف بباب الذهب ، فصاح به نزار ان " انزل يا ارمنى يا نجس^(٥) . فحقدتها

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١١
الخط ج ١ ص ٢٢٢

(٢) ابن ابيك كنز الدرر ج ٦ ص ٤٤٣ — ٤٤٤

(٣) المقرئى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١١

(٤) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٨٢

(٥) ابن المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٢

الافضل وصار كل منهما بكرة الآخر^(١) . فضلا عن ذلك فان الافضل
كان يعارض نزار ايام ابيه ويستخف به ويضع من حواشيه واسبابه^(٢)

ولكن يبدو ان كراهة نزار الافضل كان مبعثها الحقيقي ازديساد
نفوذهم على عهد ابيه وخشيته ان يظل ذلك النفوذ مستقبلا على حاله
اذا ما تولى هو الامامه من بعده . وبذلك قد تصبح مصر جماليسنة
المدايح كما كانت بغداد برمكيته من قبل^(٣) . وقد صدقت نبوءة نزار
في ذلك . حيث قام الافضل بتنظيمات اداريه ترتيب عليها نفى بنسبى
عبد القوى الذين تولوا وظيفة ممولى الاسماعيليه منذ فجر العهد الاسماعيلى
في مصر^(٤) . فضلا عن سيطرته الكامله على المستعلى " فلم يكن لـه
مع الافضل امر ولا نهى ولا نفوذ كلمة^(٥) . وكذلك الامر من بعده الى
حد ضاق معه ذرع الامر به الامر الذى ادى به الى التخلي عنه .

Defremery: Essai sur l'Hist. des Ism . P . 51

(٢) المقرئى الخطاط ج ١ ص ٢٢٢

(٣) استطاع البرامكة التغلغل في اعماق العباسيين حتى ان الرشيد كان
يقول ليحيى يا ابت ولا بنيه الفضل وجعفر يا اخوتى : ابن خلكان
وفيات الاعيان ١/١٩٧ ، ٥/٢٦٥ - ٢٢٣ .

(٤) المقرئى الخطاط ج ١ ص ٣٩٠

(٥) المقرئى الخطاط ج ١ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

يدلنا على ذلك تطلع امير الجيوش بدر الجمالى نفسه الى محاولة فرض وصايته على المستنصر من قبل . فحينما استدعاه المستنصر لتولى الوزارة بالقاهرة اقبل على الفور فدخلها عشية الاربعا ٢٨ جمادى هـ الاخره عام ٤٦٦ هـ ٣١ يناير عام ١٠٧٤ (١) . فعقد يوم وموله مجلسا عظيما عاما اجتمع فيه - على حد تعبير ابن ابيك - اكثر الناس فاستفتى القارىء (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم - ولقد نصركم الله ببدر) (٢) . فغضب المستنصر لذلك غضبا بالنا حتى انه هدد القارىء معلنا لو اتسم الاية امرت بخرب عنقه (٣) . ولا يبعد ان يكون ذلك من تدبير امير الجيوش نفسه او بعض انصاره في البلاد ولقد تمتع بدر الجمالى باهم المناصب بالدولة على عهد الخليفة المستنصر " فكان وزير السيف والقلم واليه قضاء التقدم على الدعاة وكان يلقب بامير الجيوش (٤) . وطال حكمه احدى وعشرين عاما (٥) .

لذلك لا غرابة في ان يماطل الانضل في موافقته المستنصر على اخذ البيعة لابنه نزار حتى لحظة وفاته . ويذكر التاريخ ان المستنصر كان

(١) المقرئى اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٣١٢

(٢) سورة ال عمران اية ١٢٣

(٣) ابن ابيك كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٩

(٤) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٠

(٥) Huart: Hist. des Arabes. Tome I. P. 348

قد اجلس ابنه ابا المنصور نزار لانه اكبر اولاده وجعل اليه ولاية العهد من بعده^(١) . فلما قربت وفاته اراد ان ياخذ البيعة على رجال دولته فتقاعد له الافضل شاهنشاه ودافع المستنصر من يوم الى يوم حتى مات^(٢) . بسبب انه كان بينه وبين نزار كراهية " وكان في نفس كل منهما مباينة من الآخر^(٣) .

فلما مات المستنصر اجتمع الافضل ٤٨٧ - ٥١٦ هـ = ٢٠٩٤ - ١٢٢٢ م بالامراء وكبار رجال الدولة واثار في نفوسهم الخوف من نزار كما اشار عليهم بتولية اخيه الاصغر ابي القاسم احمد^(٤) . فوافقوا على ذلك فيما عدا محمود بن مصال اللكي^(٥) . احد انصار نزار الذين كان قد وعدهم بمنصب الوزارة والتقدم على الجيش بفلا من الافضل فسي حالة اذا ما آل اليه امر الخلافة^(٦) . ولكن الافضل - بفضل من اجتمع حوله من القواد والامراء وبعطى افراد البلاذ المستنصرى - لم يعبأ وبايع لابي القاسم احمد ولقبه بالمستعلى بالله وكان ذلك بكرة الخميس لاثني عشرة ليلة بنيت من ذى الحجة عام ٤٨٧ هـ ٢٤ ديسمبر عام

- (١) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٨٢
- المقريزى التعاظ الحنفا ج ٣٢ ص ١١
- (٢) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٢
- (٣) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢
- (٤) سبط ابن الجوزى مراة الزمان ج ٨ ص ٢
- (٥) بالضم وتشديد الكاف: نسبه الى لك بلده من نواحى برقه بين الاسكندرية ورابلس الغرب: ابو المحاسن: النجوم الزاهرة حاشية ١ ص ١٤٢ من الجزء الخامس
- (٦) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٢

عام ١٠٩٤ م^(١) . واجلسه على سرير الملك ، او بمعنى آخر سريسر
الخلافة^(٢) . ثم جلس الافضل على دكة الوزارة فحضر قاضي القضاة
على بن نافع وبين الكحال والشهود معه واخذوا البيعة على مقدمى
الدولة ورؤسائها واعيانها^(٣) .

لم يكتف الافضل بذلك . فاخذ له البيعة على بنية افراد الاسرة
وعلى الفور اضدر الافضل بذلك سجداً اقراء على رؤوس القواد الشريف
سنة الملك محمد بن محمد الحسينى الكاتب بدويان الانشاء^(٤) .
ذلك فى الوقت الذى كان نزار قد وصل الى الاسكندرية صحبة اخيه عبد
الله وابن مصال حيث استقبلهم واليها افكين التركى - احد مماليك
بدر الجمالى^(٥) - فبايعه وبايع معه اهل الاسكندرية وعلى راسهم ،
القاضى جلال الدولة بن عمار^(٦) . فخطب الناس ولعن الافضل ولقب

(١) ابن القلانيس : نيل تاريخ دمشق ص ١٢٨
Grousset; Hist. des croisades. vol. I. P. 83

(٢) سرير الخلافة هو كرسى العرش فى لغة العصر الحديث (الباحث) .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢

(٤) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢

(٥) كان من اكابر الغلمان الجيوشه الذين عول عليهم امير الجيوش
على اقامته فى الامر من بعده . فاستحكم الخلاف بينه وبين الافضل
وانتهى الامر بقتله : ابن القلانيس : نيل تاريخ دمشق ص ١٢٨ .

نزار بالمصطفى لدين الله" (١) . ويقال ان ذلك اللقب منحه اياه
اسماعيليه الموت الذين نادوا بامامته فيما بعد (٢) .

تعين على الافضل ان يتابع مسيرته ضد نزار . وهو الذى التف حوله
اكثر من ثلاثين الف فارس وراجل — كما ورد فى كتاب ام المستعلى للسبده
الحره صاحبة اليمن (٣) . فخرج فى عام ٤٨٨ هـ : ١٠٩٦ على رأس جيش
كبير نحو مدينة الاسكندرية حيث دارت بين انصار كل من الفريقين
معركة ضاربة خارج المدينة كانت الكسرة فيها على الافضل (٤) . فرجع
بين معه الى القاهرة (٥) — لكنه كان لابد امن اعاده الكره لقتال نزار .
والا لكانت القاهرة وجهتهم هذه المره ولفشلت كل جهودهم فتصبح اماله
هباءً منثورا . فخطط لحملته المقبله فاستمال الافضل بعض انصار نزار
من العربان بما حمله اليهم من الاموال وما وعدهم به من الاقطاعات وغيرها
ثم خرج ليلتقيا مرة ثانية خارج مدينة الاسكندرية حيث دارت المهزيمه
على نزار وانصاره بسبب من انقض من حوله من العربات يضاف الى
ذلك ان ابن مصال نفسه فر الى بلاد المغرب (٧) . وكان سبب فـراره

- (١) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٨٢
- (٢) ابن ابيك الدوادار كنز الدرر ج ٦ ص ٤٤٤
- (٣) السجلات المستنصرية ص ٢٢٥
- (٤) المقرئى الخطط ج ١ ص ٢٢٢
- (٥) سبط ابن الجوزى مرآة الزمات ج ٨ ص ٢
- (٦) المقرئى اتعاذ الحنفا ج ٣ ص ١٤
- (٧) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٧

فيما يقال انه رأى فيما يرى النائم وكأنه ركب غرسا وسار والافضل يمشى
في ركابه فليل له تفسيراً لهذه الرؤيا . ان الماشى على الارض املك
لها (١) . فبيت في نفسه امرا فهرب من ميدان المعركة .

وبقرار ابن مصال وغيره ضعفت الجبهة النزارية في مدينة الاسكندرية
فطلب كل من نزار واكتين الامان من الافضل فامتهما . ودخل البلد
فتم القبض على نزار ورفيقه اكتين وعلى الغوربعث بهما الى القاهرة
على انه يؤخذ على الافضل عدم وفاءه بامانه لنزار وصاحبه . فقتلا
بالقاهرة شرقتله (٢) . كما قتل من اتباعه في الاسكندرية عدد غير قليل
ويعتبر مقتل نزار في الواقع بداية لنهاية اسماعيلية مصر لتظهر في قلوب
جديد كقوة لها وزنها وخطرها ولكن في مكان بعيد في بلاد
الشرق (٣) .

(١) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٧

(٢) يفهم مما جاء في السجلات المستنصرية ان اكتين حاول الفرار قبل

القبض عليه : السجلات ص ١٦ .

(٣) المقرئى الخط ج ١ ص ٤٢٣

Grouset : Hist . des croisades, Vol. I. P. 145

Ivanow. Studies in early Persian Ism. P. (٤

25 - 26.

والجدير بالذكر ان الافضل لم يتتبع نزار في الاسكندرية فحسب «
بل افتقى اثار انصاره في القاهرة . منا يدل على ان تخطيطا واسعا
وضع للقضاء على حركته نهائيا في مصر . فكانت امه تخرج كل ر يوم فتزوف
وهي متكبرة في لاسواق وتدخل يوم الجمعة الى المساجد فتزور المشاهد
المختلفة والربط تستعلم خبر ولدها ولتقف على اعوانه من اعدائه . فكانت
تخرج في هيئة امرأة عادية تحكى لمن يصادفها من التجار ورجال الدين
وارباب الحرف المختلفة ماساء ابنها — المزعوم بشبيعة الحال — والذي
حملة الافضل غصبا لقنال نزار معلنة في الناس . ولدى في المعسكر مع
الافضل . الله تعالى ياخذ لى منه الحزاء ما فعل خيرا وانا ما انام خوفا
على ابني » (١) . فمن ساء خطه مثل " الفار السيوفى " وعلى بن بابان
الحلبى — وهما من انصار نزار — ذهب معها في لعن الافضل وسببه
تمنيا على الله كسرت راجيا له الهزيمة ، فقد لقي حتفه على باب حانوته
فور انتصار الافضل وعورته الى القاهرة . واما من اسعده الحظ عارضها
في قولها متمنيا النصر للافضل ومن معه ، فكان نصيبه الخير والاسعاد .
امثال ابن سعد الاطفيعى صاحب مسجد ابى طاهر الذى نال من الخير
ما لم ينله احد من قبل (٢) .

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٥ — ١٦

(٢) من تجار القاهرة في ذلك الوقت .

وكيفما كان الامر . فقد ادى مقتل نزار الى انقسام الاسماعيليه الى فرقتين : مستعلوية ونزارية^(١) . فاما انصار المستعلى بالله فقد ساقوا الامامة الى المستعلى بالله ابي القاسم احمد سادس - خفائهم بمصر . وعرفوا فيما بعد بالمستعلوية او اصحاب الدعوة المهدية الفاطمية^(٢) . ويعيش اتباعهم اليوم في غرب الهند وشرق افريقيا حيث نزحوا من بلاد الهند . كذلك يوجد عدد منهم في اليمن ويعيشون في نفس الوقت في مجموعات تعمل في التجارة في اواسط اسيا ويعرفون بالاسماعيليه^(٣) .

اما النزاريه فقد ساقوا الامامة الى نزار^(٤) . واليه تنسب ملوك الاسماعيليه اصحاب الدعوة ارباب قلعة الالموت ومعها من القلاع في بلاد العجم^(٥) . وهم يقولون ان الامامة انتقلت بعد المستنصر الى ابنه نزار بالنص من ابيه دون ابنه المستعلى . ويستندون في ذلك الى ان الحسن بن الصباح حينما جاء الى مصر في خلافة المستنصر بالله استقبله خليفة البلاد على الرحب والسعة فآكرمه وامره بادعاء

(١) القلقشندي صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٦

(٢) ابن واصل مفرج الكروب ج ١ ص ٢٠٩

(٣) Defremery: Essai sur l'Hist. des Ism. P. 57
Ivanow: A Guide to Ism. Lit. P. 7

(٤) ابن فضل الله العمري التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٥٧
Lewis Assassins of Syria. P. 574.

(٥) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦١

الناس الى امامته • فسأله ابن الصباح : من الامام بعدك ؟
فقال المستنصر " ابني نزار " (١) • فعاد ابن الصباح من مصر
الى الشام فالجزيرة وديار بكر فبلاد الروم حتى ادخل خراسان
فعبّر الى ماوراء النهر وهناك في الشرق اخذ يدعو الى امامة المستنصر
وابنه نزار من بعده (٢) • ويقال انهم عرفوا بالصباحية (٣) • الا انهم
لم يشتهروا بذلك حيث لم يستخدم هذا اللقب بعد • واستقر هذا
القب حاليًا في سورية جنبا الى جنب مع النصريه والدروز ويعرفون •
بالاسماعيلية ايضا (٤) • اما من يعيش منهم في ايران وحول خراسان
وكرمان وفي افغانستان وفيعرقون بالاغانيين (٥) • نسبة السني
زعيمهم الاكبر اغاخان ويقتل نزار قلت حدة الخلافات الداخلية
التي عاقت خلافة المستعلى وقد ظن الافضل وسيد • ان الامير
قد استتب لهما في البلاد وان البيعة انتظمت لامير المؤمنين

-
- (١) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٧
(٢) القلقشندی صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٦
(٣) الدهلوی مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٩
(٤) وكان الدرود هم اول من استقر في هذه المنطقة حوالي عام ٤٢٣ هـ •
١٠٣١ م / محمد كرد علي : خطط الشام ١/١ ص ٢٨١

على اجمل القضايا والاسباب ودخل الناس فيها افواجا من كـ
باب يحسن سياسة السيد الاجل الافضل امير الجيوش سيف الاسلام
ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المسلمين (١) .

الا انه في لحظة عتوه جاء الخطر هذه المرة من الشرق حيث
كان يعيش الحسن بن الصباح الذى قاد الحركة المضادة لخلافة
المستعلى ومن بعده في بلاد فارس وخراسان والشام (٢) . والتى كان من
اهم نتائجها ان قامت فرقة اسماعيلية جديدة على مسرح التاريخ عرفت
فيها بعد " بالنزارية او بالدعوة الجديدة (٣) . ولقد دفع الافضل
حياته ثمنا لطموحه . فلم يكدم على حركته هذه بضع سنين قليلة
حتى وثب عليه ثلاثة من الباطنية فاردوه قتلا في رمضان عام ٥١٥ هـ .
ديسمبر عام ١١٢١ م (٤) . وان كان الراى العام في مصر حينذاك قسدا
الصنف تهمة قتله بالخليفة الامر (٥) . حيث يقال ان الامر وافق المأمون
على قتله فرتب له من قتله (٦) .

- (١) السجلات المستنصرية ص ١١٧
(٢) Guyard: Un grand maitre P. 19 - 20
(٣) الشهرستاني الملل والنحل ص ٤٣١
Defremery Essai sur l'Hist. du Ism. P. 71

- (٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٦
(٥) ابن الوردي تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٢٨
سيد اوهر على روح الاسلام ج ١ ص ٤٩٤
(٦) المقرئى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٦٨

ذلك في نفس الوقت الذي يفهم من قول صاحب المراء ان
الباطنية انما استخدموا كوسيلة من جانب الامر والمأمون للخلاص
منه . وكان الامر قد استوزر ابا عبد الله محمد بن قاتك الذي عرف
بابن البطائحي " ف قيل انه هو الذي دبر قتل الفضل وان الذين
قتلوه كانوا من الباطنية (١) . اما ابن الفلانس فانه يلقى ضوءاً من
نوع اخر على هذه القضية . فيقول " ان قتله كان في شوال عام ٥١٥
هـ ثا في عيد الفطر بامر رتب له ودير عليه الى ان امكنت الفرصة منـه
وقد كان على غاية من الاحتراز والتحفظ بانواع السلاح والخدم والغلمان
والعبيد بايديهم السلاح فوثب عليه رجلان ف ضرباه ضربات سقط
منها عن جواده الى الارض وحمل الى داره وبه رمق فمات من يومه
وادعوا ان الباطنية قتله (٢) . ثم اضاف قائلاً : وليس بصحيح (٣)
وقد وصفه المؤرخين بانـه كان حسن الاعتقاد سواس حميد السيرة
موثق العدل كريم الاخلاق صادق الحديث . لم يات الزمان بمثله
ولا حمد التدبير عند فقده (٣) .

وكان الامر قد تولى الخلافة في عهد الفضل وهو طفل لـه
خمس سنين فحجر عليه . (٤) . كذلك يقال انهم صوبوا نفس السهام
نحو الخليفة الامر نفسه ٤٩٥ - ٥٢٤ = ١١٠١ - ١١٣٠ م فاردوه ،

(١) سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ج ٨ ص ١٠٥

(٢) ابن الفلانس ذيل تاريخ دمشق ٥

(٣) ابن الفلانس نفس المصدر والصفحة

(٤) سبط ابن الجوزي مراة الزمان : ج ٨ ص ١٠٥

قتيلا في يوم الثلاثاء الرابع من ذي القعدة عام ٥٢٤ هـ ٩ اكتوبر
عام ١٣٠ م^(١) . وان كان ابن ابيك قد اتهم بنى عم البطائحي بذلك
وقيل ان الذين دبروا في قتله بقية من عترة محمد بن فاتك^(٢) . السدي
كان قد قبض عليه وامر بقتله . وكان قد تولى امر الوزارة اثر مقتـل
الافضل . كما ان ابن خلكان نفسه نفى عن الاساعيلية تهمة قتله^(٣) .
ذلك في الوقت الذي نجد ابن الجوزي يحدد هوية القتلة " فهجم
عليه عشرة غلمان من غلمان الافضل فقتلوه^(٤) . وعلى ذلك يصبح
الاساعيليون ابرياء من تهمة اغتيالهما .

الحسن بن الصباح مؤسس النزارية :

اما مؤسس فرقة الاساعيلية النزاريه فهو الحسن بن علي بن محمد
بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميري . وقد عرفت هذه الفرقة
باسماء ثلاثة . ففي بلاد الشام عرفوا باسم الحشيشيه . ومن كان منهم

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٠

(٢) المقرئى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢٩

(٣) ابن ابيك الدواد اركن الدرر ج ٦ ص ٥٠٥

(٤) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٨٤ - ٣٨٥

بقلمة الموت يقال لهم الباطنية او الملاحدة . اما من كان منهم
بخراسان فيقال لهم التعليمية ، وكلهم اسماعيلية (١) .

ويقال عن الحسن بن الصباح - المؤسس الاول للنزارية - ان
والده كان قد هاجر من اليمن الى بلاد اصفهان (٢) . وان الحسين
نفسه كان قبل اعتناقه لمذهب الاسماعيلية ، اثني عشرى المذهب
الا انه لما سرى الليل في نفوس بعض اتباع المهدي المنتظر لطول -
انتظارهم لظهوره - وبدون جدوى - ذلك في الوقت الذي يشاهدون
فيه عن كتب امام الجناح الاسماعيلى صورة حيه تتحرك لترعى شئون
الدعوة . ولا شك في ان هذا العامل بجانب عوامل البذل السخاء والاغراء
الذي اتسمت به الدعوة الاسماعيلية كان سببا في انضمام الكثير من دعاة
الاثني عشرية وانصارهم الى صفوفهم (٣) . وعلى راس هؤلاء كان الداعى
ابو القاسم حسن بن فرح بن حوشب منصور اليمن ، وعلى بن الفضل .
وهما اصحاب الفضل الاول في نشر الدعوة في بلاد اليمن (٤) . ثم -

(١) سيد امير على روح الاسلام ج ٢ ص ٢٢٢
Ivanow A guide to Ism. Lit. P. 10L

(٢) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٦٨

(٣) ج ١ ص ١٢١ تراث فارس ص ١٢١

(٤) براون تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٢٤٨
Kalami Pit. P. XIX.

(٥) ابن حيون رسالة افتتاح الدعوة ص ٤٦ - ٤٧

بعدهما الداعي ابو عبد الله الشيعي مؤسس دولة المهدي الاسماعيلى
في بلاد المغرب حيث قامت لأول مرة في التاريخ خلافة اسماعيليه
تقف على قدم وصاق مع الخلافة العباسية في بغداد . كان ذلك عام
٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م (١) .

وهكذا تحول الكثيرون الى الاسماعيليه . وكان الحسن بن الصباح
من اوائل المتحولين الى ذلك المذهب المتمثل في امام حى يبرز
قد يصل اليه ويحظى بولاية من تعميق في اصول الدعوة واخلص لهيا
وعمل من اجلها . ويؤثر ان الحسن بن الصباح كان قد اصيب بمسرح
خطير شارب بسببه على الهلاك فنذر ان هو يرى من مضرته ليعتسق
على الفور مذهب الاسماعيليين . وقد صدق التيه فوفى بنذره (٢) . وقد
دفعه الى ذلك كانت هذه الدعوة عند ظهوره رائجه في بلاد فارس
واصفهان . وذلك بفضل جهود الداعي ناصر خسرو (٣) . فتمكن ابن
الصباح من استغلال الفرصه خير استغلال في تدعيم نفوذه وتقوية شان
اتباعه . وكان ذلك في الوقت الذى تصفت الدعوى لاثني عشره في تلك
الاقاليم فيما يعتقد - بالضعف والفتور ، فلم تستطع الصدود امام

(١) د . سعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى ص ١٨٣ - ١٨٤

(٢) Defremery: Essai sur l'Hist. P.65

(٣) Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II. P.109

التيار الاسماعيلي الجارف . فضلا عن ذلك فانه يفهم من كلام ابن
كثير ان اصفهان بالذات كانت حقلا واسعا وخصبا لتنمية الفكر
وتفريخ المذاهب المختلفة بسبب هروب كل اللاجئين من تعسف
الحكم اليها (١) . ويؤيد البنداري في ذلك (٢) .

ويبدو ان الجناح الاسماعيلي كان اكثر نشاطا واعظم طموحا
من بنى عمومته اصحاب الاثنى عشرية وهم اولئك الذين قنعوا ببعض
المناصب الدينية او الدنيوية كإمامة الحج ونقابة الطالبين في بغداد وتحت
ظل الحكم العباسي وهي تلك التي لم ترض غرور الاسماعيلين . وقد
لازمهم ذلك المبدأ حتى في الوقت الذي دهمتهم الاخطار المحدقة
بهم على يد اعدائهم من اهل السنة او من غيرهم من الصليبيين والتتار .

يعتبر عهد الموت جزء لا يتجزأ من تاريخ بلاد الفرس في عصرها
الوسيط سواء من الناحية السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية (٣) . لعل
انه في تصورنا - جزء لا يتجزأ من تاريخ الحركات السياسية والدينية

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٤٩

(٢) البنداري تاريخ آل سلجوق ص ٨٨ - ٩٠

(٣) Iranow: studies in Early Pers. Ism. P.

والاقتصادية التي لعبت ادوارا هامة في التاريخ الاسلامي بصفته خاصة ، والتاريخ العام بصفة عامة ، ولا زال الاسماعيليون يشغلون بال الكثيرين من الباحثين في مختلف اللغات والذين جندوا انفسهم لمثل تلك الموضوعات الهامة التي غيرت كثيرا من مجرى التاريخ الانساني كله .

وكيفما كان الامر فقد ادى انضمام الحسن بن الصباح الى المذهب الاسماعيلي الى تغيير اسلوب حياته كلية مما جعله يتحسس لمذهبهم الجديد (١) . الامر الذي احدث ثورة متعددة الجوانب لا تزال جذوتها مشتعلة حتى اليوم (٢) . ولقد برع الحسن - الذي بدأ حياته كاتباً - للمير عبد الرازق بن بهرام (٣) . في قيادة الدعوة الاسماعيلية فسي بلاد فارس واصفهام في ذلك (٤) . الوقت . مما اثار سخط السنيين عليه وانتباههم له والوقوف منه موقفا مضادا .

ومع انه كان قد تولى بعد ذلك احد المناصب المرموقة فسي البلاط السلجوقي . الا انهم اغتدوا بضعف العراقيل في طريقه حتى طرد من عمله .

(١) د . طه شرف درولة النزارية ص ٤٧

سيد يو تاريخ العرب العمام ص ٢٣٠

(٢) Guyard: Un grand maitre . P. 24

(٣) ابن الجوزي المنتظم ج ١ ص ١٢١

(٤) دونالدولبر تاريخ ايران ص ٢٤٢

على أن طرده من عمله هذا أدى الى تفانيه فيما كان
فيما كان يرنو اليه وهو خدعه امامه وبذبه الجديد • فاثار سلوكه
ازاء الدعوة ورؤساء اودعة الاسماعيلية في خراسات واصفهان •
فما زال بهم او ما زالوا به حتى عملوا على ارساله الى القاهرة (١)
فصار الى مصر وتلقى من دعائهم المذهب وعاد داعيه القسوم وراسا فيهم
وكان ذلك في غضون عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م (٢) • ابان خلافة
المستنصر بالله الاسماعيلي • وقد جاء في ذى تاجر الى المستنصر
بالله وخاطبه بى اقامة الدعوة له بخراسات وبلاد العجم فـ اذـن
له في ذلك فعاد ودعا اليه سرا (٣) •

وقد اشار القلقشندي الى قضية هامة حول اسباب مجي
ابن الصباح الى مصر • فحواها وقرع خلاف بينه وبين شيخ الجبل الاول
احمد بن عطاش • مما اضطره الى الفرار لمصر خوفا من بطشه • وكان
الحسن بن الصباح — كما ذكر القلقشندي — من تلامذة احمد بن عطاش
صاحب قلعة اصفهان والموت (٤) • وكان شهيدا عالما بالتصايف

(١) عمر ابو النصر قلعة الموت ص ٢٤

(٢) ابن الجوزي تبيين ابليس ص ١١٠
المنتظم ج ٩ ص ١٢١

Kalami Pir. P. Xia

Defremery: Essai sur l'Hist. des Ism. P. 66

(٤) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ١٥٤ — ١٥٥

يلاحظ انه وقع تباهين بين المؤرخين العرب والاوربيين حول موعد حضور
ابن الصباح للقاهرة • وقد اوضحنا ما ذكره ابن ميسر في الصفحات التالية
الباحث •

والنجم والسحر . فاتهمه ابن عطاش بالدعوة للفاطيين خلفاء مصر
فخاف وهرب منه الى مصر في خلافة المستنصر فاكرمه وامره بدعاء الناس
الى امامته (١) .

على اننا نرى ان اتهم ابن عطاش لابن الصباح بانه من دعاة
الفاطيين كان نوعا من التقيصه التي اشتهر بها الاسماعيليون انفسهم .
اوربما كان تمويهها من ابن عطاش نفسه على السلطة الحاكمة لاخفاء حقيقته
ولابعاد الشبهات من حوله حتى لايقع هو تحت طائلة الحكم السلجوقي
الذي بدأ يحارب من هم ليسوعلى مذهب الدولة (٢) . خاصة وان
صلاطين السلاجقة لم يعكفوا عن عبث الباطنية بمصالح بلادهم (٣) .
هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ليعطى فكره بهروب ابن الصباح

(١) هذا القول يشير الى قضية هامة اخرى وهي خضوع قلعة المسوت
للاسماعيليين قبل ان تخضع بصفة مباشرة للحسن بن الصباح
عام ٤٨٣ / ١٠٩٠ الامر الذي سهل له الاستيلاء عليها بعد
ذلك (الباحث)

(٢) الفلشندي صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٢

(٣) كانت النقيصه من اهم العوامل التي ادت الى غرض الكثير من
حوادث واسباب التاريخ الاسماعيلي ونواحيه المختلفة سواء في
ذلك العقائدية او السياسية او الاجتماعية او العسكرية والواقع لقد
لعب المؤرخون السنيون دورا هاما في كشف النقاب عن بعض تلك
الحوادث والاسباب ولكن من وجهة نظرهم . الامر الذي يريد من
مشقة الباحثين السنيين في هذا الميدان . وقد لازمتهم التقيصه او
السرية حتى الان (الباحث) .

(٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٥

انه لا يوجد في البلاد دعاء او انصار لاسماعيلية مصر . ذلك اذا علمنا —
على وجه الخصوص — ان ابن عطاش نفسه كان قد تعرض للقتل من قبل
حيث . اخذه السلطان طغرل بك واراد قتله لاجل مذهبه فاطهمس
النوبة ومعنى الى الري وصاحب ابا على النيلسا بوري وكان يتقدمهم
بالري فساخره وجمع رسالة في الدعاء الى هذا المذهب سماها الحقيقة^(١)
وهذا ما يؤيد راينا السابق في شان قرار ابن الصباح الى مصر . فليسك
في الوقت الذي يؤيد فيه كتاب الاسماعيليه انفسهم وغيرهم من المؤرخين
ان وفود ابن الصباح على مصر كان بناء على تعليمات ابن عطاش نفسه
بعد ان لمس فيه تبوغا وتوقفا في اصول المذهب .^(٢)

على اية حال لم يكن ابن الصباح هو اول من زار مصر
من دعاة الاسماعيليه على عهد المستنصر . فقد سبقه اليها الرحالة
والداعية الاسماعيلي الكبير ناصر خسرو والذي لقب به اتباعه . بحجة
خراسان^(٣) . وقد مكث في القاهرة حوالي ثلاث سنوات يتلقى اسرار
العلوم الاسماعيليه^(٤) .

(١) سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٠

(٢) مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيليه ص ١٩٠

(٣) Sykes. A Hist. of Persia Vol. II. P. 109

4) Brawne: A lit. Hist. of Persia. Vol. I. P.

5) ⁴⁰⁰~~401~~ Sykes. A Hist. of Persia Vol. II. P. 136

وكان ان ابقى ابن الصباح في القاهرة حوالى ثمانية عشر شهرا . وقد اختلف المؤرخون فيما اذا كان قد حظى بلقاء المستنصر من عدمه . الا ان كلا من ابن ميسور القلقشندى وكذلك المقرئى قد اكدوا ذلك فعلا . لقد جاء في تاريخ مصر لايمن ميسر " انه فسى هذه السنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٧ م . قدم الحسن بن الصباح رئيس الاسماعيليه الى مصر في رضى التجار واجتمع ابا المستنصر وتكفل له باقامته دعوته في خراسان وبلاد المعجم (١) . ويضيف كل من ابن الاثير والقلقشندى والمقرئى على ذلك ما دار بين ابن الصباح والمستنصر حول امامه نزار حيث ساله ابن الصباح " من امامى بعدك ؟ فقال : المستنصر " ابني نزار (٢) . وفي ذلك تأكيد واضح لاجتماع ابن الصباح شخصا بالخليفة المستنصر بالقاهرة . وعلى اثره رجع ابن الصباح من مصر مارا بالبلاد التى سبق ذكرها فدخل كاشغور وبلاد النهر . وذهب هناك فدعا للمستنصر وبعد " لولده نزار (٣) .

- | | |
|----------------|------------------------|
| (١) ابن ميسر | تاريخ مصر ج ٢ ص ٢٢ |
| (٢) ابن الاثير | الكامل ج ١٣٩ ص ٢٣٧ |
| القلقشندى | صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٧ |
| المقرئى | اتماظ الحنفا ج ٢ ص ٣٢٣ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١١٠ |

يعتبر الحسن بن الصباح في المشرق امتداد الخليفة الاسماعيلى في مصر او في بلاد الشام ، حيث استمد مركزه ذلك من امامه المستنصر بالله مؤيدا ابنه نزار على اثر الانشقاق الاسماعيلى في القاهرة (١) . ومن ثم اخذ على عاتقه مهمة التأسيس لتقوية دعائم الدعوة في تلك الاقاليم التى كانت تخضع في ذلك الحين لنفوذ السلاجقة والى ذلك الذين دخلوا الاسلام من اوسع ابوابه ممثلين كيانه الروحى اخذين على كاهلهم ضرورة الانتصار المذهب السنى تحت راية الخلافة العباسية (٢) . ويقال انهم كاتبوا الخليفة العباسى في ذلك الوقت فاقروهم على ما بهد هم من الممتلكات الجديدة التى خضعت لسلطانهم (٣) .

لذلك كان على الحسن بن الصباح ان يقيم للمجتمع الاسماعيلى الجديد في وسط ذلك العالم السنى وبين اولئك الحكام المتمصبين ضد هم تنظيم جديد يكفل له القيام باعباء الرسالة الملقاه على عاتقه (٤) . ذلك في نفس الوقت الذى كان صدر ابن الصباح مفعما بالحق والكراهة لوزير المستنصر " بدر الجمالى " الذى كان قد دس له هواؤه حتى اجبروه

- (١) ابن واصل مغزى الكروب ج ١ ص ٢٠٨
Sykes: A Hist. of Persia. Vol. III. P. 109
- (٢) سيد امير على روح الاسلام ج ٢ ص ٢٢٨
Huart: Hist. des Arabes Tome I. P. 353
- (٣) د . حسين مؤنس نور الدين ص ٣٥ - ٣٦
Ivanow: Studies in Early pers. Ism. P. 26
- (٤) المقرئى انماظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢٣

على الفرار من القاهرة . وقد اكد المقرئى ذلك باشارته الى وقوع خلاف بينه وبين المستنصر بسبب . ان المستنصر بلغه عنه كلام فاعتقله ثم اطلقه ^(١) . وكان ابن الصباح قبل ذلك وعلى اثر مجيئه الى مصر قد اتصل بالمستنصر واختص به والتزم ان يقيم له الدعوة في بلاد فارس وخراسان وغيرها من بلاد الشرق الاسلامى .

بيد ان تفكيره كان قد هداه لتأسيس دولة اسماعيله فارسيه ^(٢) . ذلك لينتقل اليها الخليفة المستنصر بالله وليتخذها مقرا له بدلا من مصر تلك التى ضاقت بما فيها من الفتن والمنافسه بين اصحاب السلطة ^(٣) فاقام من نفسه قائدا لجيش من الدعاة الذين جابوا البلاد يثبون الدعوة الاسماعيليه . ف جذبوا كثيرا من الجماهير المتعطشه الى العدالة والحريه والحياة الكريمة التى صورها لهم الحسن بن الصباح واتباعه ففسى مجتمع عمت فيه القلاقل نتيجة للخلافات على عرش السلطة ^(٤) .

(١) محمد كرد على مخطط الشام ج ٢ ص ٣

(٢) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص ٦٩

(٣) د . حسين مؤتى نور الدين ص ٥

(٤) Sykes: A Hist of Persia vol. II. P. 109

وكان من عادة الاسماعيليين ان يختاروا لمعيشتهم تلك الاماكن الجبلية البعيدة عن منال الحكام النائية عن عيون اهل المدن والستى اصبحت فيما بعد تشكل مراكز هامه للنشاط الاسماعيلى (١) . لذلك اختاروا لنشاطهم عددا من القلاع الحصينة التى منها وجهوا جيوشهم المتمثلة فى الفدائيين اولئك الذين كانوا يقبلون على تنفيذ كل اوامر قائد القلعه بكل صدق واخلاص . بل باقدام لم يشهد له التاريخ مثيلا (٢) . وقد اصبحت تلك القلاع فيما بعد قوة لا يستهان بها بالرغم من سطوة الامبراطورية السلجوقية صاحبة السلطان المطلق فى بلاد فارس وبالذات بعد ان وقعت الموت فى ايديهم (٣) . والقلعة كما هو معروف حصن على الجبل . وقد اقتضت سمالة المساحة ودواعى الامن فى مدن العصور الوسطى ان يكون لكل مدينة قلعه لحمايتها من المعتدين وللدفاع عنها ضد المغيرين (٤) .

وكانت قلعة الموت ومعناها عش العقاب . اولسان اهل طبرستان ما وجدوا العقاب (٥) . قلعة متبعه على جبل وحولها

(١) Ivanow: Studies in Early Pers. Ism. P.26-27

(٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٢

(٣)

(٤) ميشيل لباد الاسماعيليون بمصياف ص ٧٦ - ٧٧

(٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٠

وهاد . تعين على من يريد نهبها الا يبلغها الا بشق الانفس .
وكانت لقماح صاحب ملكشاه . وكان مستحفظها متديها بمذهب القوم^(١)
كما ان ملكشاه نفسه اتهم بذلك ، وكان السلطان ملك شاه قســد
فسدت عقيدته بسبب معاشرته لبعض الباطنية ثم اتصل من ذلك وراجع
الحق^(٢) . قامت تلك القلعة على مسافة ستة فراسخ من قزوين . وليثبت
حوالي مائة واحد وسبعين سنة من امنح حصون الاسماعيليه^(٣) . وقد
ركز ابن الصباح كل جهده لامتلاكها^(٤) . فاستخدم كمادة الاسماعيليين
في كل عصورهم — عنصر الدعوة في يادى الامر للوصول الى اهدافه . ف جذب
اليه عددا كبيرا من جنود تلك القلعة الذين اعتنقوا مذهبهم فهدوا
له الطريق للاستيلاء عليها بكل سهوله .

واختلفت الروايات حول طريقة استيلاء ابن الصباح على القلعة
القلعة . فراوية يقول ان ابن الصباح لما راي القلعة اثار خياله

-
- (١) ابن الجوزى تلبس ابليس ص ١١٠
(٢) ابن كثير البهزية والنهائية ج ٢ ص ١٤٣
(٣) لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٥٦
(٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٠

وشدت اليها انتباهه . فاختبر اهل تلك الناحية . فأقام عندهم وطسمع
في اغرائهم . فدعاهم في السرواظهر التنزه فتبعه اكثرهم . وكان
صاحب القلعة رجلا من العلويين الذين جلسوا اليه وتركوه به (١)

فلما استقرا رأى ابن الصباح دخل يوما على العلوى بالقلعة وطلب
اليه الخروج منها . فتبسم العلوى وظنه يمزح ولكن ابن الصباح كان
قد بيت النية للاستيلاء عليها فامر اصحابه فاخرجوه الى دامضان واعطاه
ابن الصباح ماله وملك القلعة . (٢)

هكذا . . . بينما نجد رواية اخرى تفيد ان ابن الصباح عندما
تمكن من بث دعوته في صفوف جند القلعة او عزالى دعائه بها ان يوجهوا
اليه دعوة لزيارتهم . وكان على راس هؤلاء الدعاة الداعي الحسين القائى
الذى اتجه بكل جهوده الى حامية القلعة حتى ادخلهم في مذهبه (٣) .
فوجهت اليه الدعوة بين مظاهر الفلج والسرور . فذهب اليه ابن الصباح الى
القلعة اليه متنكرا ومنتحلا اسما بديلا لاسمه متظاهرا امام اهلها من
الذين لم يقفوا على حقيقة امره انه نائب ابن الصباح جاء ليتفقد
احوالهم . فقص فيهم اياما يدرس القلعة دراسة دقيقة ومتعمقة
عليق على معالمها وليفحص جناتها واحوال من بها من الناس (٤) .

(١) ابن خلدون العبرج ٤ ص ٩٤

(٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٠

(٣) د . السيد محمد العزاوى فرقة النزارية ص ١١٤

(٤) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١١٨

فلما وقف على ما كان ييخى أعلن عن حقيقة نفسه فطلب سب من حاكمها ان يسلمها اليه نظير مبلغ من المال يتسلمه من حاكم دافغان وهو اقليم يقع جنوب قزوين^(١) . وكان حاكم دافغان هذا ، اسماعيلي المذهب يات سر با و امر ابن الصباح ويعمل على تحقيق سق مارب اصحابه في البلاد على الرغم من انه كان من عمال السلاجقة . امام ذلك لم يستطع حاكم القلعة بذل اية مقاومة وبأذات عندما تاكسد له ان غا بية جنده اصبحوا من اتباع ابن الصباح كما انهم رهس اشارته . فتنازل عنها وتسلمها ابن الصباح في اليوم السادس من شهر رجب عام ٤٨٣ هـ الرابع من سبتمبر ١٠٩٠ م^(٢) . وقد حدد ايسن الجوزي قيمة مادفعه ابن الصباح لصاحب القلعة " بالفى ومائتى دينار . كما انه ذكر انها كانت اول قلعة تملكها الباطنية في ذلك الاقليم^(٣) . ومن ثم بدأ يعلن منها دعوته لامامة المستنصر . ولقد توفرت هذه القصة الاخير في كتابات الاسماعيليين الذين ارخو الشيوخ الجبل^(٤) .

ومن عجيب المصادفات التي تتبعه اليها مؤرخو الفرس ففى تلك الحقبة ان هذا التاريخ يتفق مع القيمة العددية التي تدل عليها .

- (١) د . محمد كامل طائفة الاسماعيلية ص ٢٠
 (٢) ابن الاثير الكامل Sykes: A Hist . of Persia . Vol. II . P. 109
 Defremery: Essai sur l'Hist. des Ism. P. 69
 (٣) ابن الجوزي المنتظم ج ٩ ص ١٢١
 تليش ابليس ص ١١
 (٤) مصطفى غالب ستان راشد الدين ص ٦٧ — ٦٩

عليها الحروف التي تشكل هذه الكلمة (١) . وبعملية حسابية بسيطة نستطيع ان نقف على ذلك . فاسم القلعة الالهاموت * ويقاس هذه الحروف باعدادها نتبين الاتي :

$$\begin{aligned} & \text{ل} + \text{ه} + \text{أ} + \text{م} + \text{و} + \text{ت} = \text{الهاموت} \\ & ٣٠ + ٥ + ١ + ٤٠ + ٦ + ٤٠٠ = ٤٨٣ \end{aligned}$$

حصن الموت ودوره في نشر الدعوة في المشرق الاسلامي :

وباستيلاء ابن الصباح على قلعة الموت عام ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م أصبحت هي المقر الرئيسي لتنظيم شئون الدعوة الاسماعيليه اهلها تنظيميا جديدا ودقيقا (١) . فكان ذلك على حد التعبير الذهبي . اول ظهور الاسماعيليه (٢) . وربما يقصد اول ظهورها في ثوبها الجديد . ومن الموت اوفد ابن الصباح الدعاء الى جميع البلدان والاقاليم المجاوره . كما انه وجد عنايته الزائدة لتنشئة طبقه جديده من الشباب الاسماعيلى عرفوا بالفداويه " فهو الذى اخرج امرا لسكين وتنفيذ الرجال بمدا لقتل الناس ، ولم يكن ذلك يعرف على هذه القاعدة (٣) . ولم تلبث هذه

-
- (١) براون تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٣٨٩
 (٢) يرجع سبب بناء هذه القلعة الى ان احد ملوك الديلم كان كثير الصيد فارسل عقابا ثم تتبعه فراه يسقط على موضوع القلعه . فوجده - مكانا حصينا فامر على الفور ببناء قلعة الالموت ومعناها عند الديلم تعليم او عش العقاب . النورى نهاية الاربع ج ٢٤ فرقة ٦٢ مخطوط
 (٣) الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ١١

الفرقة ان اصبحت من اقوى العوامل الميزة ذلك العصر^(١) .
وذلك لاقبالهم على اغتيال الملوك والامراء والفقهاء وكبار شخصيات المجتمع^(٢)

فظهروا وقد تحكمت قواعدهم واستوثقت معادهم واخافوا
الصهيل واجالوا على الاكابر الاجل . وكان الواحد منهم يهجم على
كثير وهو يعلم انه يقتل ليقتله غيلة . ولم يجد احد من الملوك فى
حفظ نفسه منهم حيلة فصار الناس فيهم فريقين : منهم من جاهد
بالمداوة والمقارعة ، ومنهم من عاهدهم على المسالمة والمولدة . فمن
عاداهم خاف من فتكهم ومن سالمهم نسب الى شركتهم فى شركهم
وكان النافى منهم على خطر عظيم من الجهتين^(٣) . وترتب على
ذلك ان " افسدوا اخلاق الملة الاسلامية شرقا وغربا وزغزغوا اركان
عقائدهم وساعدوا مد الزمان على تلويث النفوس بالاخلاق الردية
وتجريدتها من الحجايا الكاملة^(٤) .

والواقع ان ابن الصباح واعوانه تمكنوا بواسطة ذلك الجيش
الكبير من الدعاة والفدائى من الاستيلاء على عدة قلاع فى المناطق

-
- (١) براون تاريخ الادبى ايران ج ٢ ص ٣٨٨
(٢) Le Strange : Palestine under the Moslems P. 352
(٣) البعداوى تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٣
(٤) الافغانى الرد على الدهريين ص ٢٤

المجاورة^(١) . فاستولى الاسماعيليون بجانب قلعه الموت على عدد من القلاع والحصون التي كان لها الدور الرئيسي في اطلاق راحة القوم .

كان من اهم تلك القلاع " شاء دز"^(٢) . وهي تقع على جبل اصفهان تناصي السماك وتناظر الاقلاق^(٣) . الا انه بالرغم من ان حاكمها الاسماعيلي يعتبر عندهم انه " شيخ الجبل الاول" وكان يتمتع بمركز له اهميته وخطورته^(٤) - زقد استطاع ان يجمع حوله الوف المستجيبين من اهل اصفهان^(٥) . فانها لم تصمد امام هجمات الجيوش السلجوقية صمود الموت . فسقطت في يد السلطان محمد بن ملكشاه في ذي القعدة عام ٥٠٠ هـ يوليو عام ١٠٧٠ م^(٦)

-
- (١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥١
(٢) ذكرها المقرئى تحت اسم " قلعة الدر " وكانت لابى دلسف العجلى فجددها وسماها " ساهور " : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٢٣

- (٣) البندارى تاريخ دولة آل سلجوق ص ٨٣
(٤) مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٨٤
(٥) ابن القلانص ذيل تاريخ دمشق ص ١٥١
Skyles: A Hist. of Persia vol. II. P. 119

- ابن كثير البداية والنهاية ج ٢ ص ١٦٧
لسترنج بداية الخلافة الشرقية ص ٤١٥

وكانت هذه القلعة من امهات القلاع التى تمتنع على من رامها اشد امتناع . وكانت تبث الحبائل الى سائر الجهات والاقطار وترجع نتائج الفساد رجوع الطير الى الاوكار . وهى فى العزة مثل منساطر الشمس التى تنال منها حاسة البصرون حاسة اللمس . وكانها وهى فى اعلى شاهق نزلت الجبل على خالق (١) .

وترجع اهمية تلك القلعة الى ان الذى كان قد بناها هو السلطان ملكشاه السلجوقى (٢) . وسبب بنائها يرجع الى انه كان قد اثناء رجلى من مقدمى الروم فاسلم وصار معه (٣) . واتفق انهما ذهبا يوما للصيد . فهرب منها كلب حسن الصيد وصعد الجبل . فتبعه السلطان يرافقه السلطان يرافقه ضيقه الرومى (٤) . وجداه موضع القلعة فوصحب ذلك الرومى من ان مكانا مثل هذا يترك فضاء من غير استغلال حتى من الناحية العسكرية فائلا . لو ان عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا نتفع به (٥) . فامر السلطان على الفور ببناء القلعة واتفق عليها

-
- | | |
|--------------------|-----------------------------------|
| (١) سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٠ |
| (٢) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ١٥٠ |
| (٣) النويرى | نهاية الاربع ج ٢٤ ورقة ٢٩ مخطوط |
| (٣) سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ١٩ |
| (٤) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٦٦ — ١٦٧ |
| (٥) ابن الاثير | الكامل ١٠ ص ١٠٩ |

مولا عظيمه الفى الفى دينار^(١) . فلما انتهى من بنائها جعل فيها " دزدارا "^(٢) . وعلى اثر موت ملكشاه اصبحت اصفهان بيد زوجة خاتون ، فاعفت الدزدار من خدمتها وولت غيره . وكان ذلك رجلا دليما يدعى " زيار " فلما مات تولى امر القلعه " رجل خسوزى " فاتصل به احمد بن عطاش رئيس الاسماعيليه فى اصفهان^(٣) . وكسان اتباعه قد البسوه تاجا من الذهب . كما جمعوا له اموالا طائلة وقتل موى عليهم مع جهده^(٤) . فلما اتصل ابن عطاش بالدزدار بقى معه فوثق به فقلده الامور^(٥) . وفيما يبدوان ابن عطاش استطاع ان يوثر على صاحب الامر فى القلعه حتى استناله الى جانبه فاضحى نائبه فيها . ومن هنا تيسر له عقب وفاة الدزداران يستولى على القلعه^(٦) . فملكها واقام بها اثنى عشر سنة^(٧) . فكان لاستيلائه عليها على حد تعبير ابن الاثير - ضرر عظيم من اخذ الاموال وقتل النفوس وقطع الطرق والخوف المستمر^(٨) . حتى ان اهل ذلك الاقليم

-
- (١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٩
 (٢) الدزدار هو حاكم الاقليم او المقاطعه
 (٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٠٩ Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II. P. 120
 (٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٠
 (٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٠٩
 (٦) براون تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ١٢
 (٦) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٦٧
 (٧) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٠
 الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٢٩

كانوا يقولون ان قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر لابد ان يكون خاتمة امرها شر^(١) .

وقد تمثلت خطورة تلك القلعة وحاكمها ابن عطاش في انهم كانوا يبعثون برجل اعمى على قارعة الطريق فينادى مستعطفا قلوب المارة اللهم ارحم من يقود الاعمى الى داره داخل هذا الزقاق . فيتقدم اليه الضحية بصدق يريد فعل الخير . وهناك داخل الزقاق تتلفقه ايدي القتل من الاسماعيليين فيجهزون عليه^(٢) . وهذه ربما كانت احدى هـ اساليبهم المختلفة في جذب اكبر عدد من شعب اصفهان الى صفوفهم خوفا من شرهم .

اتسع نفوذ الاسماعيليه النزاريه على اثر ذلك من بلاد فارس واصفهان فاستولوا عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م . على عدد كبير من القلاع التى لعبت دورا هاما فى تاريخ تلك الاقاليم^(٣) . فطيس ، تلك التى استولوا عليها فى لنصف الثانى من القرن الخامس — الحادى عشر الميلادى — وقد تعرضت تلك القلعة فيما بعد لهجوم خطير من جيش

اتليبس ابليس ص ١١٠
المنتظم ج ٩ ص ١٢١
الكامل ج ١٠ ص ١٠٩

(١) ابن الجوزى
(٢) ابن الجوزى
ابن الاثير

(٣) د . سعيد عاشور الحركة للصليبيه ج ١ ص ٥٥١

السلطان سنجر السلجوقي ، فخر ب بعض حصر نها (١) . وهي تعرف بطبس الثمر لكثرة ما بها من اشجار النخيل (٢) . وذلك تيسيرا لها عن طبس العناب لكثرة ما بها من الكروم والتي اسماها القرص . طبس مستيان (٣) . وقلعة فهستان (٤) . وكان سبب ملكهم اياها انهم كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور امرا خراسان ايام السمانانية وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له " ابن المنور " وكان رئيسا مطاعا في قومه . فلما ولي كلسارغ فهستان ساد ظلمه وعسف به المجتمع . ثم انه تطاول فاراد اغتصاب اختا لابن المنور بغير حل . فما كان منه الا ان التجأ للاسماعيلية فحرضهم ضد كلسارغ فهستان فحاربوه واستولوا على القلعة (٥) . وهنا يبدو واضحا تشوق الاسماعيلية لمساعدة من يخطب ودهم على الفور مصلحتهم الذاتية . وقد كان لاستيلائهم على اقليم فهستان اهمية كبرى حيث كان من اغنى الاقاليم بمنتجاته الزراعية فضلا عما كان يحويه من قلاع منبعه اهمها : ترشيز وميكال واهيكاك ومجاهد اباد واتشكاه ومعناها بيت النار وقد حاول رئيس الاقليم محاربتهم

-
- | | |
|---------------|----------------------------------|
| (١) الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٢٢ |
| (٢) المقدس | احسن التقاسيم ص ٢٤ |
| (٣) لسترج | بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠٠ |
| (٤) ابوالفدا | المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٢٢٥ |
| (٥) ابن خلدون | المعبر ج ٤ ص ٩٤ |
- Sykes: A Hist. of Persia Vol. II. P. 109

والقضاء عليهم ولكنه فهل امام ضراوتهم (١) . فظلوا كذلك حتى
دهمتهم حملات هولاكو العسكرية فاستولى على ما يقرب من سبعين
قلعة من قلاعهم (٢) .

ومن بين ما استولوا عليه من القلاع والحصون " خورخوسف " و
وزوزن وقابن وتون وبعض الاطراف المجاورة لها (٣) . ثم امتدت -
ايديهم الى قلعة وسنمكوه وهي قريبة من ابهرجت ، وكانوا قد ملكوها
حوالى عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م . ومع الناس اذهم (٤) . الا ان هذه
القلعة سرعان ما سقطت في يد السلاجقة على عهد السلطان بركياروق ،
الذى جعل عليها من حاصرها حوالى ثمانية اشهر فاحذت منهم عام ٤٨٩
هـ / ١٠٩٥ م وقتل كل من بها من اخرهم (٥) .

كذلك استولوا على قلعة خالتجان (٦) . هي تقع على مسافة
خمسة فراسخ من اصفهان (٧) . وكانت تحت يد مؤيد الملك بن نظام

-
- | | |
|---|---|
| (١) لسترنج | بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٩٤ |
| (٢) لسترنج | بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٩٥ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ١١٠ |
| | Sykes: A Hist. of persia Vol. II.P. 109 |
| (٤) ابوالفدا | المختصر ج ٢ ص ٢٢٥ |
| (٥) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١١٠ |
| (٦) ذكرها المقرئى تحت اسم "قلعة جان" اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٢٤ | |
| (٧) ابن خلدون | العبر ج ٤ ص ٩٥ |

الملك فانتقلت الى " جاولى سقاو " فولى امرها لاحد الاتراك الذى وقع فريسه لاحتبال بعض النجارين الاسماعيليين . فبدأ احييتهم بهديه جميلة عبارة عن " جارية فارسية " وفرس ومركب^(١) . ولزمهم حتى وثق فيه وسلم اليه مغاتيخ القلعة . فاقام النجار حفلا لذلك التركى واصحابه . فساقهم الخمر وفاسكرهم . وعليه قام بطلب ابن عتاش الذى اسرع اليه فى جماعة من اصحابه فسلم لهم القلعة دون ما عناء ولا مشقة^(٢) . فاستولوا عليها بعد ما اتوا على جميع من فيها بالقتل فيما عدا ذلك التركى الذى استطاع الافلات من مصيره المحتوم^(٣) . وكثيرا ما كان رجال هذه القلعة ينزلون الى الاسواق فينهبون ما فيها . وقد تمكنوا فى بعض الاحيان من قطع الطرق بين فارس وخورستان^(٤) .

زيعتبر استيلاء ابن عتاش على تلك القلاع بمثابة خطورة خطيرة وجريئة للاستيلاء على قلاع اخرى اكثر اهمية واعظم خطورة من ناحية ، ومن ناحية اخرى ليسط نفوذ على كل اهالى اصفهان ويفرض عليهم الكثير من الاتاوات المختلفة . فاستولى بعد ذلك على قلعة

-
- | | |
|----------------|-----------------------------|
| (١) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ١٢١ |
| (٢) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ١٢٢ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١١٠ |
| (٤) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ١٢٢ |
| لسترنج | بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٠٥ |

استوناوند التي تقع بين الري وآمد . وذلك بعد ان تغلب هو واصحابه على متوليها وقتلوه^(١) . ثم استمروا في مسيرتهم نحو الاتسيلا على مسـى العديد من القلاع . فملك ابو الفتح ابن اخت الحسن بن الصباح قلعه اردهن^(٢) . ثم احتلوا قلعة كردكوه وهي احدى قلاع اصفهان المنبـعه والتي عرفت بالقلعة المقبية " دزكبدان"^(٣) . كذلك لمسـر^(٤) قلعة الناظر بخوزستان والطنبور حيث اخذها ابو حمزة الاسكاف^(٥) كما انهم استولوا على قلعة خلادخان التي تقع بين فارس وخوزستان واقاموا بها فترة غير قصيرة يقطعون الطريق ويبشون العرب حتى فتحها عضد الدولة بن بويه واعمل القتل فيمن بها^(٦) . فلما تولى فخرالدوله البويهى الحكم اقطعها للامير " اشرافم يدع الاسماعيليون يقلت من ايديهم فاستولوا عليها بعد مناوشات^(٧) .

-
- | | |
|--|--|
| (١) ابن خلدون | العبرج ٤ ص ٩٥ |
| (٢) ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ٢٢٦ |
| (٣) لسترنج | بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠٥ |
| (٤) دائرة المعارف الاسلاميه مجلد ٤ ص ١٨٩ | |
| (٥) هو اخذ الدعاة الذين وفدوا الى مصر ليبدروا في الدعوة ثم عسـاد ليعمل داعيه للاسماعيليه في تلك البلاد . ابن خلدون / العبرج ٤ ص ١٥ | |
| | وكان من اهل ارجان كما ذكر نفس المصدر . |
| (٦) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١١١ |
| (٧) لسترنج | بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١٢ |

اما عن الدور الهام الذى لعبته هذه القلاع ، فانه يتمثل فى
تعدد العلاقات بين الاسماعيين وبين اقرانهم من السلاجقة وغيرهم
فتوالى ضربات الغدائين على من ناصبهم العدا ، مهما كان موقعه .
كما كان فى استيلائهم على كل هذه القلاع والحصن بهذه الشرعة
العجيبة خطورة على الدولة الحاكم . مما ادى بالسلاجقة الى ضرورة
موقفهم منهم وان كان قد اده التبع فى كثير من الاحايين طبقا لمسا
تمليه او تفرضه المصلحة الذاتية لكل من الفريقين .

وكانت البداية مع ملكشاه ووزيره ناه الملك^(١) . ويعتقد ان
كانت هناك روابط او صداقة تربط الحسن بن الصباح بكل من الوزير
نظام الملك والشاعر عمر الخيام^(٢) . حتى ليقال ان ثلاثتهم تزايلوا فى
المدرسة^(٣) . ولوان لص المؤرخين يرى عكس ذلك لفارق السن بينهم^(٤)
وانما الذى نستطيع تاكيد هو معاصرته لبعض فى اواخر عهد النظام
الملك بالحكم . ويجدر بنا قبل ان ننتقل لطخوة اخرى ، ان نلقى بعض
الاضواء على قصة نظام الملك والحسن بن الصباح وثالثهما الشاعر عمر
الخيام .

(١) Guyard: Un grand maitre. P. 18

(٢) مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٩

(٣) عمر ابن النصر قلعة الموت ص ٢٣

(٤) Runciman: A Hist. of The crusades. Vol. II. P. 120.

(٤) براون تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ٢١٨

Sykes: A Hist. of Persia Vol. II. P. 106

فاما النظام الملك فقد ولسد في مدينة طوس عام ٤٠٨ / ١١٧ م^(١) لذلك يغرف بنظام الملك ابن الحسن بن اسحق الطوسي^(٢) . وقد نال قسطا كبيرا من التعليم رغم الفاقة التي مر بها حتى ولو احدى الوظائف الكتابية بمدينة بلخ لدى حاكمها " على بن شاذان " الذي وليها من قبل جفري بيك^(٣) . وفيما يبدو ان نظام الملك حاز اعجاب جفري بيك لدرجة انه حينما ادركته الوفاة اوصى به ابنه البارسلان فاتخذته فيما بعد بعد وزيراً له^(٤) . فتولى الوزارة لالبارسلان ثم لابنه السلطان ملكشاه من بعده حتى ادركته المنية عام ٤٨٥ هـ ١٠٩٢ م^(٥) . واستمر في الوزارة لالبارسلان وولده ملك شاه نسفا متتاليا تسعا وعشرين سنة^(٦)

اما الحسن بن الصباح فانه ولد في مدينة الري . لكن لم يستدل على تاريخ ميلاده بعد^(٧) . تلقى العلوم الدينية فبرع في اصول

- | | |
|----------------|---|
| (١) السمرقندي | جهاز مقاله ص ١٥٧ - ١٥٨ |
| (٢) ابن الجوزي | المنتظم ج ٨ ص ٢٣٤ |
| (٣) ابن الجوزي | المنتظم ج ٩ ص ٦٤ |
| (٤) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٧١ |
| | Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II. P. 103 |
| (٥) ابوالفدا | المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٢١٢ |
| | Guyard: Un grand maitre ; P. 18 |
| (٦) ابن الجوزي | المنتظم ج ٩ ص ٦٤ |
| (٧) السمرقندي | جهاز مقاله ص ٢٥٨ |
| | Runciman. A Hist. of the crusades Vol. II. P. 102 |

المذهب الاسماعيلي حتى كانت قصته المشهورة لينتهي به الامر بالاستيلاء على قلعه الموت عام ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م . وظل يعمل بها في خدمة امامه المستنصر ثم ابنه نزار من بعده حتى وثقته منيته عام ٥١٨هـ / ١١٢٢م (١) .

واما الشا عر عمر الخيام فانه ولد في مدينة نيسابور عام ٤٤٥ / ١٠٤٤ وقد برع في علوم الفلسفة والرياضيات . وكان السلطان ملكشاه قد بنى موصداً الجديد عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م (٢) . فاستخدم الخيام ضمن من استخدمهم من اعيان المنجمين - اى الفلكيين - لوضع تقويم جديد (٣) . وقد اسفر عمل الخيام عن الاخذ بتاريخ جديد يبدأ في العاشر من رمضان عام ٤٨١ هـ - الخامس عشر من شهر مارس عام ١٠٧٩م . وقد عرف هذا بالتقويم الجلالى نسبة الى جلال الدين ملكشاه (٤) . وبلغ من دقته ان الخطأ فيه لا يتعدى يوماً واحداً كل خمسة الاف سنة ، لدرجة ان المؤرخين الاوربيين اعترفوا بانه فان في دقته الجريجوزى الاوربى دقة وضبطاً (٥) . وقد كان عمر الخيام -

-
- | | |
|----------------|----------------------------------|
| (١) ابن العماد | شذوات الذهب ج ٤ ص ٥٨ |
| (٢) ابن كثير | البداية والنهاية ج ٢ ص ١١١ |
| (٣) السمرقندى | جهاز مقاله ص ٦٩ - ١٦٠ |
| (٤) ابوالفدا | المختصر ج ٢ ص ٢٠١ |
| (٤) أ ج . | تراث فلوس ص ٣٨٩ |
| (٥) بروكلمان | تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١٣١ |

لسعة اطلاقه ورفعة ثقافته — من اقرب المقربين لنظام الملك (١) . فنشأت بينهما صداقه عريقه (٢) . وكان يمكن لابن الصباح ان يكون معهما على هذا المستوى لولا انخراطه في صفوف الاسماعيليين .

كانت الموت ضمن القلاع التي تقع في اقليم رود يار (٣) . اما شاه دز فكان موقفها اصفهان حيث مقر السلطان ملكشاه (٤) . وعلى ذلك لم يقف وكان السلطان ملكشاه على خطر اسماعيليه الالموت الابعد ان مات نائبه على ذلك الاقليم " التونتاش " فتولى ذلك الوالى من جانبه محاولة تاديب الحسن بن الصباح واعوانه . فهاجم الموت على عهد ملكشاه اكثر من مره ولكن دون جدوى (٥) . وذلك بسبب التفاف اهالى الالموت حول زعيمهم ابن الصباح وعلى وجه الخصوص فيها على البقاء فى الالموت وسعدهم بالنصر ماداموا صامدين فى قلعته . فتمكن ابن الصباح بفضل تلك الحيله من المحافظة على الروح المعنوية العالية لاهل قلعته فظلوا ملتفين حوله . بالاضافة الى ذلك فقد لعب الحسب دوراً فى خدمة الاسماعيليه ونصرهم فمات حاكم الاقليم وهنا وضحت صورتهم امام ملكشاه (٦) .

-
- (١) براون تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ٢٢٠
 (٢) كرسنوف دوسن تكوين اوربا ص ٢٠١
 Sykes : A Hist of Persia. Vol. II. P. 137
 (٣) رشيد الدين الهمذاني جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٥
 (٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ١٠٩ — ١١٠
 (٥) د . طه شرف النزاريه ص ١٣٠
 (٦) د . طه شرف النزاريه ص ١٣٠

وتحدثنا المصادر المختلفة ان بداية ظهورهم على مسرح الحياة العامة كان على عهد ملكشاه جلال الدولة ^(١) . حينما اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فاقاموا صلاة العيد فيساووه على انفراد وفي عزله تافسه عن المجتمع الاسلامي العام . وكان ذلك على حد تعبير ابن الاثير " اول اجتماع لهم ^(٢) . ولما فطن اليهم الشحنة " اخذهم وحبسهم ثم اطلقهم ^(٣) . ثم نبهوا الاذان اليهم حينما دعوا مؤذنا من اهل سستوه الى مذهبهم فابى فخافوه ان يتم عليهم غارده قتيلا ^(٤) . وكان هذا اول ضحايا الاسماعيلية في اصفهان . واول دم اواقوه ^(٥) . كما كانت جريمتهم مع قافلة قاين اكبر العوامل للفت نظر الحكام اليهم .

ذلك ان اول ملتقاهم كان في اول موضع غلبوا عليه عند بلدة قاين حيث كان متقدمه على مذهبهم . فاجتمعوا عنده وازدادت قوتهم بمواءزته اياهم فحدث ان اجتازت بهم قافلة عظيمة فسي طريقها من كرمان الى قاين فخرج عليها جماعة منهم فاقوا على اهل القفل جميعا فلم ينج منهم احد سوى رجل تركمانى . فلما وصل

-
- | | |
|------------------|-------------------|
| (١) ابن خلدون | العبرج ٤ ص ٩٥٩ |
| (٢) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٠٨ |
| (٣) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ١٢٠ |
| (٤) ابن الجوزى | تلبيس ابليس ص ١١٠ |

الى قاين اخبر اهلها بالامر . فتسارع الناس بقيادة القاضي المرامنى
لمحاربتهم والقضاء عليهم فمجزوا عن ذلك (١) . ويبدوان هذه
كانت اول حادته بعد مقتل المؤذن تشير الى خطورتهم ففى
تلك الاقاليم .

(١) ابن الاثير

نظام الملك والاسماعيلية :

=====

كان يلى السلطنة فى تلك الاونة لسلطان المسلجوقى ملكشاه الذى تولى الامر اثر وفاة والده الب ارسلان فى ربيع الاول عام ٤٦٥ هـ (١) . نوفمبر عام ١٠٧٣ م . تما مهام الوزارة فقد تولاهما من قبله وزيره نظام الملك الذى اجمعت المصادر المختلفة على انه كان من اعظم وزراء الدولة الاسلامية على الاطلاق (٢) . وكان وزير صدق يكرم العلماء ، والفقراء (٣) . وما لاشك فيه ان مدرسته النظامية فى بغداد الستى كانت من اعظم واشهر مدارس ذلك العصر (٤) . وفروعها المختلفة فى بلاد الفرس ، فضلا عما اقمه من المساجد والرباطات والوقوف عليها (٥) اكبر دليل على صدق مدجاء فى مصادر ذلك العصر (٦) . ويقتله عدمست الدنيا واحدها الذى لم ترر مثله (٧) .

- | | |
|--------------------|--|
| (١) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٠٩ |
| (٢) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٤ |
| (٣) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٠ |
| (٤) ابن جبير | رحلة ابن جبير ص ٢٠٥ |
| (٥) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٢ |
| ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤٠ |
| (٦) ابو شامة | الروضتين ج ١ ص ٢٥ |
| (٧) ابن الاثير | التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٩ |

ولقد اختلف المؤرخون حول قضية اختيال نظام الملك . فابن الجوزى وابن الاثير يلقيان التهمة على الاسماعيليه النزاريه ، وان كانا لم يوضحا كنه الفئة التى ينتمى اليها القاتل الاعلى ضوء ما جاء فى اقوال الاسماعيليين انفسهم معترفين بمسئوليتهم نحو قتل نظام الملك . قتلوا نجارا فقتلناه به . (١) .

ذلك انه لما ذاع امرهم وخشى الناس باسهم بما ارتكبوه نحو القافلة وقتلهم المؤذن . اخذ انظام الملك فى تتبعهم (٢) . وكان هو اول من نبه السلطان بخطرهم على ملكه (٣) فامر باجراء التحقيق اللازم للوقوف على المتهم الحقيقى . فوقعت التهمة على نجار يدعى طاهر . فكان الجزاء القتل والتشيل بجثته (٤) . فكان ذلك اول قتيل منهم . وينسأ عليه - كما اتفق الراى العام - لم ينوان الاسماعيليون فى الثار لقتيلهم . وعلى الفور حثوا بفدائى اظهر التحايل والاستعانة بنظام الملك حسنى

-
- | | |
|------------------|----------------------------------|
| (١) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ١٢٠ |
| ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٠٩ |
| (٢) سيد امير على | مختصر تاريخ العرب ص ٢٢٩ |
| (٣) بروكلمان | تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١٣٦ |
| (٤) ابن الجوزى | تلبيس ابليس ص ١١٠ |

قرب منه فطعنه : طعنة قاتله اودت بحياته (١) . ولكن اصحاب انظام الملك لم يتركوا فرصة للقاتل فلحقوا به فقتلوه انتقاما لوزيرهم (٢) . وهذه رواية كل من ابن الجوزى وابن الاثير فى مصرع نظام الملك . وان كان ابن الاثير يرى سببا اخر غير ذلك . وهو ان نظام الملك كان قد بعث بعسكر الى الموت اثر الاستيلاء ابن الصباح عليها . فحضره فيها واخذوا عليه الطرف فضاقت ذوعه بالحسر فارسل من قتل نظام الملك (٣)

على ان هناك بعض مؤرخى العصور الوسطى من حرصوا على تجميع الموقف بالنسبة للاسماعيليين . فصاحب المختصر والبداية والنهاية يلقيان تبعية الجريمة على السلطان ملكشاه نفسه . وهما يرجعان دواعى مصرع نظام الملك الى الوحشة التى وقعت بينه وبين سيدة . فبعد ان يسردا الرواية الماثورة عن طريقة اغتياله نجد هما يضيقان مانعه . وكان قتله بتدبير من السلطان ملكشاه (٤) . كما يؤكد ذلك ما جاء فى تاريخ آل سلجوق

-
- | | |
|----------------------|-----------------------------|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٤ |
| (٢) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٠٩ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١١٠ |
| (٤) ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ٢١٢ |
| ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤١ |

للبنداوى ودول الاسلام الذهبى (١) . فقد اوضحنا سبب اقدام ملكشاه
على تلك الجريمة التكرار . .

وكان ان مل ملكشاه طول مدته فى الحكم واستطالته امكانته .
حيث وزير الملك الب ارسلان وولد ملكشاه تسعا وعشرين سنة (٢) .
فانفذ اليه يوما " تاج الملك " — وهو احد — الذين اوغروا صدر
السلطان ضده (٣) . ارسله برسالة ووكل على نظمه بعين من اكابر
دولته وعلى اسهم الامير (يلبرد) احد كبار شخصيات البلاط السلجوقى
وذلك حتى يبالغ الامير تاج الملك فى ابلاغها (٤) . وقد جاء فى رسالة
السلطان لوزيره انك استوليت على ملكى وقسمت ممالكى على اولادك ،
واتسمارك والممالك : فكانك لى فى الملك شريك (٥) . ثم يستمر ملكشاه
... فى خطابه متسائلا " اتريد ان امر برغ دواة الوزارة من بين يدىك
واخلص الناس من استطالتك . (٦) .

- | | |
|--------------------|----------------------------|
| (١) البغدادى | تاريخ ال سلجوقى ج ٨ ص ٥٨ |
| الذهبى | دول الاسلام ج ٢ ص ١٣ |
| (٢) ابن خلكان | فوات الاعيان ج ٢ ص ١٤٠ |
| (٣) ناصر بن الحسين | اخبار لدولة السلجوقية ص ٦٧ |
| (٤) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٧١ |
| (٥) البنندارى | تاريخ ال سلجوقى ص ٥٩ |
| (٦) ابن الجوزى | المنتظم ج ٩ ص ٦٧ |
| البنندارى | تاريخ ال سلجوقى ص ٥٩ |

لم يبال نظام الملك بما جاء في رسالة السلطان . وكان جوابه عليها جواب الواثق بنفسه المعتز بكرامته . قولوا للسلطان كانك اليوم عرفت اني في الملك ساهمك وفي الدولة مقاسمك وان دولتي مقترنة بتاجك . فمتى رفعتها ومتى سلبتها سلب^(١) . ثم يضيف السي ذلك موضحا ماثره على السلطان . ان كنت ما علمت اني شريكك في الملك فاعلم فانك ما نلت هذا الا برتبديري وراي^(٢) . وكان النظام قد وطد لمكشاه .

فصار الامر كله اليه وليس للسلطان الا التخت والصيد فبقى على هذا عشرين سنة^(٣) . الا انه ما يؤخذ على نظام الملك انسه نسي او تناسى ان السلاجقة انما اخذوا ملكهم بحد السيف . فتعين عليهم ان يرفضوا كل شور او انتقاضه ضد هم مهما كان مصدرها حتى ولو كانت من وزيرهم الاول نظام الملك .

والواقع كان لا بد ان تشور تائثرة ملكشاه لرد وزيره هذا فازداد غيظه واستشاطه ، وكان ما جرى على نظام الملك من الاغتيال تجوزا من السلطان مضمرًا واموا مبيتا مدبرا^(٤) . وقد اكسد

(١) البندارى تاريخ ال سلجوق ص ٦١

(٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢١

(٣) ابن الجوزي المنتظام ج ٩ ص ٦٥

(٤) البتداری تاريخ ال سلجوق ص ٥٩

صاحب الروضتين ذلك (١) . وفيما يفدوان نظام الملك كان يتميز بكبرياء
وتبه يفوقان الحد (٢) . فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من التقل ما تم (٣)

وما يؤكّد ذلك فيزيد من وضوح الامر انضمام الممالك للنظاميه
لبركياروق ضد زوجته ابيه ترکان خاتون التي شنت عليه حربا ضاربه بمساعدة
تاج الملك ما لفت الذكر للاحتفاظ بعرش الامبراطورية لابنها محمود (٤)
فما كان من ممالك نظام الملك الا ان انضموا الى بركياروق ففتك... وا
بجيش ترکان خاتون (٥) . ثم قتلوا تاج الملك شرقتك بالرغم من شفاعته
السلطان بركياروق فيه (٦) . وفيما يبدو انه كان بين كل... نظام
الملك وترکان خاتون وتاج الملك كراهية . ذلك ان ترکان خاتون اراد
ملكها ارادت ان تحتفظ بالعرش لابنها محمود . فطلبت الى السلطان
ان ينص على ولدها محمود فتشاء نظام الملك عن رايه ففشلوا من النظام

- | | |
|-----------------------|---------------------------|
| (١) ابو شامه | الروضتين ج ١ ص ٢٦ |
| (٢) ابن ابيك الدوادار | كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٤ — ٣٩٥ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢١ |
| (٤) د — سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ١١٠ |
| (٥) ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ٢١٣ |
| (٦) البندارى | تاريخ ال سلجوق ص ٥٩ |

تشبيها عن مرادهم (١) . فضلا عن ذلك فإنه يقمهم من سياق احداث هذه القصة ان تاج الملك كان عاملا رئيسيا في اغتيال نظام الملك . يوضح ابن الجوزى ذلك " فما زال السلطان (٢) . فيقال انه السف عليه بمواطاة تاج الملك ابن الخنائم من قتله (٣)

وعليه فإنه يتبين ما سبق توضيحه ان قصة اغتيال الاسماعيليين للنظام مضطربة اشد الاضطراب . وربما تكون هذه التهمة قد حبكت حولهم حتى تسام من ذكرهم النفوس ولينفى ملكشاه التهمة عن نفسه . وقد ساعدة الحظان كان القاتل من الديالة (٤) . وقد شكل هؤلاء عنصرا اساسيا في المجتمع لاسماعيلى فى تلك الفترة بفضل انخراط قبلية " شبانكاره " التى عرفها ابن الاثير " بالشوانكاره " (٥) — فى صفوف الاسماعيليين مما اعطاهم دفعه قويه نحو تحقيق اهدافهم فى تلك الاقاليم . (٦)

-
- (١) ابن الجوزى المنتظم ج ٩ ص ٦٨
 - (٢) اضافة يقتضيها سياق الكلام " الباحث "
 - (٣) ابن الجوزى المنتظم ٩٠ ص ٦٧
 - (٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٣٩
 - (٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٣٦٢
 - (٦) لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٢٥
- د . السيد محمد العزاوى فرقة النزارية ص ٢٢٠

اما فيما يختص بادعاء الاسماعيليين قتلهم نظام الملك لقولهم
" قتلتم منا نجارا وقتلنا به نظام الملك " فيمكننا القول بان ذلك ربما
كان تمويهاً او دعاية لهم ليرهبهم حكام الاقاليم والامصار المحيطة
بقلاعهم من ناحية ، ومن ناحية اخرى ليثبوا الرعب في صفوف
اولئك الذين وقفوا لهم بالمرصاد . ولا بأس من ان تلصق بهم تهمة
كهنذة فترد مكيداً حاكم اوجبار . وبما لا شك فيه انه على اشر
ذلك " استفحل امرهم باصفهان وآل الامر الى انهم كانوا يسرقسون
الانسان فيقتلونه ويلقونه في بئر . فكان الانسان اذا دنا وقست
العصر ولم يعد الى منزله يشعوا منه ، وفتش الناس المواضع . فوجدوا
امراة في دار لا تبرح فوق حصير فازلوها فوجدوا تحت الحصر اربعين
قتيلاً ، فقتلوا المرأة واخربوا الدار " (١) .

سبب ان اوضحنا ان الحسن بن الصباح كان قد عقد المزم
على تكوين دولة اسماعيلية في بلاد فارس واصفهان . وقد رتب الامور
على اساس انتقال امامه المستنصر الى قاعدة ملكه الجديد في المشرق
ولكن القدر لم يحقق ما ربه . ففي الاونة التي هم فيها بتنفيذ خطته
هذه وافاه النبا بوفاة المستنصر في القاهرة (٢) . ثم وقف فيما بعد على

(١) ابن الجوزي المنتظم ج ٩ ص ١٢٠ - ١٢١

(٢) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيلية ص ٧١

اسباب الخلاف القائم في حاضرة الاسماعيليين بين ابناء المستنصر (١)
فالمستعلى بالله الابن الاصغر للمستنصر اعلن تنصيبه في منصب الامام
بمساعدة صهره الافضل بن بدر الجمالي الذي حقد على نزار (٢)
وفضلا عن ذلك فان نزارا قد لقي حتفه على يد اخيه ووزيره الافضل
عقب هزيمته والقبض عليه مع رفيقه افتكين في الاسكندرية (٣) . ذلك
في الوقت الذي يرى بعض كتاب الاسماعيليه ان نزارا ليقول ، وانما
هرب الى سجلماسة فاستقر هناك حتى بعث اليه ابن الصباح
من حضرة الى الموت ليتولى امر الدعوة الجديدة التي كان قد
اسسها في الالموت (٤) . الا ان الثابت ان نزارا قتل فعلا بانفساق
اقوال كل المؤرخين . وربما يكون الاسماعيلون قد بنوا افتراض بقائه
على قيد الحياة وهروبه الى سجلماسة — رغم قطع الراي بموته — اعمالا
بمبدأ الغيبة او التقيح التي انفرد بها انصارهم الاوائل والتي آمن بها
الاسماعيليون انفسهم وباركوها فيما بينهم .

-
- (١) ذكر المرحوم د . حسن ابراهيم — تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٧٢ — ان
الحسن بن الصباح كان موجودا في مصر حال وفاة المستنصر . الا اننا
تختلف معه في الراي ، فالثابت ان الحسن بن الصباح غادر مصر قبل
وفاة المستنصر بفترة طويلة . ودليلنا على ذلك انه لم يغادر قلعة
الموت منذ ان استولى عليها عام ٤٨٣ / ١١٠٩ .
- (٢) د . سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص ٢٠٨
- (٣) المقرئى الخط ج ١ ص ١٥٥
- (٤) مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٨١ — ١٨٣

وبناءً عليه فقد حدد موت المستنصر بالله ثم مقتل ابنه نزار مسر
بعده عام ٤٨٨ / ١٠٩٥ د ور الحسن بن الصباح في قيادة المجتمع
الاسماعيلي النزاری في بلاد فارس واصفهان ثم في بلاد الشام فيما بعد .
ومن ثم أصبح ابن الصباح هو القائد والمشرح والداعي الاول ، وهو
الحجة لهذه الفرقة الجديدة التي عرفت فيما بعد الاسماعيلية او الصباحية
او التعليمية والباطنية^(١) . وذلك تمييزاً لها عن الاسماعيلية المتعلوية
في مصر^(٢) .

بيان مذهب الباطنية ص ٥

(١) الديلمی

(٢) Ivanow. Studies in Early Pers. Ism. P. 26

انتقال الدعوة الى بلاد الشام :

تبين مما سبق عرضه ، الدور الذى لعبه النزاریون فى بلاد فارس واصفهان لاثبات مكانتهم وتثبيت اقدامهم وسط العالم السنى المتعصب ضدهم . انما الذى يهمنا فى هذا المجال هو امتداد النشاط - الاسماعيلى النزارى الى بلاد الشام . والمعروف ان هذه البلاد كانت مهد الاسماعيليه الاول ، والتى خرجت منها الى بلاد اليمن ثم بلاد المغرب منذ ان كانت سلمية المقر الرسمى للامام عبيد الله المهدى والائمة من قبله وذلك قبل انتهاء دور الستر^(١) . وقد استطاع الاسماعيليون مد نفوذهم الى بلاد الشام وازداد نفوذهم فى بقاعه عقب موت السلطان محمد بن ملشكاه عام ٥١٢ هـ ١١١٨ م . وهو الذى كان قد احس بخطرهم فبدأ يتخذ من الاجراءات الكفيلة للقضاء عليهم - والاستيلاء على حصونهم وقلاعهم الجليلية الحصينة .^(٢)

فقد استطاع ان يستولى على حصن شاه دزعام ١١٠٦/٥٠٠^(٣) وكان لاستيلائه عليه اكبر الاثر فى نفوس المسلمين السنيين الذين ناصبوا اسماعيلية الموت العدا^١ الظاهر . يدل على ذلك كتاب البشرى الذى بعث به فور الفتح الى الخليفة العباسى المست^٢ بهر بالله ٥١٢ هـ /

سيرة جعفر الحاجب ص ١١١

(١) ايفانوف

(٢) Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II. P. 120

ذيل تاريخ دمشق ص ١٥١

(٣) ابن الفلانس

١١١٨م (١) . وان كان قد عجز في نفس الوقت عن الاستيلاء على قلعة الموت لمناعتها من ناحية وبعدها حاضره الحكم من ناحية اخرى . وكان يمكنه الاستيلاء على العديد من حصونهم لولا ان ادركته منيته عام ٥١٢ هـ / ١١١٨م فتوقف بذلك تنفيذ مشروعاته الى حين (٢) .

وعلى ذلك فقد حانت الفرصة للاسماعيليين — فلم يتهاونوا فسي انتهازها لقتوية حالهم بحيث لم ينقض على موته غير بعيدة حتى انقضوا بواسطة القوة او الخديعة او الرشوة على العديد من قلاع الشام مثل القدموس وبانياس وقلعة مصياف وغيرها من القلاع والحصون الشاميه الهامه (٣) . واستطاعوا ان يصيفوها الى ممتلكاتهم في فارس واصفهان التي شملت العديد من قلاعهم .

وكان امتداد نشاطهم الى بلاد الشام منذ بداية القرن الخامس الهجري — الحادى عشر الميلادى — على يد الحكيم المنجم اول — داعية لهم بالشام (٤) . فاقام بها الدعوة ووطد اركانها واستطاع بسبب موقف رضوان الذى كان يقربهم وينتصر بهم (٥) . اقامة دار دعوة

(١) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ص ١٥٢ — ١٥٦

(٢) براون تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ١٩٤

(٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٢

(٤) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٦

(٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٣٥

انبثقت منها المبادىء الاسماعيلية وخرجت منها جيوش الدعوات
والفداوية الى دمشق وحمص وعزاز وقاميه وغيرها من بلاد الشام لتتقدم
على قدم ورياق مع الحكم السلجوقي . احيانا معه وحيانا ضده .

اما عن الدور الذى قام به الاسماعيليون فى بلاد الشام فانه يقتسم
الى قسمين : الاول وهو مقاومة المذهب السنى والعمل على لفتك
بزعمائهم اما الثانى غير مقاومة الصليبيين وقتل بعض زعمائهم وتحالفهم
معهم احيانا .

الا انه مما يؤسف له ان السهام التى كانوا بها ضرباتهم لكل
من الفريقين كانت واحدة . فلم يفرقوا فى تحقيق اهدافهم تلك بين فئة
واخرى^(١) . ويجدر بنا قبل ان ننتقل لهذا الموضوع ان نشير الى
موقف المستعلاوية فى مصر من النزارية فى بلاد الشام .

(١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٣

موقف المستعلوية في مصر من النزارية في بلاد الشام :

وكان ان تصارع كل من المستملوية والنزارية حول احقبه كسل من اماميهما في تولى الامامة بعد المستنصر ذلك ان الامر بن المستعلى الذي ولي الخلافة اثر موت ابيه المستعلى ولم يتجاوز عمره خمس سنوات وشهر وبعض ايام^(١) . ورث تركة كثقله بالاعباء . ففي مصر جثم على صدره وزيره الافضل بن بدر الجمالي الذي استبد بالسلطة دون الخليفة منذ عهد المستعلى^(٢) . فوضع عليه الامر باحكام الله المبيدي من قتله^(٣) . هذا عن مصر . اما في بلاد الشام . . . في حلب ودمشق فقد تطلع النزاريون الى اليوم الذي يحقق لهم في الاطاحة بالخلافة لمستعلوية في مصر والشام .

لذلك تعين على الامران يحدد موقفه لامن الخطرين . وكان ان انتهى من ريقه الافضل في مصر . اما عن النزاريه فكان عليه ان يصدر سجلا يحدد فيه بطلان امامه : نزار ويدحض اقوال انصاره . فكان

-
- (١) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٤
(٢) يلاحظ ان علاقة الامر بالافضل كانت سيئة جدا . وذلك على عكس ما كان على عهد ابيه المستعلى . فقد حظى الافضل عنده بالحظوة الكبرى فكان هو — كما نعتة المستعلى — السيد الاجل الافضل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين السجلات المستنصرية : ص ١٤٧ .
(٣) الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ٤٢ .

السجل الامرى الذى عرف فى المجال السياسى الاسماعيلى .
 بالهداية الامرية فى ابطال الدعوة النزارية ^(١) . وقد اعتبر الامران ،
 من خرج من اتباع نزار على الدعوة فقد صد عن حدود الله . وتناول على
 الولاية وتحكم فى الامامه ونهذ عهد الايمان وراء ظهره ^(٢) . كما
 انهم بذلك العمل هبطوا من مرتبه الايمان الخاصة الى رتبة الغواية
 العامة ^(٣) . وقد اتهمهم السجل المذكور بانهم قالوا بامامة نزار : دون
 دليل واضح هدادهم ولا نص جلى قادهم الى ذلك ^(٤) .

هذا . . ويستمر فى سجله فيشتشهد ^(٥) . انه قد اجمع جميع
 من يمسب الى الدعوة الهادييه على صحة النص فى الامامه وفساد
 الاختيار واتوا بها يؤيده كمن البراهين الواضحة والقضايا الصارمه .
 وذلك ان الاختيار لا يصح الا بحصول شرائط فى التحيز والمتحيز ^(٦) .
 ولقد صدر ذلك السجل يوحى من المامون وزير الامر الجديد الذى
 وزرك فى عام ٥١٥ هـ / ١٢١١ م . ^(٧) .

(١) اصف فيظى الرسالة الموسومة بالهداية الامريقتص

٣ - ٣٦

(٢) د - جمال الشيال مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٢٠٦

(٣) اصف فيظى الهداية الامرية ص ٤

(٤) د - جمال الشيال مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٢٠٩

(٥) لم يذكر تاريخ صدور هذه الوثيقة ولكنه استنتاجا . شوال عام ٥١٦ هـ

ديسمبر ١٢٣١ م . د - جمال الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٢٠٣

(٦) د - جمال الشيال مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٢٠٩

(٧) د - سعيد عاشور مصر فى العصور الوسطى ص ٢٠٥ - ٢٠٧

وكيفما كان الامر فانه بتصنيفه ذلك الشجل يدافع فيه عمن
وجهة نظره في الامامه . فيقيم الدلائل على امامة ابيه المستعلي .
كما انه يبين لنا مدى الخصومه التي كانت مستحكمة بين الفريقين .
حتى ان الخليفة لم يكتف بما بصنفه دعائه بل تصدر بنفسه للدفاع
وحمل رلواء القلم (١) . وكانت كراهته للنزاريه معروفة بشكل ملحوظ لدرجة
انه احسن استقبال الذي حمل راس بهرام الى القاهرة فيما بعد
وخلع عليه (٢) .

اما النزارية ، فانهم يرجعون السبب الى الافضل الذي كان
صاحب الامر في مصر عند موت المستنصر بالله وهو المستحوذ على
ملكته والجنود جنده كما ان غلمان ابيه لم يعرفوا سواه . وكان نزار -
كما اوضح المقرئى - لما يرى من غلبه الافضل على الدولة يتكلم بهما
يلفه فينكره . فلهذا مات المستنصر بالله والافضل متخوف من شر نزار
اقام احمد المستعلي لانه زوج اهته . ولانه صغير (٣) .

-
- | | |
|--------------------|------------------------|
| (١) علي عبد الوليد | الذخيرة في الحقيقة ص ٨ |
| (٢) لرنارد لويس | الدعوة الجديدة ص ١٢٤ |
| (٣) المقرئى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٨٧ |

ولقد حاول الحسن بن الصباح الانتقام لامامه
 نزار بارسال فرقته من عنده لقتل الامر والمأمون بعد ان
 تخلصا من الافضل (١) . ولكن لمأمون استطاع
 القضاء على كل المحاولات ا بن الصباح بنظام التفتيش
 الدقيق الذى وضعه للبحث عن كل باطنى يصل من
 الموت فامتنع لذلك الباطنية مما كانوا قد عزموا عليه
 من الفتك بالامر والمأمون لكفهم عن دخول البلد (٢)
 وكان المأمون قد عين من القصاد الجواسيس واصحاب
 الخبير فى كل قطر (٣) . فاذا خرج الباطنى من
 قلاع الموت لاتزال اخباره ترد عليه شيئا فشيئا منذ خروجه
 من مكانه حتى يرد مدينة بلبيس التى اعتبرت بمثابة
 محط لتفتيش كل من يريد القاهرة من التجار والفصاد
 وغيرهم من الوافدين على البلاد فيسير اليه من
 ينقض عليه من فى مكانه الذى نزل فيه ويأتيه به فيقتله (٤)
 وقد كان هذا العمل معدودا من عظيم الحزم (٥) .

- | | |
|-------------|--------------------------|
| (١) المقرئى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٨ |
| (٢) المقرئى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٨ |
| (٣) المقرئى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٩ . |
| (٤) المقرئى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٩ |
| (٥) المقرئى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٠٩ . |

الفصل الثانی

الفصل الثاني

الاسماعيليه والقوى الاسلاميه فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر

—

الحاله السياسيه فى بلاد الشام اواخر عهد المستنصر .
البساسيرى والدعوه الاسماعيليه فى بغداد . الحكم العباسى واثره فى
نشر الدعوه فى الشام والعراق . فشل ثورة البساسيرى ومقتله . الاسماعيليه
والسلاجقه . البارسلان ونظام الملك والتوسع السلجوقى فى بلاد الشام .
موقعة متركزت واثرها فى التفوق السلجوقى على الاسماعيليه فى بلاد
الشام . ملكشاه ومحاولة فتح مصر . فشله فى ذلك . الصراع الاسماعيلى
السلجوقى حول دمشق وحلب وبيت المقدس . تتشمر مؤسسه دولة سلاجقه
الشام . مقتله واثره فى تقسيم ملكه . كيف كان سلاجقه الشام عاملا اساسيا
فى نشر النفوذ الاسماعيلى . حلب كمركز جديد وهام للاسماعيليه .
القرامطه والاسماعيليون فى بلاد الشام . الحسن بن الصباح واقليم الشام .
ابو طاهر الصايغ فى بلاد الشام . الحكيم المنجم ودوره فى حلب . الامير
رضوان واسماعيليه مصر . اثر الاسماعيليه فى الحياة السياسيه والاجتماعيه
والاقتصاديه فى حلب . الاغتيالات اغتيال جناح الدوله واثره . . ابسو
الفتح السرمينى . اغتيال خلف بن ملاعب ونتائجه . موقف اهل حلب من
الاسماعيليه . الاسماعيليه واغتيال مودود . رأى حول ذلك . الاسماعيليه
واغتيال آق سنقر الهرسقى واسبابه . اسماعيليه حلب والتاجر المشرقسى
الخندي . ثوره حلب ضد الاسماعيليه . اغتيال الرئيس ابن بسديس .

الاسماعيليون في دمشق طفتكين والاسماعيليه • المؤامرات الاسماعيليه
حسول دمشق • بهرام الاستراباذي واصحاب وادي التيم • ابو الوفاء
الاسماعيلي يتولى قضاء دمشق • الاسماعيليون وحسن بن عباس • الوزير
المزدغاني واسباب انضمامه للاسماعيليه • مذبحه دمشق ومحاولة اغتيال
تاج السلوك بوري • الاسماعيليون في بغداد • اغتيال الخليفة
المسترشد • اغتيال الراشد • تعاون اسماعيلي عباسي •

الاسماعيليه والسلاجقه في بلاد الشام حتى موت المستنصر :

السلاجقة قبيلة من الاترك الغز أخذ نفوذهم في الأردن
منذ عهد بغرل بك الذي كان له أكبر الأثر في جمع صفوفهم وبسط نفوذهم
على جهات واسعة من الدولة الإسلامية ^(١) شملت مرو ، ونيسابور
وكرمان وأذربيجان وطبرستان وخراسان وأخيرا للعراق وبلاد الشام ^(٢) .

وكانت ثورة البساسيري ضد الخليفة القائم بأمر الله العباسي
سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م • سببا في توثيق الروابط السياسية بين طغرل بك
والخليفة ^(٣) • وذلك بسبب استنجاد الخليفة بطغرل بك ضد البساسيري
بسبب الفحشه التي وقعت بينه وبين الخليفة وشكوى الأتراك

(١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٧٨ — ٧٩ .

(٢) د • جمال سرور النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٥٩

King: The knights Hospitallers ; PL L3

(٣) البنداري تاريخ آل سلجوق ص ١٣
Huart: Hist, des Arabes . Tome I. P. 354

منه . (١) وكان أن أطلق رئيس الرؤساء عبارته فيه وذكر قبيل افعاله وأنته
 كاتب المصريين بالطاعة وخلع ما كان عليه من طاعة العباسيين . (٢)
 فترتب على ذلك أن فتح باب بغداد على مصرعيه أمام حكام السلاجقة . (٣)
 فسار طغرل بك وقضى على فتنة البساسيري . (٤) بعد أن كان قد " أحضر
 القضاء وجباة من الوجود والاعيان والأشراف وأخذ عليهم البيعة
 لصاحب مصر المستنصر الفاطمي " (٥) حدث ذلك في صفر عام ٤٥٠ هـ مارس
 ١٠٥٨ م .

فضلا عن ذلك فإنه أعلن في جامع المنصور في يوم الجمعة ١٣ من
 ذي القعدة عام ٤٥٠ هـ / ١ يناير ١٠٥٩ م " الأذان بحسب على خميس
 العمل " (٦) . كما أنه استطاع أن يضرب نقودا " سهاها المستنصره وكان
 عليها من فرد جانب لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله - على
 ولي الله ومن الجانب الآخر عبد الله ووليه الامام ابو تميم محمد المستنصر
 بالله أمير المؤمنين " (٧) . فأعاد طغرل بك الخطبة للخليفة العباسي عمام

- | | | |
|-----|-----------------|--|
| (١) | المؤيد في الدين | سيرة المؤيد ص ١٨٣ |
| (٢) | ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ٦٦ |
| (٣) | ابن طباطبا | الفخرى في الآداب السلطانية ص ٢١١ |
| (٤) | ابن الاثير | الكامل في التاريخ ج ١ ص ٣٢٦ - ٣٢٨ |
| | ابن العبري | تاريخ مختصر الدول ص ١٨٤ |
| (٥) | ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ٨٠ |
| (٦) | ابن الجوزي | المنتظم ج ٨ ص ١١٢ |
| | | Hurt: Hist . des Arabes . Tome I. P. 354 |
| (٧) | ابن الجوزي | المنتظم ج ٨ ص ١١٦ |

٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م وقتل البساسيري^(١) . فكان ثمن ذلك أن أستأثر طغرل بك بالسلطة في بغداد . فأصبح الخليفة العباسي لقمة سائغة في فم السلاجقة . وعلى حشد تعبیر النسوي " اقتضى الامر تحكم بنسبي سلجوق في بغداد " ^(٢) . كما أن سقوط بغداد في يد السلاجقة كان افتتاحا واسعا لتحقيق حلمهم نحو الاستيلاء على بلاد الشام . وكان ذلك أملا يراود طغرل بك ثم ابن أخيه ألب أرسلان من بعده والذي تسولى الحكم في الثامن من رمضان عام ٤٥٥ هـ ^(٣) ٤ سبتمبر ١٠٦٣ م .

وكان أن لعب ألب أرسلان مع وزيره نظام الملك أهم الأدوار في رسم السياسة السلجوقية وتحديد أهدافها القريبة والبعيدة . فاتفق رأيهم على ضرورة بسط نفوذ الدولة على مناطق جديدة لتتسع وقعتها ويعلموا شأنها ^(٤) ويستدل على ذلك من رد نظام الملك على كتاب ملكشاه السابق الإشارة اليه في الفصل الأول " فأني قدت الأمور اليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الأمصار القريبة والبعيدة وأطاعه القاصي والداني " ^(٥) . ذلك في الوقت الذي كانوا يراقبون عن كثب نفوذ بني بويه وعسلو شأنهم في بلاد فارس وكرمان والعراق . وفيما يبدو أن السلاجقة تطلعوا الى فتح البساسير

- | | | |
|-----|----------------------|------------------------------|
| (١) | د . سعيد عاشور | مصر في العصور الوسطى ص ٢٣٦ |
| (٢) | النسوي | سيرة السلطان جلال الدين ص ٥٠ |
| (٣) | ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٠ |
| (٤) | د . عبد النعيم حسنين | سلاجقة ايران والعراق ص ٥١ |
| (٥) | ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ٢١ |

المسيحية المجاورة لهم (١) . كما انهم تطلعوا أكثر الى اسقاط الخلافة
الاسماعيلية في مصر وتوحيد العالم الاسلامي تحت راية الخلافة العباسية
السنية ، في ظل نفوذهم . والواقع كان عصرهم — بعد عصر صدر
الاسلام — أول من تنبه الى ضرورة توحيد الامة الاسلامية .

وكيفما كان الامر فقد تقاسم السلاجقة في العراق والروم في آسيا
الصغرى والاسماعيليون في مصر الصراع على امتلاك بلاد الشام في تلك
الآونة (٢) . فلم يكسب الب ارسلان ينتهي من مشاكله الداخلية حتى
توجه بجيوشه الى البلاد المسيحية المجاورة وعلى رأسها ارمينيا . ففرد
عليه الامبراطور رومانوس الرابع بالتوجه على رأس جيش كبير للاستيلاء على
حلب التي كانت تخضع حينذاك لنفسه الحكم المصري (٣) . ولكن السب
ارسلان الذي كان قد تطلع بكل ما أوتى من قوة الى امتلاك بلاد الشام ،
لم يقف مكتوف الايدي فاسرع على رأس جيشه متوجها الى تلك البلاد عام
٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م . ليلتقي برومانوس الرابع امبراطور الدولة البيزنطية
عندما تركزت مساء الجمعة الموافق ٢٦ من رجب عام ٤٦٣ هـ — ٢٦ من
ابريل ١٠٧١ م في موقعة دارت فيها الدوائس على القائد

- | | | |
|-----|-------------------|-----------------------------------|
| (١) | ابن ابيك الدوادار | كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٢ |
| (٢) | ابن كثير | البدایه والنهایه ج ١٢ ص ١٠٠-١٠١ |
| (٣) | سیدو | تاریخ العرب العام ص ٢٢٠ |
| | البنداری | تاریخ ال سلجوق ص ٣٥ |
| (٤) | ابن العبری | تاریخ مختصر الدول ص ١٨٧-١٨٨ |
| | د . جمال سرور | النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٦٠ |

البيزنطى (١) " فأنهزم الروم وقتل منهم مالا يحصى حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى وأسر ملك الروم " (٢) . بعد ان انقض من حوله معظم أنصاره (٣) .

ولقد أثبتت ما تركزت على انها جد يرية بتثبيت اقدام السلاجقة فى بلاد الشام . كما ان انتصارهم السريع والحاسم فى تلك الموقعة دفعهم بشده . وثبات الى التوسع على حساب من جاورهم من الدول الاسلاميه والمسيحية على السواء . حتى ان بعض المؤرخين الأوربيين اعتبر ان ذلك كان من اهم الاسباب الرئيسيه والمباشرة لوقوع الحرب الصليبيه الأولى (٤) . وعليه فقد تعين حينئذ على محمود بن صالح بن مرداس حاكم حلب ان يذعن لقوة السلاجقة ويعترف بسلطانهم . فأقام الخطبه لخليفة بغداد القائم بأمر الله بدلا من خليفة مصر المستنصر بالله الاسماعيلى (٥) .

لم يكتف ملكشاه الذى تولى الأمر بعد موت أبيه فى ربيع الأول ٤٦٥ هـ نوفمبر ١٠٧٣ م بما بيده من البلاد الشرقية (٦) . فوجه جيشه بقيادة أتمز

-
- | | | |
|-----|-------------------|---|
| (١) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٨٨ |
| (٢) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٢ - ٢٣ |
| (٣) | ابن ابى الدوادارى | كنز الدرر ج ٦ ص ٣٩٤ - ٣٩٥ |
| (٤) | | ykes: A Hist. of Persia . Vol. II. P. 103-104 |
| (٥) | المقريزى | ing: The Knights Hospitallers; P. 13 |
| (٦) | ابن الاثير | السلوك ج ١ ص ٣٣ |
| | محمد كرد على | خطط الشام ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ |
| | | الكامل ج ١٠ ص ٢٥ |

بن أوف الخوازمي * ويلقب بالمعظم ، وكان أول من استعاد بلاد الشام من
أيدي الفاطميين وأزال الأذان منها بحسب على خير العمل بعد أن كان
يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام مائة وست وستين * (١) ، وكان ذلك
في ذي الحجة ٤٦٨ هـ — يولييه ١٠٧٦ م (٢) . فاستطاع أن يستولي أولا على
الرملة وسيت المقدس عام ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م (٣) . وكان قد بذل جهدا كبيرا
في فتح دمشق من قبل بسبب قوة حاميتها الاسماعيليه (٤) . فبشدد عليها
الحصار أكثر من مرة حتى تمكن من فتحها (٥) . وقد رحب اهالي دمشق
المتعصبين لسنيتهم بذلك الفتح (٦) . كما انهم عملوا على تعزيزه وتثبيتهم .
وكانت دمشق كما وصفها مؤرخها ابن القلانص " اموية الطابع " (٧) .

والواقع ان فتح دمشق اعطى ملكشاه دفعة قوية للمسير نحو مصر والعمل
على فتحها للقضاء على الخلافة الاسماعيليه . فما كان منه الا ان وجه قائده
اتمسز التركمانى على رأس حملة كبيرة لفتحها عام ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م (٨) . وبالرغم

-
- | | | |
|-----|----------------|--|
| (١) | ابن كثير | البدایه والنهایه ج ١٢ ص ١١٢-١١٣ |
| (٢) | د . جمال سرور | النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ص ٦٠ |
| | | Huart: A Hist. des Arabes. Tome I P. 353 |
| (٣) | ابن العبري | تاريخ مختصر الدول ص ١٨٥ |
| | | King: The Knights Hospitaliers. P. 13 |
| | | " بلا حظ ان الاثير ذكرها فى حوادث عام ٤٦٣ هـ " الكامل ج ١ ص ٢٥ |
| (٤) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٣ |
| (٥) | د . سعيد عاشور | مصر فى العصور الوسطى ص ٢٣١ |
| (٦) | ابن خلدون | العبر ج ٤ ص ٦٥ |
| (٧) | ابن القلانص | ذيل تاريخ دمشق ص ١٢ |
| (٨) | د . سعيد عاشور | مصر فى العصور الوسطى ص ٢٣٢ |

من أنه استطاع التغلغل فى الأراضى المصرية حتى كان قاب قوسين أو أدنى من مدينة القاهرة فانه فشل فى الاستيلاء عليها أو النيل منها لاستماتة المصريين بقيادته بدر الجمالى فى الدفاع عنها (١) . فارتد ألسز الى بلاد الشام " منهزما فى نفر طليل متسن عسكرة " (٢) . وعليه فلم يعاوده التفكير فى غزو مصر مرة أخرى . واكتفى ملكشاه بضرورة اتخاذ كل الوسائل اللازمة لتأمين فتوحاته فى الاراضى الشاميه وانتزاع ما يمكن انتزاعه من يد أعدائه الاساعيليين .

وترتب على هزيمة السلاجقة على مشارف القاهرة اعلان بعض المدن الشاميه الكبرى كحلب مثلا ولاءها مرة أخرى للخليفة الاساعيلى فى مصر (٣) فتعين على تاج الدوله تتش الذى تولى أمر البلاد الشاميه — بنسأ — على أمر ملكشاه — ان يتوجه عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م على الفور الى حلب ليردها الى منطقة نفوذ (٤) . وعلى ذلك انتهز الاساعيليون فى مصر فرصة انشغال تتش امام حلب فاسرع بدر الجمالى بانفاذ نصر الدوله على رأس جيش مصرى كبير لاعادة دمشق الى حظيرة المصريين (٥) . فلما عجز حاكمها ألسز عن مجابهة الموقف سارع بالاستغاثة بتتش الذى أسرع بالمسودة اليها

-
- | | | |
|-----|----------------|-----------------------------------|
| (١) | ابن ميسر | تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٥ |
| | ابن كثير | البدایه والنهايه ج ١٢ ص ١١٦ |
| (٢) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٣٥ — ٣٦ |
| (٣) | د . جمال سرور | النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ص ٦٢ |
| (٤) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ١٠٥ |
| (٥) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٣٨ |

ليجده جيش الاسماعيليين قد رحل عنها اثر ساعه باقتراب تتش^(١).
 قد دخلها تتش عام ٤٧١هـ / ١٠٧٨م دخول الظافرين^(٢) . فاتخذها
 مقرا له . بل وأسس فيها دولة سلاجقة الشام^(٣) . ولم يلبث أن قبض على
 حاكمها أئمز وقتله بسبب تعاونه في الدفاع عنها^(٤) . وان كان ابن سن
 كثير قد ترجع اقدام تتش على قتله لأنه " لم يركب لتلقيه فأمر بقتله
 فقتل لساعته " ^(٥) . وصار هو يتولى بمفرده جميع الامور في بلاد الشام
 " فأحسن السيرة في أهله وعدل فيهم " ^(٦) . واذا ما اخذنا قول ابن كثير
 في مقتل أئمز قضية مسلمة . فان ذلك يعزز اتهام ملكشاه بقتل وزيره
 نظام الملك من قبل حينما تطاول عليه . ويعزز من جانب آخر رأينا في
 ان السلاجقة لم يقبلوا وهادنة من يعانينهم أو يحط من قدرهم .
 لم يقف الاسماعيليون في مصر مكتوفي الايدي أمام اقتطاع
 السلاجقة لأهم اجزاء دولتهم في بلاد الشام . فعمل بدر الجمالي
 على استرداد ما يمكن استرداده منها . فسار في عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م
 في جيش آخر الى دمشق ما يستردها من تاج الدولة تتش^(٧) . فحاصرها

- | | | |
|-----|----------------------|-----------------------------------|
| (١) | د . جمال سرور | النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٦٢ |
| (٢) | د . سعيد عاشور | مصر في العصور الوسطى ص ٢٣٢ |
| (٣) | المقريزي | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٢٠ |
| (٤) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٥ |
| (٥) | د . عبد النعيم حسنين | سلاجقة ايران والعراق ص ٦٤ |
| (٦) | ابن خلكان | وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٦٤ |
| (٧) | ابن كثير | البدایه والنهایه ج ١٢ ص ١١٩ |
| | ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ٣٨ |
| | أبو الفدا | المختصر ج ٢ ص ١٩٤ |

حصاراً شديداً ودارت وهي الحرب بينهما . فلما تبين له عدم إمكان التغلب على تتش قرر العودة إلى مصر ^(١) . إلا أن ذلك لم يفت فسي عسده . فأعاد الكرة لاستعادة نفوذه على الشام . فتمكن عام ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م من الاستيلاء على سواحله ^(٢) . فاستولى على صور من أولاد القاضي عين الدولة بن أبي عقيل ، وعلى صيدا ثم على فككا وجبيل " فملكوها وأصلحوا أحوالها وقرروا قواعد ها واستعمل أمير الجيوش عليها الأمراء والعمال " ^(٣) . ولكن السلاجقة ردوا عليه بالمثل إذ حدث عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م قرر السلطان ملكشاه بالاتفاق مع أخيه تاج الدولة تتش واقعه قسم الدولة أقسمقر الاستيلاء على بعض ممتلكات الخيفة المقتنصر بالله ^(٤) . فاستولى على حصن وقلمتى عرفه ، وفاميه ^(٥) .

بيد أن سحر الانتصار الذي تحقق لتتش في بلاد الشام على عهد ملكشاه اطمعه في أملاك أقرانه من السلاجقة . فتطلع إلى امتلاك بلاد الجزيرة وفارس والعراق ^(٦) . فما أدى إلى وقوع الخلاف

- | | | |
|-----|----------------|-----------------------------------|
| (١) | ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ٤٩ |
| (٢) | د . سعيد عاشور | مصر في العصور الوسطى ص ٢٣٢ |
| (٣) | ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ٦٠ |
| (٤) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ١٠٨ |
| (٥) | د . جمال سرور | النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٦٣ |
| (٦) | ابن كثير | الهداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤٨ |

بينه وبين ابن اخيه بركياروق عام ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م . السدي عـرز
 الاسماعيليون من شأنهم في عهد (١) حتى اتهم بركياروق بمشايعتهم
 وبأنه يد الاسماغيين الاول في بلاد فارس واصفهان . كما اتهم بذلك
 ايضا بعض سلاجقة كرمان (٢) . وأما الاسماغلية فكثروا بالمسراق
 واصفهان واستنصروا وملكوا القلاع لاشتغال الاخوه محمد وبركسيا روق
 وسنجر بالقتال على الملك (٣) . ومن هنا نستطيع الوقوف على مسدى
 الدور الذي لعبه الاسماعيليون في التلاعب بمقادير امور دولة من اعظم
 الدول الاسلاميه التي ظهرت في بلاد الشرق في عصره الوسيط . . .
 الا وهي الامبراطوريه السلجوقيه .

وكيفما كان الامر فقد ادى مقتل تتش في حرب عـسام
 ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م الى اقتسام ملكه في بلاد الشام بين ولديه رضوان
 ودقاق (٤) . فاختص رضوان ٤٨٨ — ٥٠٧ هـ = ١٠٩٥ — ١١٣ بحلب .
 لما دقاق ٤٨٨ — ٤٩٧ هـ — ١٠٩٥ — ١١٠٣ . فكان نصيبه
 دمشق (٥) . ولكن الخلاف لم يلبث أن دب بينهما عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م .

- | | | |
|-----|------------|--|
| (١) | ابن خلكان | وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٦٤ |
| (٢) | البندارى | تاريخ آل سلجوق ص ٦٣ |
| (٣) | الذهبي | Sykes: A Hist. of Persia Vol. II. P. 119 |
| (٤) | ابن الجوزى | دول الاسلام ج ٢ ص ٢٣ |
| | ابن الاثير | المنتظم ج ٩ ص ٨٧ |
| | البندارى | الكامل ج ١٠ ص ٨٤ — ٨٥ |
| (٥) | ابن كثير | تاريخ آل سلجوق ص ٨٥ |
| | | البدایه والنهایه ج ١٢ ص ١٤٨ — ١٥٠ |

فطمع كل منهما في ملك الآخر . فاراد رضوان الاستيلاء على دمشق الا أنه عجز أمام حصانتها . فرد عليه دقاق يمثل فعلته هذه . فسار لمهاجمة حلب وحصار اخيه . فالتقى الجيشان في معركة عنيفة عند قنسرين (١) . وعلى اثر انتهاء الحرب بينهما بهزيمة دقاق اتفاقا على اقامة الخطبة باسميهما في دمشق " على ان يخاطب لرضوان قبل دقاق (٢) .

اذ من هذا العرض نفهم ان بلاد الشام ظلت ميدانا واسعاً تتصارع على مسرحه القوى الاسماعيلية مع القوى السلجوقية حتى نهايته عهد المنتصر بالله الاسماعيلي على وجه التقريب . ذلك العصر الذي شهد أحداثاً جساماً تغيرت لها معالم التاريخ الاسلامي على مستوى الصعيد العربي كله في منطقة تربعت على قلب العالم . وكانت لا تزال مصدر الإلهام لمختلف الحضارات الانسانية .

اما تلك الاحداث فتتمثل أولاً في موت المنتصر الاسماعيلي وما ترتب على ذلك من انشقاق خطير في البلاط الاسماعيلي وفي صفوف الدعوة . وقد سبق لنا بحث واقعه واسبابه وما ترتب عليه من نتائج وآثار . وثانيهما ظهور الحسنيين بن الصباح الذي قاد الفرقة الاسماعيلية النزارية والتي لعبت دوراً هاماً في تاريخ العالم الاسلامي في فارس

-
- | | | |
|-----|---------------|-----------------------------------|
| (١) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ١٩ |
| (٢) | ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ٩٣ |
| | د . جمال سرور | النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ٦٤ |

وأصفهان ومصر وبلاد الشام . أما ثالثها وهو الأهم فهو ذلك الغزو الأوربي الخطير لبلاد الشرق الاسلامي والمتمثل في الحروب الصليبية ، وما ترتب عليها من تغييرات شاملة في القوى الحاكمة ، وما لعبته من دور خطير في تشكيل الرقعة السياسية لخريطة الشرق العربي زهاء قرنين من الزمان أو أكثر .

الاسماعيليون يتخذون حلب مركزا جديدا لهم :

أوضحنا فيما سبق أن مدينة سلمية من بلاد الشام كانت هـى المقر الأول للدعوة الاسماعيلية السرية . فمنها خرج دعائهم السـى إضراف العالم الاسلامى حتى استقر بهم الامر فى بلاد المغرب على عهد خليفـهم الاول عبيد الله المهدي ليقيم هناك لأول مرة فى التاريخ خلافة اسماعيلية فتية اندفعت فيها بعد بكل قوتها لتغزو الكثير من الامصار الاسلاميه وغير الاسلاميه وعلى رأسها مصر وبلاد الشام (١) .

كذلك شهدت بلاد الشام فى غضون ذلك العصر حركات القرامطة الذين اعترفوا — الى حين — بسلطان الاسماعيليين (٢) . حتى ليعتقد كثير من الباحثين ان القرامطة فرع من الاسماعيليين (٣) . ولكن

-
- (١) د . سعيد عاشور مصر فى العصور الوسطى ص ١٨٢-١٨٥
(٢) ثابت بن سنان تاريخ اخبار القرامطة ص ١٣-١٤
(٣) د . محمد يحيى الهاشمى الامام الصادق ص ٦٩

القرامطة في حقيقة امرهم ليسوا الا فئة من المنشقين على الحكم
العباسي اتخذوا الاسماعيلية مذهباً لدولتهم التي اقاموها في
البحرين ليستمدوا منها العون والقوة ضد الخلافة العباسية
التابعة على حدودهم في بغداد . ذلك في الوقت الذي نجد بعض
احكام القرامطة قد نوا للخلافة العباسية في اواخر عهدهم بالحكم^(١)
وذلك مما يدعم رأينا في ان القرامطة ليسوا فرعا من الاسماعيليين
ولا الاسماعيلية كانوا من القرامطة .

ومهما يكن من امر فان الاسماعيلية لم تجد فرصة في بلاد
الشام الا وانتهازتها لتثبيت دعائم حكمها اولبت مبادئها ضد الحكم
السني القائم في البلاد . ولا يخيب عن فكرنا انه عندما ملك للاسماعليون
مصر عام (٣٥٨ هـ - ٩٦٩ م) ولوا وجههم شطر بلاد الشام ليقيموا على
المدى القريب او البعيد على حدود عدوتهم اللدود بغداد^(٢) . وقد
تيسر لهم ذلك فدخلوها على عهد البساسيري عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٩ م ،
واقبعت دعوتهم بها ورفعت راياتهم حوالى عام تقريبا^(٣) . الامر السني
ترتب عليه فرار الخليفة القائم بامر الله العباسي الى قرش بن سدران^(٤) .

-
- | | | |
|-----|-----------------|------------------------------------|
| (١) | ثابت بن سنان | تاريخ اخبار القرامطة ص ١٠٤ - ١٠٦ |
| | ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ١١٧ - ١١٨ |
| (٢) | د . سيد اسماعيل | الكاشف مصر في عصر الاخشيديين ص ١٢٩ |
| (٣) | المؤيد في الدين | سيدة المؤيد ص ٤٠ |
| (٤) | ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ١٤٦ |

ما ساعد البساسيري على الانقراض على قصر الخلافة " فسيرت شهابه
وعامته وغير ذلك من الاموال الى مصر " (١) . وقد ظلت هذه الاشياء
بها حتى استولى عليها صلاح الدين يوسف بن ايوب فبعث بها الى
ال خليفة المستفي . (٢) .

كذلك استطاعوا التأثير في حكام الموصل من قبل . فخطب
معتمد الدولة ابو المنيع قرواش بن مقلد للحاكم بامر الله الاسماعيلى
بالموصل والانباء وقصر ابن هبيرة والمدائن (٣) . وكان ذلك على عهد
القادر بالله العباسي . كما استطاع الظاهر لاعزاز دين الله الاسماعيلى
عام ٤٤٥ هـ / ١٠٣٣ م بث دعائه ببغداد عند اختلاف الاتراك بها
فكثرت دعائه هناك واستجاب لهم خلق كثير (٤) ومن هنا أصبح
للاسماعيليين اتباع ومستجيبون في مختلف ارجاء الشام . بالاضافة الى
ذلك فقد مر الحسن بن الصباح حال فراره من مصر بلاد الشام والمراق
واستطاع الاقامة في مدينه حلب فدعا الى مذهب امامه الاسماعيلى (٥) .

-
- | | | |
|-----|--------------------|------------------------|
| (١) | المقريزى | الخطط ج ١ ص ٣٥٥ |
| (٢) | المقريزى | الخطط ج ١ ص ٣٥٥ |
| (٣) | ابن ابيك الدوادارى | كنز الدرر ج ٦ ص ٢٨٣ |
| | ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ١٤٢ |
| (٤) | المقريزى | الخطط ج ٢ ص ٣٥٤ |
| (٥) | د . محمد كامل حسين | طائفة الاسماعيليه ص ٩٢ |
- Defremery: Essai sut L'Hist. des Isma. P. 67

وعليه فقد اخذت المبادئ والعقائد الاسماعيلية تقوى وتنتشر
فى بلاد الشام كلها واتت الاسماعيليين فرصة او بسدرت لهم بادرة •

بالاضافة الى ذلك كله فقد كانت بلاد الشام فى ذلك العصر
منقسمة الى امارات صغيرة متنازعة فيما بينها وتشاحنه متباغضه بسبب
مطامع الأمراء واحقادهم • فرضوان بحكم مدينه حلب ويسيطر عليه زوج
امه الامير جناح الدوله صاحب حمص • ودقاق بحكم دمشق ويدبر اموره
ايضا اتايكه وزوج امه طفتكين • وباغيسان يحكم انطاكياء وتقام الخطبه
فى دمشق وانطاكياء باسم رضوان قبل اسى اصحابهما • وعلى ذلك فسان
كل هذه الامور اوجدت جفوه خطيره فيما بينهم جيميعا • الامر
الذى سهل على دعاة الاسماعيليه التغلغل فى صفوفهم وتشبث اقدامهم
فى بلاط كل منهم على قدر الامكان •

هذا • • ويبدو ان اقليم الشام كان قد وضع من قبل فى اعتبار
ابن الصباح — المؤسس الاول للنزاريه ^(١) — ومدينه حلب بالذات • لأنها
تعتبر من اهم مدن الشام • ولأن ملك الشام يحصل بها " فمن ملك حلب
استظهر على بلاد الشرق " ^(٢) • لذلك لاضرر ان يركز الاسماعيليون
اهتماماتهم لامتلاكها والسيطرة عليها • او على اقل تقدير اخضاع

(١) Browne: A Lit. Hist. of Persia. Vol. 408 .P.

Lewis: Assassins of Syria .P. 577

(٢) ابو شامه البروضتين ج ١ ص ٤٧

حكامها لنفوذ دعوتهم وكان اقليم الشام — على ما نعتقد — يخضع من الناحية الروحية لاحد الدعاة الثلاثة الذين ولاهم ابن الصباح امر الدعوة . وقد تولى ابو طاهر الدعوة في الاراضي الشامية ^(١) . فأخذ يبتدع دعائه في تلك البلاد دون ان يحدد لمقامة مكانا بعينه . حتى وفد على حلب رجل يعرف بالحكيم المنجم أسعد . او كما اسماه ابن القلانيس " بالحكيم المنجم الباطني " . وقد ذكر نفس المؤرخ أنه كان صديقا للملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب ^(٢) . وهو اول من أظهر مذهب الباطنية في حلب والشام ^(٣) . فحسن لرضوان مذهب العلويين المصريين ، وافته رسل المصريين يدعونه الى طاعتهم ييسدوا له المال وانقاذ المساكر اليه ليملك دمشق ^(٤) . الامر الذي ترتب عليه اقامة الخطبة للخليفة المستعلي في حلب عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م مدة اربع جمع ^(٥) . ثم اعادها للخليفة المستظهر العباسي ثم للسلطان برکيا روقم لنفسه ^(٦) .

- | | | |
|-----|----------------|-----------------------------|
| (١) | سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٨ |
| (٢) | ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٤ |
| (٣) | سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤ |
| | ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦٩ |
| (٤) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٥٣ |
| (٥) | ابن كثير | البدایه والنهایه ج ١٢ ص ١٥٤ |
| (٦) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ١١٧ |

وعلى الواقع لقد كان ذلك الاضطراب السياسى فى البلد من دواعى تسهيل مهمة الحكيم المنجم • وكان سبب ذلك — على حد قول المقرئى مؤكداً ما جاء فى تاريخ ابن الأثير — أن الأمير رضوان إنما قصد من ذلك أن يستعين بعساكر مصر على اخذ دمشق من أخيه دقاق • إلا أن أنكار الأمير سقمان بن ارتق على رضوان عمله هذا أعاده إلى صوابه فأعاد الخطبه لخليفة بغداد • وقد اضاف المقرئى قائلاً " فكان مدة الخطبه للمستعلى أربعة أشهر " (١). بينما يؤكد ابن الأثير وأبو الفدا بأنها " كانت أربع جمع " (٢) .

إذا والحال كذلك ، كان لابد أن يستحوذ الحكيم المنجم على افكار رضوان وأن يسيطر عليه بداهة ومكره (٣). فكان أن وسوس له أن اخاه بهرام وصهره جناح الدولة يتآمران عليه ، وأنهما يريدان انتزاع حلب منه • كما زين له أن يستعد لملاقاة جموعهما ووعده الحكيم بمساعدة الموت • وفعلًا أرسل الاسماعيليون فى بلاد الشام السى الأمير رضوان يعدونه بكل مساعدته كذلك فقد تمادوا فى اغرائهم اياه فلقبوه بالسلطان (٤). فظن الأمير رضوان — جهلاً منه — أنه لا بأس وأن

(١) المقرئى
اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٩
Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P. 146

(٢) ابن الأثير
الكامل ج ١٠ ص ٩٣
أبو الفدا
المختصر ج ٢ ص ٢١٠
(٣) فيليب حتى
تاريخ العرب ج ٢ ص ٣٨٥
(٤) د • محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص ٩٣

يجى' يوم يتولى هو الاماره عليهم • وقد وصفه ابن العدين بقوله
 " واستمال الحكيم رضوان الى الباطنية جدا وظهر مذهبهم فسي
 حلب وشايعهم رضوان وحفظ جانبهم وصار لهم بحلب الجناة
 العظيم والقدرة الزائدة • وصارت لهم دار دعوة بحلب في ايامه •
 وكاتبه الملوك في امرهم فلم يلتفت ولم يرجع عنهم " (١). وعلى ذلك فقد
 " عظم شأنهم وصار كل من يجنى جناية منهم منعوه وحرسوه وكاتبوا
 الملوك في امره حتى يخلصوه • فكثرت بذلك اتباعهم واشتهر امرهم •
 واشتدت شوكتهم وصار الرجل منهم يلقي الرجل من غيرهم فينزعه عنه
 ثيابه ولا يقدر على الامتناع منه ولا يجد ناصرا • ويلقى احدهم
 المراء والصبي في الطريق فيقبضه ويذهب به اتي شاء ولا يقدر احد
 على استخلاصه " (٢).

من هذا العرض السريع يتبين ان الاسماعيليين استطاعوا فساد
 العلاقات بين رضوان وبين اقرانه من الملوك والامراء السلاجقة
 وولاتهم في بلاد الشام (٣). وعليه فقد غدت هذه البلاد مسرحا
 لعمليات الاغتيال على غرار ما حدث في بلاد الشرق • • • فسي
 فارس واصفهان •

-
- (١) ابن العدين زبدة الحلب ج ٢ ص ١٤٥
 Guyard: Un Grand Maître. P. 27
- (٢) ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ج ١ ص ٧١ مخطوط
- (٣) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٣١٣ - ٣١٥

وكان أن ساءت العلاقات فعلا بين الأمير رضوان وصهره جناح الدولة الأمر الذي أوقع بينهما ما يشبه الحرب ^(١) . حيث سار جناح الدولة عام ٤٩٦ هـ - ١٠٢٠ م إلى سرمين فالتقى بعسكر رضوان فهزمهم . ففر رضوان في كثير من جنده . في الوقت الذي أسر جناح الدولة الوزير أبا الفضل بن الموصول مع فريق منهم وحصلهم إلى حصص ^(٢) . ولكنه فشل في العثور على الحكيم الهنجم الذي كان قد رافق رضوان فحسب حيلته هذه حيث فر منهم عند محاولتهم القبض عليه . ومرجع ذلك - كما أفاد ابن العديم - أنه كانت في نفس جناح الدولة هبات من صهره رضوان منذ أن استنجد به الأخير بعد هزيمة الأتارب في شعبان عام ٤٩٢ هـ يورنيه عام ١٠٩٩ م . وكان قد توجه رضوان على الفور إلى حصص " مستنجدا بجناح الدولة فأجابته " ^(٣) . فعاد إلى حلب ومعه جناح الدولة . قد دخل رضوان مدينته دون أن يلتفت إلى جناح الدولة الذي رابط بظاهر حلب تلبية لنجدته . ولما لم يعره رضوان أي اهتمام اضطر أسفا للرجوع إلى حصص متحملا مشاق الرحلة . وقد دبر في نفسه أمرا .

(١) ابن الأثير P. 27 . الكامل ج ١٠ ص ٩٣
Gyar Guyard: Un Grand Maitre

(٢) ابن العديم زبداء حلب ج ٢ ص ١٤٥

(٣) ابن العديم زبداء حلب ج ٢ ص ١٤٤

وكان من الطبيعي ان ينتقم الاسماعيليون لانفسهم ولحليفهم
 رضوان من عدوه . وهنا كان لابد للخنجر ان يتحدث ليوجد جسوا
 آخر من رعب الباطنية في بلاد الشام . فذهبوا على الفور حملة لاغتصاب
 جناح الدولة للخلاص منه . فانتظروه في جامع حمص حتى نزل من
 القلعة لصلاة الجمعة الثاني والعشرين من شهر رجب عام ٤٩٥ هـ مايسو
 عام ١٠٢٢ م^(١) . وكان يحيط به خواصه واصحابه مزودين بسلاحهم .
 وبالرغم من كل ذلك فانه لم يكن يستقر في موضع مصلاه حتى شب عليه
 ثلاثة من الباطنية^(٢) . " وكان معهم شيخ كبير يدعون ويأتمرون بأوامره " ^(٣).
 وكان ذلك الشيخ — فيما يبدو — فائذا لتلك المجموعة من الفداويـه
 ومن الغريب انهم كانوا جميعا مرتدين ذى الصوفيه أو " زى الزهاد " .
 فانقضوا على جناح الدولة بخناجرهم فاردوه قتيلا فضلا عن ذلك فانهم
 قتلوا جماعة من رفاقه بالمسجد^(٤) . فكان جناح الدولة هذا أول
 ضحية للفداويه في بلاد الشام^(٥) . ويعزو ابن العديم — الذى كثيرا
 ما تحامل على الاسماعيليه — أن قتله " كان بأمر رضوان ورعا " ^(٦) . وهو

- | | |
|------------------------|--|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٣٥٢ |
| (٢) سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤ |
| (٣) ابن القلانسي | Guyard : Un Grand Maître . P. 27 |
| (٤) ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٢ |
| (٥) د . محمد كامل حسين | ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٢ |
| (٦) ابن العديم | طائفة الاسماعيليه ص ١١٤ |
| | Runicman: A Hist. of The Crusades. Vol.11P.120 |
| | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٤٦ |

الذى وصف " بأنه كان يستعين بالباطنية فى كثير من أموره لقلنسوة دينه " (١) . بل كان هو الأداء التى استخدمها الباطنية لتنفيذ اغراضهم على عهد فى بلاد الشام (٢) .

يعتبر اغتيال جناح الدولة بداية طور جديد من أطوار التاريخ الاسماعيلى فى بلاد الشام . اذ ان الذى جنى ثمار تلك الجريمة النكراء هم الصليبيون وحدهم (٣) . فقد كان جناح الدولة — كما وصفه الكثير من المؤرخين — مجاهدا شجاعا باشر الحروب بنفسه . وكان يعد العدة لطردهم من بعض الحصون حول طرابلس (٤) . ذلك ان ريموند صاحب انطرسوس كان قد فشل فى هجومه الاول على طرابلس لأخذها من صاحبها فخر الملك بن عمار عام ٤٩٥هـ / ١٠٢٠م (٥) . فعاد السيسى انطرسوس لرسم خطه لحملة قادمة . فقبلا عما قام به من توطيد مركزه فى الجهات المجاورة الانطرسوس " حيف فتحها وقتل من بها — من المسلمين " (٦) . فخرج فى ربيع عام ٤٩٥هـ / ١٠٢٠م للاستيلاء على

- | | | |
|-----|----------------|--------------------------------|
| (١) | ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ١٢٥ |
| (٢) | | Guyard : Un Grand Maître . P27 |
| (٣) | سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٣—٤ |
| | د . طه شرف | النزاريه ص ١٨١ |
| (٤) | ابو الفسندا | المختصر ج ٢ ص ٢٢٦ |
| (٥) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٥٥ |
| (٦) | ابن الأثير | الكامل ج ١٠ ص ١٢٠ |

فنادوا بأخيه ، لتصبح حصن من نصيب دقاق صاحب دمشق الذي اسرع اليها على الفور واحسن الى اهلها (١) . كما انه اتخذ من الاجراءات ما يقل نقل اهل جناح الدولة الى دمشق معززين ومكرمين (٢) . وبعد ذلك سلم البلد الى اتابكه طفتكين . ويحدثنا ابن العديم ان الحكيم المنجم مات بعد ذلك بحوالى أربعة وعشرين يوما (٣) . بينما نجد أن ابن القلانسي وابا المحاسن يؤكدا على أنه مات بعد مقتل جلناح الدولة بأربعة عشرة يوما (٤) . كما يقال انه قتل (٥) . على أية حال فإن الغموض حاط بشخص الحكيم المنجم فلم تسعفنا المصادر بحقيقة ما جرى له .

وتولى ابو طاهر بعد موت الحكيم المنجم امر الدعوة في حلب اى اصبحت على عهد قلب الاسماعيلية النابض في بلاد الشام (٦) . كان ابو طاهر اكثر جراءة واعظم اقدا ما من سلفه . كما كان على جانب كبير من النفوذ والسلطان عند حليفه رضوان (٧) . وقد تقاسم ابو طاهر زعامة العالم الاسماعيلي في بلاد الشام مع زميل له يعرف بابي الفتح

- | | | |
|-----|--|---------------------------|
| (١) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٢٥ |
| (٢) | سبط ابن الجوزي | مراء الزمان ج ٨ ص ٤ |
| (٣) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٥٩ |
| (٤) | ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٤٧ |
| (٥) | ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٢ |
| (٦) | ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦٩ |
| (٧) | Grousset: Hist. des Croisades. Vol. PL. 478 | |
| (٨) | ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٩ |
| | Runicman: A Hist. of the Crusades. Vol. II. P. 120 | |

السرميني الذي اتخذ من سرمين كرمنا له حيث تولى القضاء بها . وفي الواقع فقد لعب كل منهما دورا خطيرا في تنشئة تلك الجماعة فسي حلب^(١) . لكن يلاحظ ان الامير رضوان لم يستمر في موازرتة او احتفانته للباطنية بصفة مستمرة . فقد ساء موقفه امام السلطان محمد بن ملكشاه ، وبلغه حوالي عام ٥٠١ هـ / ١٠٧٠ م مذكربه لمشايخه الاسماعيليه وأنسه لعن لذلك في مجلس السلطان . فما كان منه - مدارة لموقفه - ألا ان امرأبا الغنائم شقيقا بي الفتح السرميني والذي اشترك في قتل خلف بن ملاعب بالخروج من حلب فيمن معه . فانسل وخرج في جماعة مسن اصحابه بعد ان قتل الكثيرون منهم^(٢) .

وكان ان لقي خلف بن ملاعب مصير جناح الدولة . وكلاهما كان قد تولى امر حصص . وان اختلفت ظروف ومواقع الاحداث وكان ابن ملاعب متوليا لامر حصص من قبل . الا ان رجاله أساءوا معاملة أهلها فضلا عن قطعهم الطرق على الناس منس المسافرين والرحاله والتجار . ولما كان ذلك العمل قد أساء الى تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وحلب سب ووالد كل من رضوان ودقاق ، فانه توجه الى حصص ليحدد موقفه من ابسن ملاعب فحضره فانتصر عليه^(٣) . وبذلك استطاع ان يستولى على البلد عام

-
- (١) د . طه شرف النزاريه ص ١٨٦
(٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٣
(٣) لم تكن هذه الاسباب فحسب هي التي دعت تتش للاستيلاء على حصص بل من بينها ومن اهمها هو اعلان خلف بن ملاعب الخطبه في البلد للخليفه المستنصر بالله الاسماعيلى : ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٠ .

٤٨٥ هـ / ١٠٩٣ م (١) . فتقلبت باين ملاعب الاحوال حتى دخل مصر على عهد الخليفة المستعلى بالله (٢) . ولما كان اهل فاميه قد اعتنقوا مذهب الاسماعيليين ، فقد قدم وفد منهم الى القاهرة يريدون ان يجهز اليهم من قبل امرهم . فوقع الاختيار على خلف بن ملاعب وكان ذلك عام ٤٨٦ هـ / ١٠٩٦ م (٣) .

بعد ان الامور لم تستقر بينه وبين السرميني قاضى فاميه — النزارى (٤) . فضلا عن ذلك فقد ساءت سيرته من جديد وعمست الفوضى مما دفع انصاره ورجاله الى العودة للسلب والنهب " فقطعوا الطرق واخافوا السبل وانضم اليهم كل مفسد " (٥) . فاتفق القاضى وجماعة من اهلها وكاتبوا الامير رضوان صاحب حلب — الذى اعتبر فى نظر كل المؤرخين انه عضد الاسماعيليه الاول (٦) . — ليرسل اليهم جماعة للتخلص منه (٧) . وبناء عليه ابى كل من رضوان وابى طاهر الدعوة فإرسلا

- | | | |
|-----|----------------|---|
| (١) | ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ٢١٢ |
| (٢) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٤٢ |
| (٣) | ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٢٢ |
| | المقريزى | اتعاظ الحنفى ج ٣ ص ١٨ |
| (٤) | سبط ابن الجوزى | مراة الزمان ج ٨ ص ١٦ |
| | | Grousset: Hist. des Croisades. Vol. P. 424 |
| (٥) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٢٨ |
| (٦) | ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١١٢ |
| | | Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P. 424 |
| (٧) | ابو الفدا | المختصر فى اخبار البشر ج ٢ ص ٢٣١ |

اليهم من استطاع الاجهاز على ابي ملاعب بقتله مع بعض اولاده وكسان ذلك في رجب عام ٤٩٩ هـ مارس عام ١٠٦٦ م (١) . وعلى الفور " نسادوا بشعار الملك رضوان " (٢) . وفي هذا ما يؤيد اشتراك رضوان الفعلي في تدبير جرائم الاغتيال هذه . وفي غمار المعركة الدامية التي حدثت بين انصار كل من الفريقين استطاع ابنه " مصبح " ان يفر الى شيزر ليقبض هناك فترة من الوقت (٣) . ثم ليرحل بعد ذلك للاستجداد بتكسر الذي اسرع الى قامييه ليجنى هو الاخر ثمار ما قترفه الاسماعيليون وليستولى عليها بدوره (٤) . وكان مصرع خلف بن ملاعب هذا ثاني الجرائم الباطنية في بلاد الشام . وعلى اثر امتلاك تانكرد لقامييه في الحرم عام ٥٠٠ هـ سبتمبر عام ١٠٦٦ م قتل ابي الفتح السرميني ضمن بعض انصاره (٥) .

- | | | |
|-----|--|---------------------------------------|
| (١) | ابن ميسر | تاريخ مصر ج ٢ ص ٤١ |
| | المقرئزي | اتحاط الحنف ج ٣ ص ٣٦ |
| | وقد صور | Grousset ان عدد الذين انفذوا لهذا |
| | الغرض كان حوالى ثلاثمائة فداعى وقد تزينوا بزي الفرس | الفرسان |
| | متظاهرين بانهم نجوا من احدى الغزوات الحربية ، فسللوا | بالفرار الى حصن اقاميه لقريه منهم |
| | Grousset : Histse ;
des Croisades. I. P. 424 | |
| (٢) | ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ١٥٠ |
| (٣) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٤٣ الذهبي ٢٨/٢ |
| (٤) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٤١٢ |
| (٥) | سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ١٧ ابن العديم ١٥٢/٢ |

على أنه لم يكن معنى أن الأمير رضوان أو عزاليهم بترك حلب على أنه القى بهم في بحر الظلمات . فقد كانوا لا يزالون ساعده اليمين في حفظ بلده ضد الطامعين فيه . دليل ذلك أنه استعان بهم فبنى حراسة قلعة حلب ضد اطماع مودود واحد بل قواد محمد بن ملكشاه الذي كان قد بعث بهما نجده لاهل الشام من اغارات الصليبيين (١) . حدث ذلك عندما وقع حصن الاغارب — وهو من أعمال حلب — في يد تانكرد عام ٥٠٤ هـ — ١١٠ م عقب استيلائه على فاميه (٢) . مما ترتب عليه ضعف الجبهة الحلبية ضعفا ملحوظا . فاستغل تانكرد هذه الفرصة فطلب الى رضوان الافراج عن أسرى الأرمن الذين وقعوا في قبضته عند اغارته على انطاكية عام ٥٠٤ هـ / ١١٠ م مع اسرى آخرين من الفرنج (٣) . فأذن رضوان لطلبه في بادى الأمر . مما أدى بتانكرد الى الاسترسال في طلباته وفرض شخصه على رضوان " فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين ألف دينار وغيرها من الخيل والثياب " (٤) . كما صالحهم صاحب شيزر على قطعة عشرة آلاف دينار (٥) . وصالحهم صاحب حماه — على الكردي —

(١) ابن الأثير الكامل ج ١٠ ص ١٧٠
Rn Runciman: A Hist. of the Crusades. Vol. II. P. 121

(٢) ابن الوردي تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٢٠
(٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٤١٩ — ٤٢٠
(٤) ابن الأثير الكامل ج ١٠ ص ١٧٠
(٥) ابن العديم زبدة حلب ج ٢ ص ١٥٧

على الفى دينار^(١) . كما دخل امير صور فى عقد الصلح " على شىء " ^(٢) . وبعد ذلك بمشابة استسلام مشين من رضوان والامراء الذين ذهبوا مذهبهم .

وكان ان ترتب على ذلك ان ضاق الحلبيون ذرعا بكل هذه التصرفات فضلا عن ذلك فقد ضعفت الحالة الاقتصادية فى حلب بسبب كثرة الفتن الاسماعيلية وتلاعبهم بشئون الحكم " واقبالهم على احراق الاسواق وبيوت التجاره والتي كانت احدى الجوائح التي اصابته بسبب واهلها " ^(٣) . الامر الذى ادى بهم الى الاستغاثه بالسلطه الحاكمه فى بغداد لتتقدم من نير العذاب الذى وقعوا تحت وطاته . فساد وقدمتهم مستغربين على الفرنج " ^(٤) . فلما وصلوا بغداد اجتمع بهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم . فقصدوا جامع السلطان مستغيثين . فكثرت الضجيج وبطلت الجمعة ^(٥) . فضلا عن كسرهم المنبر ^(٦) . امام ذلك كان لابد وان تلبى بغداد دعوة الجهاد ^(٧) فجهز السلطان محمد بن ملكشاه فسي

-
- | | | |
|-----|--|---------------------------------|
| (١) | ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ٢٣٦ |
| (٢) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٣٢ : وقد اوضح |
| | ابو الفدا ان امير شيزر صالحهم على اربعة آلاف دينار وصالحهم | |
| | اهل صور على سبعة آلاف دينار : المختصر ٢/ ٢٣٦ . | |
| (٣) | ابو شامه | الروضتين ج ٢ ص ١٦ |
| (٤) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٧٠ |
| (٥) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٣٢ |
| (٦) | ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٤ |
| | Grousset: Hist. des Croisades. Vol. II. P. 461 | |
| (٧) | ابن كثير | البدایه والنهایه ج ١٢ ص ١٧٣ |

لواخر عام ٥٤٠ هـ / ١١١١ م . جيشا للذب عنهم ^(١) . فكان اول من وصل
مودود بن التوتتاش اتابك الموصل بعسكره الى شيختان . " ووصل احمد
يل الكردي في عسكر ضخم " ^(٢) . فلاطفه جوسلين بهال وهدينه وان
يبدل له الكون معه والميل اليه فاجابه الى ذلك على كراهية من باقى
الامراء ^(٣) . الا ان الاتابك مردود استطاع فى تلك الاثناء فتح تل
قراد وبعض الحصون . ذلك فى الوقت الذى اتفق وصوله مع وصول
احمد ييل الكردي وسقمان القطبي . فعبروا الى الشام ^(٤) . وعلى الفور
نزلوا الى تل باشر فحاصروها حتى اشرفت على الوقوع فى أيديهم ولكنهم
رحلوا عنها ^(٥) . نتيجة لتداوى احمد ييل مع جوسلين وموت سقمان على
الطريق .

وقد حدث فى ذلك الوقت ان وردة رسالة الملك رضوان السى
مودود واحمد ييل " اننى قد تلقت وأريد الرحيل من حلب فهايروا السى
الرحيل " ^(٦) فحسن لهم احمد ييل الرحيل عنها بعد ان اشرفوا على

- | | | |
|-----|----------------|-----------------------------|
| (١) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣١٦ |
| (٢) | ابن الاثير | الدولة الاتابكية ص ١٧ |
| | ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٢٥ |
| (٣) | ابن القلانص | ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٥ |
| (٤) | ابن كثير | البدایه والنهایة ج ١٢ ص ١٧٣ |
| | ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠١ |
| (٥) | ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٩ |
| (٦) | ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٩ |
- Grousset: Hist. des Croisades . Vol. I. P. 462

أخذها • ولما وصلوا الى حلب " اغلق رضوان ابواب البلد ولم يجتمع بهم " (١) ، وأخذ الى القلعة رهائن عنده من أهلها لئلا يسلموها (٢) . كما أنه " رتب قوما من الجند والباطنية الذين فى خدمته لحفظ سور البلد ومنع الحلبين من الصعود اليه " (٣) . وفى ذلك دلالة واضحة على أنه كان للاسماعيليين فى حلب من السطوة والقوة والمنعة ما يستطيعون معه التدخل فى شئون حلب حتى فى اخرج اللحظات مما انعكست اثاره السيئة على الجيش الزاحف فيما بعد • فقد ادى وقوفهم بجانب رضوان أن خرج على الصف العربى وتحالف مع تانكرد Tancred ضد الغزاة مسن المسلمين (٤) . ولو اننا نلتمس له عذرا فى تصرفه هذا بسبب انهم عند ما نزلوا على حلب " عاثوا فى بلادها وفعلوا اقبح من فعل الفرنج " (٥) .

لم يكن رضوان هو الذى خشى جيش مودود فحسب بل خافسة طفتكين صاحب دمشق ايضا • ذلك انه " لما رأى كثرة عسكره خاف ان يأخذ منه دمشق " (٦) . اذا والحال كذلك كان لابد ان تفشل تلك الحملة

- | | | |
|-----|----------------|--|
| (١) | ابو الفدا | المختصر فى اخبار البشرج ٢ ص ٢٣٦ |
| (٢) | سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦ |
| (٣) | ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٩ |
| (٤) | د • سعيد عاشور | Grousset: Hist: des Croisades . Vol. I. P. 462 |
| (٥) | سبط ابن الجوزى | الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٦٣ |
| (٦) | ابن الاثير | مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦ |
| | | الدولة الاتاكية ص ١٢ |

أخذها • ولما وصلوا إلى حلب " أغلق رضوان أبواب البلدة
ولم يجتمع بهم ^(١) • وأخذ إلى القلعة رهائن عنده من أهلها لئلا
يسلموها ^(٢) • كما أنه " رتب قوما من الجند والباطنية الذين في خدمته
لحفظ سور البلد ومنع الحلبيين من الصعود إليه ^(٣) — وفي ذلك دلالة
واضحة على أنه كان للأسماعيليين في حلب من السطوة والقوة والمنع
ما يستطيعون معه التدخل في شئون حلب حتى في أخرج اللحظات مما
انعكست آثاره السيئة على الجيش الزاحف فيما بعد • فقد أدى وقوفهم
بجانب رضوان أن خرج على الصف العربي وتحالف مع تانكر
ضد الفزاة من المسلمين ^(٤) • ولو أننا نلتصق له عذرا في تصرفه هذا
بسبب أنهم عندما نزلوا على حلب • عاشوا في بلادها وفعلوا أفعال مسنة
فعل الفرنج ^(٥) •

المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ٢٣٦

مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦

زبدة حلب ج ٢ ص ١٥٩

الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٦٣

مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦

(١) أبو الفدا

(٢) سبط ابن الجوزي

(٣) ابن العديم

(٤) د • سعيد عاشور

(٥) سبط ابن الجوزي

لم يكن رضوان هو الذي خشي جيش مودود فحسب بل حافة
ظفكتين صاحب دمشق ايضا . ذلك انه " لما رأى كثرة عسكره خاف
ان ياحذف منه دمشق (١) . اذا والحال كذلك كلن لابد ان تفشل
تلك الحملة بسبب عدم اخلاص ورضوان صاحب حلب وظفكتين صاحب
دمشق (٢) . واختلفوا ورجعوا فبئس ما فعلوا لانهم طمعوا في المسلمين
عسكر الفرنج (٣) . فعاد مودود الى الموصل (٤) . حتى كانت عام
٥٠٧ هـ / ١١٣ م حينما اختلف ظفكتين وبلدوين الاول
حول صور (٥) . فاستجد ظفكتين - الذي تولى امر دمشق
بعد وفاة صاحبها دقاق عام ٤٩٧ هـ / ١٠٤ م (٦) . فلبى مودود على
الفور داعى الجهاد (٧) . فعبر الفرات عند منتصف المحرم ٥٠٧ هـ
يونيو ١١٣ م ليلتقى بطفكتين وبعض جيوش السلاجقة على طبرية
في المحرم عام ٥٠٧ هـ / ١١٣ م (٨) وعلى اثر معركة ضاربه انزل فيها
المسلمون الهزيمة بجيش بلدوين
عاد مودود صحبة
ظفكتين الى دمشق (٩) . ذلك بعد ان قرر تسريح بقية الجيوش
للراحة على امل العودة للغزو والجهاد في الربيع القادم (١٠) .

- | | |
|--------------------|--|
| (١) ابن الاثير | الدولة الاتابكية ص ١٧ |
| (٢) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٧١ - ١٧٢ |
| (٣) الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٣٣ |
| (٤) ابو الفدا | المختصر ج ٢ ص ٢٣٦ |
| (٥) سبط ابن الجوزى | مراة الزمان ج ٨ ص ٤٢ |
| (٦) ابن كثير | البداية والنهاية ج ٢ ص ١٦٣ - ١٦٤ |
| (٧) الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٣٤ |
| (٨) ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٥ |
| (٩) سبط ابن الجوزى | Grousset: Hist. des Croisades Vol. I. P. 484-485
مراة الزمان ج ٨ ص ٤٢ |
| (١٠) ابن الاثير | التاريخ الباهر ص ١٩ |

وهناك في دمشق يضع القدر نهاية ذلك المجاهد الكبير . فقد
 وشب عليه احد الباطنية . جاءه في زى سائل فطلب منه شيئا فاعطاه^(١)
 فلما اقترب منه طعنه طعنه نكرا . اثناء صلاة الجمعة الموافق السادس
 والعشرين من ربيع الاخر عام ٥٠٢ هـ العاشر من اكتوبر عام ١١١٣ م
 اودت بحياته^(٢) . ويقف الجميع في صحن المسجد مبهمين وشتمين مما
 حدث . وتدور حياثل الاتهام حول طغتكين بان له يدا في ذلك
 ولكن كما هي العادة لم يخل الجرم منصف . وكان . . . صاحب
 المراء . . . ف قيل ان الباطنية بالشام خافوه فقتلوه^(٣) . وقيل بل خافه
 طغتكين فوضع عليه من قتله^(٤) . وعلى كل فان الراي العام الاسلامي
 فيما عدا صاحب المراء اتهم طغتكين اتهاما صريحا بالتدبير لقتله^(٥) .
 وكان امر على الفور باحراق جثته^(٦) . اما صاحب المراء فانه بنفسه
 هذه التهمة عن طغتكين نفيا قاطعا . وذكر بعضهم ان اتاك خفاف
 منه فوضع عليه من قتله . وليس بصحيح . فان طغتكين كان احسب
 الناس اليه وحزن عليه حزنا لم يجزئه احد وشق شوقه عليه وجلوس فسي

- | | |
|--------------------|---|
| (١) ابن كثير | البداية والنهاية ج ٢ ص ١٧٣ . |
| (٢) ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٧ |
| | Grousset. Hist. des Croisades. Vol. I. P. 485 |
| (٣) ابن خلكان | وفيات الاعيان ج ١ ص ٢١٨ - ٢١٩ |
| (٤) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٢٤ |
| ابو الفدا . | المختصر ج ٢ ص ٢٣٧ - |
| (٥) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٧٦ |
| (٦) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٢٣ |

عزائه سبعة ايام • وتصدق عنه بمال جزيل (١) • وقد حدد المؤرخ عينه هوية القاش بانه كان رجلا من بين الناس لا يؤبه له ولا يحتفل به • فقرب من مودود كأنه يدعوه ويتصدق منه فلزم ببند قبلكه وضربه بخنجر اسفل سرتة ضربتين احداهما نفذت الى حاصرته واخرى الى فخذه (٢) •

اما فيما يختص بقطع رقبة القاتل • فقد اوضح اكثر من مؤرخ ان سيوف المحيطين بمودود اخذته من كل جانب (٣) • وقطع راسه ليعرف شخصه فما عرف واضرمت له نار فالقى فيها (٤) • واذا اشارت اصابع الاتهام الى طغتكين • فمرجع ذلك ان طغتكين كان قد عد اخطوات وقت الكائنة واحاط به اصحابه (٥) وكان لاغتياله رخصة سمعت اصداؤها في الاوساط السلبية • • فبعث يبدوين يسخر من اقدام المسلمين على اغتيال زعمائهم في اشد الاوقات حرجا فكتب الى طغتكين ان امه قتلت عميدها عفى يوم عيدها في بيت

-
- | | |
|--------------------|--|
| (١) شبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١ — القباء : هو القفطان |
| (٢) شبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١ |
| (٣) ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠٧ |
| (٤) ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٧ |
| (٥) ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٧ |
| شبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١ |

معبودها لتحقيق على الله ان يببدها (١) . وقد افاضت المصادر المختلفة في ترديد هذه العبارة مما يدل على انها كانت ماثرة حديث الاوساط الاسلامية . ويقتل مودود تخلص الفرنج من عدد وخطير كان له الشان للاعظم في كل حربه او تعامله لا معهم .

وكما افاد الفرنج من اغتيال كل من جناح للدولة صاحب حصن ، وخلف بن ملاعب صاحب قامييه . فقد افادوا ايضا من قتل مودود . فقد ترتب على مضرته ان ارتقى طغتكين في احضانهم (٢) . والدليل على ذلك معاهدة الصلح التي وقعت بينه وبين بلدوين عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م (٣) . حتى وصفه المؤرخون بانه " خلع طاعة السلطان وعاضد الفرنج (٤) . وما ذلك كله الا ليامن كل منهما جانب الاخر (٥) . وان كان ذلك لا يمنع انه قلق لمقتل مودود . (٦)

-
- | | |
|--------------------|---|
| (١) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٢٥ |
| (٢) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٥ |
| (٢) د . سعيد عاشور | الحرقة الصليبية ج ١ ص ٣٢٣ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٢٧ |
| (٤) الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٣٧ |
| (٥) د . حسين مؤنس | " يلاحظ ان من اهم الاسباب التي دعت الى عقد معاهدة صلح مع بلدون ، هو ان السلطان ملكشاه نفسه . نسب اليه قتل مودود فاراد الامتناع به لابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٢٧ . |
| (٦) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٨ |

كذلك اقبل الباطنية على اغتيال زعيم اسلامي اخر كان على درجة كبيرة من الخلوة والمكانة السياسية والعسكرية والاجتماعية في مجتمع هواشد ما يكون بحاجة الى امثاله من القادة الاقذاز — الا وهواق سنقوا البرسقى صاحب الموصل وحلب^(١) . وكان البوسقسي قد انضم الى طغتكين بناء على استجداد شمس الخواص صاحب دفينه في صفر عام ٥٢٠ هـ / مارس عام ١٢٦٦ م ضد الامير بونس — ز Pons صاحب طرابلس^(٢) . فخرج البوسقى من الموصل الى بلاد الشام ليتجه مباشرة الى انطاكية . فحاصر حصن الارب . فاستولى على اجزاء منه في جمادى الآخرة (يولييه) من نفس العام^(٣) . ولكنه استجاب للمهدنة التي طلبها بلدون Baldwin فانسحب من حصن الارب على ان يرحل عن هذا الموضع ويتفقوا على " ما كانوا عليه في العام الخالي^(٤) . فعاد الى الموصل ليعد الموقع اخر من مواقع الجهاد ضد الصليبيين^(٥) . ولكن الباطنية لا كانوا في انتظاره ليستقبلوه بسكاكينهم وخناجرهم ، في زى الزهاد ايضا^(٦) . ونفى

-
- (١) ابن الاثير شذرات الذهب ج ٤ ص ٦١
 (٢) Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P. 629
 (٢) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٢٤
 (٣) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٢
 (٤) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٤٨ — ٢٤٩
 (٤) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٢ — ٢٣٣
 Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P. 642
 (٥) نصت المهدنة المنوه عنها والتي وقعت بين البرسقى والفرنج على ان يناصفهم جبل الساق وغيره مما كان بايدي الفرنج وكان ذلك عام ٥١٩ هـ / ١٢٥٥ م . ابن العديم : زبدة الحلب ٢ / ٢٣١ .
 (٦) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٢

جامع الموصل حيث كان يؤدى صلاة الجمعة العشرين من ذى القعدة
عام ٥٢٠ هـ ٧ د يسمبر عام ١٢٦١ م ، غار دوده قتيلا . وقيل كان
مصرعه فى التاسع من ذى القعدة (٢) . ونى قول اخر فى الثامن منه (٣) .
وعلى كل فان اغتياله وافقيهم د خوله الموصل (٤) .

ولما كان البوسقى يسيطر بجانب الموصل على حلب والتي تولى
امرها بناء على طلب اهلها (٥) . وكان الفرنج قد حاصرها فى ذى -
الحجة ٥١٨ هـ يناير ١٢٥٥ م ليستولوا عليها ، فكاتبه اهلها بعهد
ان " قلت الاقوات عندهم واشرفوا على الهلاك ، فسار اليهم فسي
عسكره وجنده (٦) . فخرج الفرنج الى مغادرتها " فسلمها اليه اهلها
لذلك فان البلد اعتمر لمقتله ، فضلا عن انه تعرض لهجوم صليبي
من جانب بوهندى الثانى اميرانطاكيا
وجوسليني اميرالرها (٨) . والغريب ان البرسقى
كان قد احترز من الباطنية بالرجال والسلاح والجاندرايه (٩) .

- | | |
|--------------------|--|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ص ٢٦٢ |
| (٢) ابن خلكان | وفيات الاعيان ج ١ ص ٢١٩ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥ |
| (٤) ابن القلائس | ذيل تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢١٤ |
| ابن القديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٤ |
| (٥) ابن العديم | Grousset: Hist. des Croisades. P. Vol. I. P. 644 |
| (٦) ابن الاثير | زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٠ |
| (٧) سبط ابن الجوزى | الكامل ج ١٠ ص ٢٢١ - ٢٢٢ |
| (٨) د . سعيد عاشور | مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٣ |
| (٩) سبط ابن الجوزى | الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٦١ - ٥٦٣ |
| ابو المحاسن | مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٦ |
| | التجويد الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٠ |

ولقد نال البوسقى اعجاب اكثر من مؤرخ • فقد وصفه ابو الفدا
بانه كان شجاعا دينا حسن السيرة من خيار الولادة ^(١) • والدليل على
تدينه انه راي في تلك الليلة فيما يرى النائم عدة كلاب ثاروا به " فقتل
بعضها ونال منه الباقى ماداده ^(٢) • فلما قص رؤياه على اصحابه اشاروا
عليه بترك الخروج من داره بعض ايام • لكنه ردهم بقوله " لا اترك
الجمعة لشيء ابدا ^(٣) • وكان من عادته ان يحضر الجمعة مع العامة
في المسجد • فوقع ما كان قد رآه ليلة البارحة • ويقال انه قتل بيده
ثلاثة من قاتليه ^(٤) • كما انه كان عادلا في الرعية • وكان على حد تعبير
صاحبى المرأة والنجوم الزاهرة فقد نال احترام الخلفاء والملوك على
السوءاء ^(٥) • وقد اتهم الوزير الدركزنى بالتدبير لقتله على يد انصاره
من الباطنية " فجل به مصاب المسلمين ^(٦) •

المختصر ج ٢ ص ٢٣٨

الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥

زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٣٥

الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥

مرآة الزمان ج ٨ ص ١٢٦

النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٠

تاريخ ال سلجوق ص ١٣٢

(١) ابو الفدا

(٢) ابن الاثير

(٣) ابن العديم

(٤) ابن الاثير

(٥) سبط ابن الجوزى

ابو المحاسن

(٦) البندارى

وكانت هذه ذروة المأساة التي وضت قواد امراء المسلمين في تلك الوقت اذ نتج عن تخوفهم من بعض وترصدهم لبعض وجود ثغرات خطيرة وعديدة بل وعميقة استطاع الاسماعيليون والصليبيون على السواء النفاذ منها لنيل اغراضهم وتحقيق اهدافهم المتعددة الجوانب والاهداف (١)

وبما ثبت سيطرة الاسماعيليين على الامير رضوان وتدخلهم ، تدخلا مباشرا في شئون بلاده وتلاعبهم بامورها ما حدث مع التاجر المشرقي المعروف وبابي حرب عيسى بن زيد بن محمد الخجندی الذي قدم الى حلب في غضون شهر ربيع الاول عام ٥٠٥ هـ = سبتمبر عام ١١٠٠ م ، ومعه حوالي خمسمائة حمل من اصناف المتاجر الشرقية المختلفة (٢) . وكان ذلك الرجل شديد الكراهية للباطنية (٣) . وقد صحبه في تلك الرحلة من خراسان احد الباطنية ويدعى احمد بن نصر الرازي كان قد قتل اخ له بواسطة رجال الخجندی في الثورة التي قام بها ضد هم الفقيه الشافعي ابو القاسم مسعود محمد الخجندی — باصفهان عام ٤٩٤ هـ / ١٠٩٣ م (٤) . وفور دخولهم حلب اتصل احمد

(١) د. سعيد عاشور

(٢) ابن الفرات

(٣) ابن العديم

(٤) ابن الاثير

الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٢٣

تاريخ الدول والملوك ج ١ ص ٥٨

زبدة الحلب ج ٢ ص ١٦٢

الكامل ج ١٠ ص ١٠٩

بابي طاهر الصانع رئيس الباطنية فيها والذي كان متمكنا من
صاحبها برى من اى تهمة فى شأنه . اذ هو معروف بكرههته ،
وبغضه لهم (١) . وعلى العادة سار رضوان فى غيبه نحو تشجيع
الباطنية طمعا فى مال التاجر . فبعث غلمانا يتوكلون به . كذلك
سير ابو طاهر معهم جماعة من اصحابه حاشيه . انه باحمد بن نصر
الرازي الباطنى ينقض عليه فى جماعة من اصحاب ابى طاهر . لكنه لم
يستطيع تنفيذ جريمته كاملا ليقظه : حاميه التاجر الذين وثبوا عليه
فاردوه قتلا فى جماعة من موافقيه (٢) .

وقد ادت تلك الجريمة الفاشلة الى انفجار ثورة شعبية - ادمت
هدم الاسماعيليه فى الببد . كما انه يبدو ان ابا حرب هذا - يحكم
مركزه الاقتصادى - كان معروفا لكل ملوك وامراء الشام حيث ابلغهم
جميعا بكل ما وقع له فى حلب " فتوافر رسلهم الى رضوان ينكرون
عليه . فانكر وحلف انه لم يكن له فى هذا الرجل نية . (٣) .

ومهما يكن من امر فان الوضع لم يستمر بالنسبة لهم فى حلب ،
فقد قضى عليهم قضاء شبه ميرما على عهد ابنه الب ارسلان السذى
تولى الحكم عقب وفاة والده رضوان عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م (٤) .
وذلك حينما دفعه السلطان محمد بن ملكشاه الى ذلك (٥) . وكان

- | | |
|--------------------|------------------------------|
| (١) ابن القرات | تاريخ الدول والملوك ج ١ ص ٥٨ |
| لويس | الديعة الجديدة ص ١١٩ |
| (٢) ابن العديم | زبدية الحلب ج ٢ ص ١٦٢ |
| (٣) ابن العديم | زبدية الحلب ج ٢ ص ١٦٣ |
| برنادو لويس | الديعة الجديدة ص ١١٩ |
| (٤) ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٩ - ١٩١ |
| ابن ابيك الد وادرى | كنز الدرر ج ٦ ص ٤٧٧ |
| (٥) لبوالمحسن | النجم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠٦ |

السلطان محمد قد بيت النية للقضاء عليهم منذ ان كتب اليه اخوه
سنجر . ان هؤلاء لا يبقون على ولا عليك والواجب قلعهم من الارض
وابادتهم (١) . فكانت مذبحة حلب .

وكان الرئيس ابن بديع صاحب الشرطة في حلب الدور الاكبر
في اذكاء نار الثورة ضدّهم . فقد اتفقوا به مع لما جاء في كتاب محمد بن
ملكشاه لابن اخيه الب ارسلان . وكان والدك يخالفني في الباطنية وانت
ولدي فاحب ان تقتلهم (٢) . ذلك في نفس الوقت الذي " اشهر
البديع رئيس حلب على لؤلؤ والصبي يقتل كل من في حلب منهم -
واغلق دار الدعوة (٣) . فاتخذ الرايان على تنفيذ مخططها ضد
الاسماعيلية (٤) . فتم القبض على ابي طاهر وقتله . كما قتل اسماعيل
الداعي وبعض كبارهم (٥) . كذلك تم القبض على زهاء مائتى نفس منهم
وسجن بعضهم واستنصفى اموالهم (٦) . وفي نفس الوقت هرب منهم -
جماعة فتفرقوا في البلاد (٧) . اما ابراهيم الداعي ففر هاربا من
القلعة الى شيرز (٨) .

- | | |
|--|---------------------------|
| (١) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٢ |
| (٢) ابن العديم | زيد حلب ج ٢ ص ١٦٨ |
| (٣) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٧ |
| Grousset: Hist des Croisades. Vol. I. P. 478-479 | |
| (٥) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٢٢ |
| (٦) ابن الاثير | الكامل ج ١ ص ١٧٥ |
| (٧) سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٨ |
| (٨) ابن القلائس | ذيل تاريخ دمشق ١٩٠ |

ولكنه بالرغم من وقوع تلك المذبحة الخطيرة ، فانهم ظلوا مصدر خطر في المنطقة . كما انهم ظلوا محتفظين ببعض من تماسكهم في بعض اطراف حلب . وكعادتهم لم يتهاونوا في اخذ الثار . فتربصوا بابن البديع ليسقوه من نفس الكاس التي شربوا واساقعهم منها .

بيد ان الحظ كان قد لعب معهم دورا هاما في ذلك . فقد نجس عن استنجاد الب ارسلان بطغتكين اتاك دمشق لحفظ الامور فسي حلب تغييرات شامله في القيادات الرئيسية فيها ^(١) . وكان من اهم نتائجها القبض على الرئيس ابن البديع وايداعه السجن . ولكن لم يلبث ان افرج عنه اثر محاولة الانتحار في سجنه ^(٢) . فخرج مع اهله في قطيع من الليل قاصدا مالكا ابن اسلم صاحب قلعه جعبر ليتوجه من هناك الى ايلغازي فيطلب اليه المتوسط في عودته الى حلب التي كان قد ساءت حالها . وعلى طريق معبره الغرات تريمى له ثلاثة من الباطنية . فوثب عليه رجلان منهم فطعناه بخناجيهما طعنات عدة . ولكنهما قتلا بيد اثنين من اولاده المرافقين له . كما اقتل ابن بديع واحسد اولاده وجرح اخر ^(٣) .

ذيل تاريخ دمشق ص ١٩١

زبداء حلب ج ص ١٢٠

زبداء حلب ج ص ١٨٦

(١) ابن القلانص

(٢) ابن العديم

(٣) ابن العديم

والذى يلفت النظر فى ذلك الموضوع هو تخطيط الاسماعيليين له تخطيطا دقيقا ومحكما . اذ انه عندما حمل الابن الجريح السى القلعه كان فى انتظاره من القداويه من وشب عليه فارداه قتيلا (١) . فلما القى القبض عليه انتحر على الفور بالقاء نفسه فى غله من حراسه فى الفرات (٢) . وكان من عادة شيخ الجبل ان يبعث الى اعدائه بثلاثة من فدائيه بحيث اذا فشل احدهم ادى الاخران المهمه على اكمل وجه (٣) . وقد اتهم الاصفهاني الوزير الدرگزى ايضا * بالمشاركة فى التحريض على قتله (٤) . ونستطيع تحليل اقدام الاسماعيلى على الانتحار بانه كان يقصد اخفاء اسرار الجريمه ودوافعها من ناحية وحتى لا يقع تحت طائلة تعذيب الحكام او استجوابهم من ناحية اخرى ، وحتى لا يكشف سر من حوله من الاسماعيليين .

ومن الغريب ان يتخذ الباطنيه وزراء السلاجقه وامرائهم مطيه يحققون عليها اغراضهم فى النفاذ التى اعماق الحكم والحكام (٥) . مثال .

(١) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٨٧
Grousset: Hist. des Croisades. Vol. P.P. 480
(٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٨٧

برناد وليوس . الدعوة الجديدة ص ١٢٠ - ١٢١

(٣) Browne: A Lit. Hist. of Persia. Vol. I. P. 209 - 210

(٤) البندارى تاريخ ال سلجوق ص ١٣٢

(٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٠ - ٥٥١

ذلك اتخذهم الوزير الدركزىنى طريقا الى بلاط السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه واخيه السلطان طغر بك من بعده^(١) . وفيما يسدوا انهم تبادلوا المنافع .

فلستعان بهم الوزير الدركزىنى للاخلاص من بعض من خشى ياسهم . فمثلا قتلوا — بوحى منهم — عم الكاتب العماد الاصفهاني احمد بن حامد بن محمد ابو نصر المستوفى المعروف بالعزيرز وقد قبض عليه في سلطنه محمود بن محمد بن ملكشاه . وكان صديق الوزير الدركزىنى فحبسه بقلعه تكرت . فما زال محبوسا حتى مات محمود واجلس الدركزىنى اخاه طغر بك في السلطنة^(٢) . فاعز للسلطان الجديد بقتله . فخنق خنقا وقيل سم وميل دخل عليه قوم من الباطنية فقتلوه^(٣) وكان ربك بالمرصاد فقد وصى الواشى بالدركزىنى عند طغر بك فامر به فصلب بعد اربعين يوما من قتل العزيز^(٤) . وهذا الامر دل على شىء انما يدس على ان الباطنية استطاعوا ان يلعبوا بكل مندرات الامور في تلك الفترة من تاريخ الدولة الاسلامية .

تاريخ نل سلجوق ص ١٣١

مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٠

مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٠

مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٠

(١) البندارى

(٢) سبط ابن الجوزى

(٣) سبط ابن الجوزى

(٤) سبط ابن الجوزى

لم يكن هناك يد لاسماعيليه حلب بعد تلك الحوادث الدامية من الفرار الى معقل اخر اكثر امانا واعم استقرارا . فهرب اكثرهم السي شيزر (١) . وقد سبقهم اليها الداعي ابراهيم بن اسماعيل العجمي (٢) . وكان من كبار دعاة حلب على عهد لملك رضوان (٣) . وقد استطاع ابراهيم هذا ان يجمع فلول الاسماعيليين من اهالى حلب وفاميه وسرمين ومعرة النعمان ومعرة مصرين وغيرها (٤) . وقد بدا واضحا من تجمعهم في شيزر محاولة الاستيلاء على قلعتها (٥) . غير انهم فشلوا فسي خطتهم فطردوا من المدينة بعد ان قتل منهم عدد غير قليل (٦) فرجع بعضهم الى حلب بزعامة الداعي ابي محمد من دماج الذى ربطته صداقه عريقه بالامير بلغازى اتقا لشهرهم حيث كانوا يقتلون كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم (٧) .

-
- | | |
|---|---------------------------------|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٤٢٢ — ٤٢٣ |
| (٢) مصطفى غالب | سنان راشد الدين ص ٩١ |
| (٣) د . Grousset: Hist. des Croisades: Vol. I. P. 479 | |
| (٤) مصطفى غالب | سنان راشد الدين ص ٩٢ |
| (٥) اسامه بن منقذ | د . طه شرف : النزاريه ص ١٩٨ |
| (٦) د . سعيد عاشور | كتاب الاعتبار ص ١٥٩ — ٢٦٠ |
| (٧) ابن الاثير | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٤٢٣ |
| | الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥ |

وهناك في حلب استطاع ابو محمد ان يؤثر على صديقه ايلغازى
فتنازل لهم عن قلعة الشريق حوالى عام ٥١٣هـ / ١١١٩م (١) .
وبناء عليه تمكن الاسماعيليون من استعادة قوتهم من جديد في حلب
وفي غيرها . فاخذوا يمارسون جرائم القتل والتهديد على نطاق واسع .
حتى جاء بك بن بهرام من ارشق الى بلاد الشام في ذى القعدة
عام ٥١٨ هـ ديسمبر عام ١٢٢٤م . فقبض على نائب بهرام داعى الباطنية
في حلب وامر باخراجهم منها فباعوا اموالهم ورحالهم وخرجوا منها (٢) .

(٢) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيلية ص ٩٦

(٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٢١٦

الاسماعيليون في دمشق :

لم تضعف قوة الاسماعيليين بما اصابهم في حلب • بل حدث
عكس ذلك على اثر دخول الداعي بهرام الاستراباذي بلاد الشام
حوالي عام ٥٢٠ هـ / ١٢٦٦ م • فاستطاع بما عرف منه من المهارة
وحسن التدبير وسرعة الحيلة ان يتصل بالامير طغتكين صاحب دمشق
وان يكون من اصحاب الخطوة عند (١) فاكرم لاتقاء شره وشر جماعته
وجعلت له الرعاية وتاكّد به العناية (٢) • وقد وصف كل من ابن القلانيس
وصاحب المראה لا حال بهرام في تلك الاونة بانه استفحل امره وعظم
خطبه في حلب والشام وهو على غاية من الاستتار احد شخصه حتى
صار في دمشق وتبعه • خلق كثير من الجهال وسفهاء العوام والفلاحين (٣)
فاتفك مع طغتكين في ذي القعدة عام ٥٢٠ هـ نوفمبر ١٢٦٦ م • على ان —
يتنازل للاسماعيليين عن قلعه بانياس (٤) • وهي التي لعبت في ظل
الاسماعيليين دورا خطيرا في تحديد علاقاتهم بسكان المنطقة على مختلف
عقائدهم رمذاه بهم (٥) • وسرعان ما غدت بانياس حصنا ياوى اليه ومعتقلا
يحتس به ويعتمد عليه (٦) •

- | | |
|--------------------|---|
| (١) د • سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٦ |
| (٢) ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٥ |
| (٣) ابن القلانيس | نيسل تاريخ دمشق ص ٢١٥ |
| (٤) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥ |
| (٥) برنارد ولويس | Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P. 659 |
| (٦) د • سعيد عاشور | الدعوة الجلية ص ١٢١ |
| | الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٧ |

وكان سبب ذلك حسب تعبير صاحب المراه ان "طغتين كان قد مخافه فدان بطاعه الناس له فالتمس معقلا ياول اليه وملجسا يعتمد عليه فاعطاه بانياس في ذى القعدة ٥ فاجتمع اليه اوباشه ورعاه وسفهاؤه وعظمت بهم المصيبة وجلست بهم المحنة وضائق صدور العلماء وارباب الدين واهل السنه ٥ ولم يتجاسروا على الكلام خوفا من شرهم وقتلهم من يعاندهم بحيث لا ينكر عليهم سلطان ولا وزير ولا مقدم ولا امير (١) ٥ فضلا عن ذلك فانه ترتب على تسليمهم خصن بانياس ان سلم اليهم ابن محرز حصن القدموس (٢) ٥ وفيما بيد وكان ذلك على سبيل المجاملة جريا على ما فعله طغتكين ووزيره ٥ او ان شئت : فقل هو الخوف ٥

والواقع كان ذلك العمل من جانب طغتكين مدعاة لاستمرارهم في فرض شخصيتهم عليه فتدخلوا مباشرة في شئون دمشق فولى اهم مرافقها حساسيه ٥ فاستطاع الداعي اسماعيل العجى الذى ٥ تولى امر الدعوة بعد مقتل الداعي بهرام على يد الدروز عام ٥٢٢هـ / ١٢٨٠م ان يؤثر في حكام دمشق فولى احد اباعه المعروف بابى

مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٨ — ١١٩

مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠

معجم الانساب ج ١ ص ٦١ ١

(١) سبط ابن الجوزى

(٢) سبط ابن الجوزى

زامباور

إلخافا وظيفة قاضي قضاة دمشق^(١) . قفوى امره علا شانه وكثر ابتاعه
وقام بدمشقه فصار المستولى على من بها من المسلمين وحكمه اكثر من حكم
صاحبها تاج الملوك^(٢) . وقد ادى ذلك الى عواقب وخميه من اهمها
اعداء الوزير المزدعاني ساعد هم الاول ثم من بعده مذبحسبة
دمشق

ويرجع دسببه مقتل بهرام الاسترابلدى الى انه كان قد قتل
يرقبن جندل " احد مقدمى ولدى التيم جيث عاش اصحاب مذاهب
مختلفة من القصيريه والدروز وغيرهم^(٣) . لغير سبب حمل عليه ولا جناية
دعته^(٤) . فضلا عن ذلك فانه جمع حشدا كبيرا من الاسماعيليين وهاجم
ديارهم للنيل منها . وعلى اثر معركة ضاربه بين الطرفين في غضون
عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م انهزم الاسماعيليون وقتل بهرام الا فقطع راسه
ويد به بعد تقطيعه بالسيوف والسكاكين^(٥) . ولم يقتصر الامر على ذلك
بل ارسل الدروز راسه ون ذلك دلاله على ان مصر المستعلوية كانت
لاتزال تتريى الدوائر بالنزاريه حيثما حلوا ركابهم . كما يدل من ناحية
اخرى على ان الدروز كانوا على علاقة طيبة بالمصريين اكثر من اخوانهم
النزاريه .

- | | |
|--------------------|----------------------------|
| ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٣٤ |
| د . محمد كامل حسين | طائفة الاسماعيليه ص ١٩٧ |
| (٢) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٣٤ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٢٣٤ |
| (٤) ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢١ |
| (٥) ابن القلانيس | ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٠ - ٢٢١ |

ولقد ترتب على تعيين الداعي ابي الوفا في وظيفة قضاة دمشق ان حدثت سوءا مرات خطيره • وكان من اهمهما تلك التي دارت بين الاسماعيليين والصليبيين حول تسليم دمشق للصليبيين في مقابل استيلاء الاسماعيليين على صور^(١) • وكان عندهم في ذلك — كما يقال الوزير لمزدغانى^(٢) • حيث كانت له اليد الرئيسيه في تلك الاحداث^(٣) فكان مصيره الاعدام وابرام النار في جثته^(٤) • كما عك راسه على احد ابواب قلعة دمشق^(٥) •

ذلك ان ابا على طاهر بن سعد المزدغانى وزير تاج الملوك يروى كان اعانهم • على الايغال في هذا الضلال معونه بالغ فيها لما تقرر بينه وبين بهرام الداعي من المؤازرة والمعاضدة^(٦) • كما ان تاج

-
- | | |
|--------------------|---------------------------|
| (١) د • سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٨ |
| (٢) ابن القلانسى | ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٢ |
| (٣) د • سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٨ |
| (٤) ابن القلانسى | ذيل تاريخ دمشق ص ٣٢٣ |
| (٥) د • سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٩ |
| (٦) د • سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٥٩ |
| (٧) ابن العماد | شذرات الذهب ج ٤ ص ٦٧ |
| (٨) ابن القلانسى | ذيل تاريخ دمشق ج ٢٢١ |

الملوك بوري تتبع الاسماعيليين في دمشق وعليه فقد قامت مذبحة دمشق في رمضان ٥٢٣ هـ سبتمبر ١١٢٩ م ، على غرار ما حدث معهم فـسـى حلب " فذبح منهم حوالي ستة الاف شخص (١) . وفي قول اخر " عشرة الاف (٢) . كما علف رؤوس كبارهم على باب القلعة (٣) . كذلك تم القبض في تلك الثورة على غلام ابي طاهر المعروف بشاذي الخادم . فـصـلبـ وـمـعـه نـفـر غـيـر قـلـيـل عـلـى شـرـفـات دـمـشـق (٤) .

هذا . . . وقد كان لكل من الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق والرئيس الوجيه ثقة الملك ابي الذواد مفرج بن الحسن الصوفى الذى اتهمه ابو المحاسن بانه كان سببا في انتماء المزدغانى الحسى الاسماعيلية خوفا منه لعداوة كانت بينهما (٥) . السيد الطولى فـسـى القضاء عليهم . ذلك انها اتفقا . على قتل الوزير المزدغانى . (٦) .

-
- (١) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٣٤
King: The Knights Hospitallers. P. 80
- (٢) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠
(٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٠
(٤) ابن القلانيس ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٣
(٥) ابن المحاسن النجو " الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٥
(٦) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠
(٧) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج

لانه كما اتهموه بذلك — كان يكاتبهم ويمارتهم خوفا من بنى الصوفى (١)
لذلك كله تعين عليهما — التحرز والاحتياط من اغتيال من يندب اليهما
من باطنيه الموت مقر الباطنية بلبس الحديد والاستكثار من الحفظ
حولهما بالسلاح • الوافر العتيد (٢) • ولد لعب ابن الصوفى دورا هاما
في ذلك • الدليل ان يرى كان قد اعتقله من قبل • فعلم ان الصواب
معه في تتبع الباطنية فاطلقه ورده الى الرياسة (٣) • وقد ثبت بذلك
عداوته للمزدعائى •

وعليه فانا نستطيع القول ان قتل المزدعائى كان — فى المقام الاول
نتيجة مؤامرات خطيره حاكها حوله سادة دمشق قبل ان يكون نتيجة
تحالفه مع الاسماعيليين • فلولا العداوة التى وزعت بينه وبين كل من
الحاجب يوسف بن فيروز وابن الصوفى لما ارتقى فى احضان الباطنية •
الامر الذى اعطى الاسماعيليين المحدثين الحق فى ان يقتدوا دعوى
تحالف اجدادهم مع الصليبيين ضد دمشق • وحجتهم فى ذلك الاعتداء

(١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠

(٢) ابن القلائس ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٤

Grousset: Hist. des Croisades. Vol. I. P. 661

(٣) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٣

الذى قام به بلدوين الثانى Baldwin II — طرف الاتفاق
الآخر — على بانياس اثر فشله فى تنفيذ مخططه على دمشق (١) .
فلو ان — وذلك رايهم — تحالفا تم بينهما لما كانت النتيجة السيئة
التي حاقت باسماعيليه بانياس بعد (٢) . وان كان ذلك لا يعتبر — فى
رايتا — تبريرا — منطقيا بسبب ان بلدوين الثانى Baldwin II
ما كان يهمه من اتفاقيه مع الاسماعيليين الا القضاء على قوة دمشق
ثم — وليس ذلك ببعيد — بعيد الكرة على اسماعيليتها فيخلص
منهم . اما وانه قد فشل فى الاولى فكان لا بد ان ينتقم لنفسه حتى
ولو من حلفائه . وذلك لكى لا يكون كالذى رجع يخفى حنين . وعموما
فقد استطاعت دمشق التخلص من كان بها من الاسماعيليين وراح الله
الكمام منهم (٣) .

لكن ليس معنى ذلك ان الباطنية ظلوا مصدر خطر مستمر
بالنسبة له دمشق . فقد كانوا فى بعض الاحايين عوناً لبني جلدتهم
المسلمين ضد اطماع الفرنج . يدلنا على ذلك اشتراكهم فى الدفاع
عنها — جنباً الى جنب — مع اخوانهم السنيين عندما حاول بلدوين
الثانى ملك بيت المقدس غزوها عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م . (٤) .

-
- (١) Runciman : A Hist or the Geusades . Pol . II . P . 1791180
(٢) مصطفى غالب سنان راشد الدين ص ١٠٦
(٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٠
(٤) ابن القلانص ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٣ — ٢١٤

لم يترك الاسماعيليون مذبحه دمشق التي قتلوا فيها شـرـ
قتله ذبحا ورضا بالاحجار وبالسيوف^(١) . فضلا عن صلب منهم على
اسرارها — تمردون ان يكون تاج الملوك بروى يشطى نارها او يشرب
من مرها . وكان على الموت ان تحدد موثقها منه . فبيتوا له امرا .
وما اوسع حيلتهم التي حار في تحليلها الباحثون . اختاروا من بين
عناصرهم الفداويه رجلين من الخراسانية^(٢) . استطاعا ان ينخرطا
بحيلة عجيبة — وهى البحث عن عمل يرتزان منه في صفوف المرتبيين
لحفظ ركاب بوري^(٣) . ثم بعد ان اصبحا موضع ثقته وثقة من حوله
تربصا به . حتى واتتهم فرصتهم يوم الخميس لخمس خلون من شهر
جمادى الاخره عام ٥٢٥ هـ السابع من مايو عام ١١٣١ م . فانها الاعلى
ضربا احدهما بسيفه والاخر بسكين في حاضرتهم^(٤) . فلم يكذب بوري يتجه
لهمما حتىلقى بنفسه على لغور عن فرسه ، فادركهما حراسه فاتسول
عليهما بسيوفهم فتم القضاء عليهما^(٥) . وبالرغم مما بذل من محاولات
عدة لعلاجه فانه مات متأثر بجراحه في يوم الاثنين الحادى والعشرين
من شهر رجب عام ٥١٦ هـ ٦ يونيو عام ١١٣٢ م^(٦) . كما يقال انهم

-
- (١) سبط ابن الجوزى
مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠
- (٢) د . سعيد عاشور
الحركة الصليبية ج ٢ ص ٥٦٠
- (٣) ابن القلانيس
ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٠
- (٤) سبط ابن الجوزى
Runciman: A Hist. of the The Crusades. Vol. II. P. 174
مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤١
- (٥) ابن الاثير
الكامل ج ١٠ ص ٢٣٩
- (٦) ابن العماد
شذرات الذهب ج ٤ ص ٧٨
Runciman: A Hist. of the Crusades. Vol. II. P. 196

قتلوا ابنه شمس الملوك فيما بعد في ربيع الاخر عام ٥٢٩ هـ يناير عام
١١٣٥ م^(١) . بوعى من امه . وكان قد كاتب زنكى ليسلم اليه مدينسة
دمشق فخافته الامراء وامه فهايات من قتله^(٢) . ذلك في الوقت الذى
وجد صاحب النجوم يوضح ان اهل دمشق هم الذين كاتبوا زنكى
بالسير اليهم لسوء سيرته فيهم ومصادرتة الناس واخذة موالهم فضلا عن
سفكه الدماء^(٣) .

-
- | | |
|-----------------|--------------------------------|
| (١) ابو الفدا | المختصر ج ٣ ص ٩ |
| (٢) الذهبى | دول الاسلام ج ٢ ص ٥٠ - ٥١ |
| (٣) ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ |

الاسماعيليون والخلافة والعبائيه في بغداد :

ولم يقف نشاط الاسماعيليه عند حد اغتيال الامراء او الوزراء
او فقهاء القوم فحسب ، بل تعداد الى اغتيال الخلفاء انفسهم .
فقد اقدموا على اغتيال الخليفة المسترشد بالله في ذي القعدة عام
٥٢٨ هـ اغسطس عام ١١٣٥ (١) . ثم الحقوا ابنه الراشد بالله فسي
السابع والعشرين من رمضان عام ٥٣٢ هـ الثامن شهر يونيه ١١٣٨ م (٢) .

وترجع اسباب مقتل الخليفة المسترشد بالله الى العداوة -
المستحكمة بينه وبين الاسماعيليين بسبب موقفه منهم . ذلك انه كان
قد نعى لعلم بغداد في شعبان عام ٥١٨ هـ / سبتمبر ١١٢٤ م .
ان فئة من الباطنية وصلوا من خراسان ودمشق وقد ندبوا لقتل
اعيان الدولة من الوزراء الفقهاء وغيرهم فانكشف امرهم فصلب البعض
وغرق البعض (٣) .

ونعتقد انه كان لهم انصار في بغداد . فقد غمز على ابن ايسوب

- (١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٣ ص ٥٧٢
- (٢) ابن الاثير التاريخ الباهر ص ٥٣ - ٥٤
- (٣) ذكر الاربلي في خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ان الراشد بالله لما عارض في خلعه من الخلافة واطهر التمسك ببيعه الناس له والمطالبه بموجبها . استمر بعد ذلك في الموصل حتى رجب عام ٥٣١ هـ مارس عام ١١٣٧ م . ثم خرج منها الى كابل فقصد مراغه حيث زاره برأيه المسترشد بالله . ثم سار بعد ذلك الى اصفهان حيث اقام بها بعض الوقت . فمرض هناك فمات في السابع من رمضان عام ٥٣٢ هـ .

(٣) ابن الجوزي المنتظم ج ٩ ص ٢٥٠

قاضى عكبر • فنبهت دارة فوجد فيها اجره منهم^(١) وينتهى الامر بالانتقام من الخليفة • وذلك بتعاون الاسماعيليه مع كل من السلطانين سنجر ومسعود فيفتكون به^(٢) • وقد كَانِ اتهم كل من سنجر ومسعود في هذه الجريمة واضحا ومحققا^(٣)

ويلاحظ رغم ذلك ان الاسماعيليين لم يقفوا جامدين حيال الخلافة العباسية طوال قيامهم بالموت • وانما حدث تقارب كان له الاثر البالغ في قيام تحالف عسكرى فيما بينهما استطاع ان يحقق انتصارا كبيرا على بعض المنشقين عليها •

وكانت البداية عندما فوجئت بغداد عام ٦٠٨ هـ / ٢١٢ م برسول يأت من طرف شيخ الجبل جلال الدين حسن صاحب الالموت — الذي لقب فيما بعد بالمسلم الجديد^(٤) • يحمل الى الخليفة الناصر

-
- | | |
|--------------------|---|
| (١) سبط ابن الجوزى | المرآة ج ٨ ص ١١٣ |
| (٢) الاربلى | مختصة الذهب المسبوك ص ٢٢٣ |
| (٣) الذهبى | دول الاسلام ج ٢ ص ٥٠ |
| | Huart: Hist. des Arabes, Tome II.P. 354 |
| (٤) براون | تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٥٧٨ |
| د. طه شرف | النزاريه ص ٢٢٣ |
| | Sykes: A Hist of Persia. Vol. II.P. 182 |

لدين الله ان مقدمتهم جلال الدين اظهر الانتقال من فعل المحرمات واستحلالها وامر باقامة الصلاة والشرائع الاسلامية ببلادهم من خراسان والشام^(١) . كما انهم نهتبروا من الباطنية ونهتبروا المساجد والجوامع وقد اقيمت الجمعة والجماعات عندهم وصاموا رمضان^(٢) . فضلا عن ذلك فانهم التزموا بمذهب الشافعي رحمه الله^(٣) . وقد كان لذلك النبى اعظم الاثر واسعده في نفس الخليفة والناس الامر الذى شجع جلال الدين على ان يبعث بوالدته للحج فاكملت ببغداد اكراما عظيما وكذلك بطريقه^(٤) .

والواقع ان ذلك كان من العوامل التى قاربت بين الاسماعيليين والعباسيين " فارسل الخليفة الناصر لدين الله الى جلال الدين يطلب اليه مساعدة اوزبك في حربه ضد منكل واستقرت بينهم القاعدة على ان يكون للخليفة بعض البلاد ولاوزبك بعضها ويعطى جلال الدين بعضها وترتب على انتصارهم ان اوفى الخليفة بعهده .

الكامل ج ١٢ ص ١١٥

مرآة الزمان ج ٨ ص ٥٥٥

الكامل ج ١٢ ص ١١٥

الكامل ج ١٢ ص ١١٥

المختصر ج ٣ ص ١٢٠

(١) ابن الاثير

(٢) سبط ابن الجوزى

(٣) ابن واصل

(٤) ابن الاثير

ابو الفدا

فاعطى جلال الدين ملك الاسماعيلية من البلاد ما كان قد
اتفق عليه في الحلف المشترك .

لكن هذا لا يمنع من اتهامهم بافساد عقائد المسلمين زمانا
غير قصير فضلا عن فتكهم بكثير من العلماء والوزراء والصالحين . الامر
الذى جعل الكثيرين من مختلف طوائف القوم غير متفقين معهم في الراى
ولا راضين عن سلوكهم .

(١) ابن الاثير

(٢) الافغانى

الكامل ج ١٢ ص ١١٨

الرد على الدهرين ص ٤٠

” الفصل الثالث ”

"الفصل الثالث"

الاسماعيلية والقوى الصليبية في بلاد الشام
في القرنين الثاني عشر والثالث عشر

بلاد الشام بين غزوين • الاسماعيلي من الشرق والصليبي من الغرب
التوسع الصليبي في بلاد الشام • موقف الاسماعيلية من الخطر الصليبي •
عوامل التحالف بين الاسماعيلية والصليبيين • الخلافة العباسية والخطر الصليبي
في الشام • الترحيب بالغزو الصليبي في بلاد الشام ومناقشة حول اسباب
ذلك • فتح بيت المقدس وموقف الاسماعيلية من ذلك • الحملات الاسماعيلية
على بلاد الشام وفشلها • استيلاء الصليبيين على مدن الشام الساحلية ودور
الاسماعيلية في ذلك • حصن بانيا سواهمية سقوطه في يد الصليبيين • شيخ
الباطنية على بن وفاء وتحالفه مع ريموند بواتيه ضد نور الدين • نور الدين
وفتح مصر • الصراع النوري الاسماعيلي الصليبي حول مصر • تحالف راشد
الدين سنان وعموري ضد نور الدين • اغتيال رسل المفاوضات الاسماعيلية
الصليبية على مشارف طرابلس • اتهام راشد الدين سنان بقبول اعتناق المسيحية
ورأى الاغتيالات • اغتيال ريموند الثاني أمير طرابلس • اغتيال كونراد مونتفرت
ومناقشة رأى حول ذلك • صلح الرملة وخضوع الاسماعيلية لصالح الدين
الاسماعيلية والاستتار به • الاسماعيلية بعد سنان وعلاقاتهم بالصليبيين اغتيال
ريموند الابن الأكبر ليوهمند الرابع واثره • العداقات الاسماعيلية الايوبية ضد
الصليبيين • اغتيال البرت بطريك بيت المقدس • موقف البابوية من الاسماعيلية
نتيجة لذلك •

شاء القدر أن تتعرض بلاد الشام مع نهاية القرن الرابع الهجرى —
 الحادى عشر الميلادى — لغزوين خطيرين • تضافر كل منهما مع الاخر
 احيانا بطريق مباشر أو غير مباشر للفتك بالمجتمع الاسلامى فى المنطقة أو —
 اختلافنا احيانا اخرى ليفتك كل منهما بالآخر • هذا مع اختلافهما من حيث
 الدين والجنس والعقيدة • فاذا كانت الفروسية الاوربية قد تمثلت بكل معانيها
 فى الغزو الصليبي ، فان التسلسل الاسماعيلى كان غزوا سياسيا مذهبيا
 اجتماعيا من الدرجة الاولى •

فمن الموت خرجت جموع الدعاة والفداوية لتؤسس فى بلاد الشام دولة
 اسماعيلية أو شبه دولة يهابها الكبير والصغير ويحسب لها قبل التعامل معها
 الف حساب • ومن أواسط أوروبا خرجت جحافل الصليبيين لتؤسس هى الاخرى
 فى نفس البلاد وفى نفس الوقت امارات او ممالك لاتينية صليبية يهابها الكبير
 والصغير أيضا ويحسب لها قبل التعامل معها الف حساب وحساب (١) •

فأما الاسماعيلية ، فقد كان لضعف السلطة السلجوقية الحاكمة فى
 بلاد فارس وبلاد الشام وتناحرها فيما بينها على كراسى الحكم — خاصة بعد
 عهد ملكشاه — أكبر العوامل الرئيسيه التى ساعدتهم على رسوخ اقدامهم
 وبت مبادئهم بسرعة لم يشدها التاريخ من قبل • فأستطاعوا بحكمة وروية
 أو بخدعة ورشوة التغلغل فى صفوف السلاجقة بصورة أوقعت فيما بينهم الخلاف
 أكثر وأكثر (٢) • وعمقت لعوامل الانهيار السياسى والاجتماعى والاقتصادى •

(١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥

(٢) البندارى — تاريخ آل سلجوق ص ٧ ، ٩١

Sykes: A Hist . of Persia. vol. II. P. 115

الأمر الذي كان له أسوأ الأثر في انهيار الجبهة السلجوقية في آسيا الصغرى وفي بلاد الشام أمام الغزو الصليبي الضاري^(١) . ذلك بعد أن " كانوا قبل عروض الرهن لعقائد المسلمين وطلوا الفساد على أخلاقهم في قلق لا يستقر لهم أمن على حياتهم وهم في بلادهم خوفا من عادية المسلمين^(٢) . وقد احتل^(٣) الاسماعيليون منطقة جبل السماق غرب حلب ، وامتدت قلاعهم حتى إقليم طرابلس

أما عن الصليبيين فقد كان لضعف الجبهة الإسلامية نفسها وتفككها أسوأ الأثر أيضا في استقبال ذلك الغزو دون مقاومة أو بمقاومة لا تذكر — وفي الترحيب به أحيانا ليكون عوناً على القضاء على بعض الحكام المسلمين لصالح البعض الآخر^(٤) . وظلت المنطقة العربية تروح تحت نير الاستعمار الصليبي الأوربي ردحا من الزمن يقارب المائتي عام أو يزيد حتى هيا الله سبحانه للمسلمين من يجمع شملهم ويوحد كلمتهم ليتفقوا على قلب رجل واحد فيطيحون بذلك الخطر الجاثم على صدر الأمة إلى أعماق البحر إلى ماغسير رجعة^(٥) .

-
- (١) Sykes: A Hist. of Persia. Vol. II. P. 115
 (٢) الأفغانى الرد على الدهريين ص ٤٢ — ٤٣
 (٣) Le Strange: Palestine under Moslems. P. 81
 (٤) سيدىو تاريخ العرب العام ص ٢٢٥
 Grousset: Hist. des croisades. Vol. I. P. 125
 (٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٨٣ — ١١٨٤

ولتعود قلاع العروة من جديد مراكز يشع منها نور الحضارة الاسلاميه وترتفع
عليها اعلام النصر •

وكان لتفاهم كل من الامبراطور ميخائيل السابع
والبابا جريجورى السابع على غزو الارض العربية الاسلامية
فى بلاد الشام أثره فى خروج الحملة الصليبيه الاولى التى مهدت لبعث
حملات صليبيه اخرى بلغت ثمان حملات (١) •

هذا ••••• وكان بيت المقدس رأس املا يراود خيال اباطره القسطنطينية
منذ خرجت اليه لاول مرة الامبراطوره هيلينا ام قسطنطين للحج عام ٣٢٨م—
وزعمت انها اكتشفت الصليب الحقيقى • مما دعاها الى اقامة جدار حول
ماتصورته باقبر المقدس وبالقرب من كنيسة القيامة ومنذئذ عرفت وحملات الحج
المسيحية طريقها الى بيت المقدس (٢) •

هذا الى أن بلهوات الكنيسة الغربية طالما تافكت نفوسهم الى ضم
الكنيسة الشرقية تحت حوزتهم لتوحيد كلمة المسيحية فى الشرق والغرب (٣)
وكان ذلك فى الوقت الذى أخذ المضعف يذب فى صفوف المسلمين فى بلاد—
الشام الامر الذى كان له أسوأ الاثر على الكيان الاسلامى فى تلك المنطقة
ومما ساعد بطريق مباشر على نجاح الصليبيين فى التغلغل فى تلك البلاد وعلى
اقامة كيان لانفسهم استمر قائما فوق الارض العربية زهاء قرنين او يزيد وذلك
على الرغم من الجهود الجبارة التى بذلها سلاجقة الروم والشام لوقف تيار
الغزو الصليبي (٤) •

(١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٥٢

(٢) المقريرزى الخطط ج ١ ص ٢٦٦

Sykes: A Hist. of Persia . vol. II. P. 113

وباستيلاء الصليبيين على انطاكية عام ٤٩١ هـ (١٠٩٧ م) حدث تغيير خطير في موازين القوى في شمال بلاد الشام^(١) مما شجع الصليبيين على الاتجاه فوراً نحو الجنوب لاستكمال فتوحاتهم على حساب الدولة الإسلامية المفككة^(٢).

هذا مع ما سبق الاشارة اليه من أن بلاد الشام كانت ميداناً للصراع السني الشيعي ، أو بمعنى أوضح بين الخالفتين العباسية في بغداد وغريماتها الاسماعيلية في القاهرة .

كذلك أدى تقاعس الخلافة الاسماعيلية في مصر عن نصره مسلمي الشام لجهل قادتها باهداف الحركة الصليبية^(٣) الى استفحال الخطر الصليبي حتى أصبح الصليبيون وقد هددوا الخلافة الفاطمية الاسماعيلية نفسها ، بل واقتطعوا منها اهم ممتلكاتها في بلاد الشام^(٤).

-
- (١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ١١٥٢
 - (٢) ابن القلائس ذيل التاريخ دمشق ص ١٣٤ - ١٣٥
 - (٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٥٥
 - King: The Knights Hospitallers. P.15
 - (٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ١١٥٢
 - (٤) ابن ميسر تاريخ مصر ج ٢ ص ٣٨
 - Grausset: Hist. des croisades Vol. I.P. 3
 - Sykes: A Hist. of Persia . Vol . II. P. 113-116
 - (٥) د . سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ص ١٩
 - (٦) أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٧ - ١٤٨

ومما يؤخذ على الاسماعيليين في مصر وعلى عهد الأفضل شاهنشاه والخليفة المستعلى اسراهم للتحالف مع الصليبيين ضد بني جلدتهم من المسلمين السنيين^(١) . وكان سبب ذلك هو تطلع السلاجقة لامتلاك مصر بعد استيلائهم على بلاد الشام وبيت المقدس . فلما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام الى غزه ولم يبق بينهم وبين مصر ولايسة اخرى تمنعهم ودخول الاقسيس الى مصر وحصرها فخافوا وأرسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين^(٢) فتبذلت المراسلات أوائل عام ٤٩١ هـ عام ١٠٩٨ م بين الأفضل وزير المستعلى في مصر وبين الصليبيين على انطاكية من ناحية وبينهم وبين الامبراطور البيزنطى الكسيوسى كومنين Alex Comnenus من ناحية اخرى^(٣) . وذلك على أساس أن الأفضل يسمح لعدد من المسيحيين غير المسلحين لا يتجاوز الثلاثة آلاف حاج بزيارة بيت المقدس كل عام . الا أن عرضه هذا قوبل من جانب الصليبيين بالسخرية وعدم الاهتمام^(٤) .

- | | | |
|-----|----------------|---|
| (١) | ابن القلانص | ذيل تاريخ دمشق ص ٤٥ |
| | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٠١ |
| (٢) | ابن الاثير | Grousset: Hist des croisades. Vol. I. P. 183-84
الكامل ج ١٠ ص ٩٤ |
| (٣) | د . سعيد عاشور | شخصية الدولة الفاطمية
في الحركة الصليبية ص ٢٠ |
| (٤) | د . سعيد عاشور | شخصية الدولة الفاطمية في
الحركة الصليبية ص ٢٣ |

وكان ذلك في نفس الوقت الذي تحركت الخلافة العباسية في بغداد بعض التحركات التي لم تنم عن اهتمام عميق بالحركة الصليبية واطارها المرتقبه • وعلى سبيل المثال استنجد الخليفة المستظهر العباسي بالسلطان بركيارق على أثر رسالة كل من دقاق صاحب دمشق ورضوان صاحب حلب • فبعث الخليفة أبا نصر بن الموصلايا الى السلطان بركياروق " مستنفرًا على الفرنج برسالة من الديوان ^(١) • وقد حدث كل ذلك وعساكر الاسماعيلية في مصر " لم تهيا للخروج ^(٢) •

ونج عن هذا التقاعس من جانب القوى الاسلامية وتفككها ان نجح الصليبيون في الزحف جنوبا حتى استولوا على بيت المقدس عام ١٠٩٢ هـ عام ١٠٩٩ م ليقبوا فيها مملكة صليبية كبيرة سيطرت على معظم موانئ " فلسطين وشواطئها ^(٣) • كما استولوا على طرابلس عام ٥٠٣ هـ / ١٠٩٩ م ليقبوا فيها اماره صليبية كبرى ^(٤) • الى جانب اماره انطاكية في شمال الشام و اماره الرها في اقليم الجزيرة • ولا شك في أن استيلاء الصليبيين على بيت المقدس ألقى الضوء على اهدافهم ^(٥) • فتعين على الدولة الاسماعيلية في مصر أن تحدد موضعا موقعا من الغزو الذي ساندته من قبل ظنا منها انه انما جاء ليستخلص شمال

- | | | |
|-----|----------------|---------------------------------|
| (١) | ابن الجوزي | المنتظم ج ٩ ص ١٠٥ |
| (٢) | ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٨ |
| (٣) | د • سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٤١ |
| (٤) | د • سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٧٠-٣٧٢ |
| (٥) | د • سعيد عاشور | شخصية الدولة الفاطمية ص ٢٢ - ٢٤ |

الشام والجزيرة واسيا الصغرى من أيدي السلاجقة ، تأوكل لها القلاع بسب بمقادير الأمور في جنوبه . فلم يدرف في خلد الأفضل حينما بعث برسائله إلى الصليبيين على أنطاكية أو الكسيوس كومنين في القسطنطينية أو حينما فتسح أبواب القاهرة على مصراعيها ليستقبل رسلهم ، أنهم انما جاءوا ليضربوا - المسلمين جميعا من سنة وشيعة ويتغفلوا في صميم بلاد الشام حتى حدود مصر (١) .

وقد دار الحديث فعلا بين القادة الصليبيين حول غزو مصر قبل فتح بيت المقدس لولا اختلافهم في الرأي (٢) .

وعليه فقد بدأ الاحتكاك بين الاسماعيليين في مصر والصليبيين في فلسطين وفي بلاد الشام . وذلك بعد أن خاب أمل الأفضل أو بمعنى آخر اسماعيلية مصر في تحالفهم مع الصليبيين ضد السلاجقة والعباسيين من أهل السنة (٣) .

وكان على القاهرة وهي صاحبة الامر في بيت المقدس عندئذ أن تغير من سياستها إزاء الغزو الصليبي . فحشد الأفضل جيشا مصرية كبيرا واتجه به إلى عسقلان . لكنه حسب تغيير ابن القلانص كان " قد فات الامر " (٤) ومن عسقلان التي وصلها في الرابع عشر من رمضان عام ٤٩٢ هـ ٤ من أغسطس عام ١٠٩٩ م (٥) . أرسل يعاتب الفرنج وينكر عليهم اخلاصهم بما اتفقوا عليه طالبا

(١) د . سعيد عاشور مصر في العصور الوسطى ص ٢٨٣

(٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٤٠

(٣) Grausset: Hist des croisades. Vol. I.P. 146

(٤) ابن القلانص ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٧

(٥) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ١٩

اليهم سرعة الرحيل من الاملاك المصرية فى فلسطين^(١) . ولكن هل فى ذلك جدوى بعد ان تحقق لهم أعز ما كانت توفروا اليه البابوية فى بلاد الشرق الاسلامى وهو امتلاك بيت المقدس . لاجدال فى أن الرد سيكون حربا شارية ستحدد الموقف وتزيد من وضوح الرؤيا " فأعادوا الرسول بجواب مجمل ورحلوا فى اثره فكبسوا المصريين " (٢)

ثم من ناحية اخرى كان على جودفرى Godfrey صاحب الامر فى بيت المقدس أن يتخذ من الوسائل مايكفل له رصد أى هجوم قد يقع من جانب مصر . وساعده الحظ بوقوع بسرية استطلاعيه مصرية فى رمضان عام ٤٩٢ هـ — اغسطس عام ١٠٩٩ م فى قبضه حاميه المدينه الصليبيه . فأصلت أمام التعذيب القاسى بكل معلوماتها عن تحركات جيش الافضل^(٣) . مما زاد الطينه بله .

وعلى ذلك فانه تعين على جودفرى أن يتخذ موقفا حاسما ازاء ذلك كله فيتجهز على الفور القيادة جيشه الى السهل الساحلى . كما انه ارسل الى تنكرد Tancred ويوستاسى Eustace يطلب اليهما التوجه على وجه السرعة الى ناحية عسقلان لاستطلاع اخبار جيش مصر وللوقوف على مدى امكانياته واستعداداته الحربية^(٤) . كذلك لرصد تحركاته أولا باول . ذلك فى

- (١) المقريزى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٤
Runciman: A Hist of The crusades Vol. I.P. 295
(٢) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٢١
(٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ١ ص ٢٥٤ — ٢٥٥
(٤) Runciman: A Hist of the crusades Vol. I.P. 295

نفس الوقت الذي كان الأفضل يتربص وصول أسطول مصر ليبدء بها لزم الحرب^(١)
 الآن جود فرى Godfrey كان أسرع مما جرى في استعدادات الجيش
 المصري في عسقلان^(٢) . فخرج من بيت المقدس بجيش لا يقل ضرارة عن جيش
 مصر الاسماعيلية بل يزيد . وقد صاحبه البطريك أرنولف Arnulf فزحف
 مباشرة الى سهل أسدود ، ثم لينفذ الى سهل المجدل شمال عسقلان صبيحة
 الثاني والعشرين من رمضان عام ٤٩٣ هـ الثاني عشر من أغسطس عام ١٠٩٩ م
 حيث عسكر الأفضل^(٣) . ووقعت المفاجأة التي لم يكن يحسبها أحد . لتكمل
 المفاجأة الكبرى التي أخفاها الصليبيون^(٤) ان " هجم الصليبيون عليه بجيش
 عظيم^(٥) فحاقت الهزيمة بجيش مصر فارتد الى عسقلان^(٦) وضد ثذ تبعهم
 الصليبيون ليضعوا فيهم السيف . فأتى القتل على الراجل والمطوعة واهل
 البلد^(٧) ثم اضرمو النار فيمن تسلق منهم الاشجار حول المدينة فاشتعلت
 الاشجار بين عليها . فقرر الأفضل العودة الى مصر^(٨) . وقد ترك عسقلان في
 يد المقادير ليتلاعب بها الصليبيون . وليفرضوا على أهلها اتانوة تبلغ نحو
 عشرين الف دينار (تحمل اليهم)^(٩)

- | | | |
|-----|----------------|--|
| (١) | سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٠٥ |
| (٢) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٦ |
| (٣) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٩٩ |
| | | Runciman : A Hist. of the crusades. Vol. I. P. 296 |
| (٤) | د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٦ |
| (٥) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ٩٩ |
| (٦) | ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٠ |
| (٧) | ابن القلانيس | ذيل التاريخ دمشق ص ١٣٧ |
| (٨) | د . سعيد عاشور | شخصية ال ولة الفاطمية ص ٢٥ |
| (٩) | ابن القلانيس | ذيل التاريخ دمشق ص ١٣٧ |

وقد حدثت معجزة انقذت المدينة من الوقوع في أيدي الصليبيين حيث
كان في إمكانهم امتلاكها بكل سهولة بعد أن استسلم أهلها ولكنها افلتت
من أيديهم بسبب خلاف وقع بين كل من جود فرى وريموند الصنجيل
فوقف كل منهما للاخر بالمرصاد منذ بدء المسيرة الى بيت المقدس. فوقف
ريموند بطريق غير مباشر مع أهل عسقلان وحرصهم على مقاومة
جيش جود فرى مفضلاً أن تبقى عسقلان في أيدي المسلمين^(١). كذلك فعل
نفس الشيء مع أهل ارسوف فيما بعد^(٢).

ولم يسكت الاسماعيليون في مصر على هذه الهزيمة كما أنه صار عليهم
تحديد موقفهم ازاء استيلاء الصليبيين على بيت المقدس. خاصة أنه قامت قوى
الشمال — في دمشق وحلب — حركة واسعة قادها العلماء وأهل الدين
متجهة الى بغداد تطالب بالثار لما حل بالمسلمين في بيت المقدس^(٣).

على أنه يبدو أن هذه الحركة لم تؤت أكلها. فقد "ورد المستنفرون
من بلاد الشام وأخبروا بما جرى على المسلمين". وقام القاضي أبو سعيد
الهروري قاضي دمشق في الديوان وأورد كلاماً أبكى الحاضرين وندب بمن
الديوان من يعضى الى العسكر ويعرفهم حال هذه المصيبة ثم وقع التقاعد^(٤)
وفي ذلك بطبيعة الحال زعزعة لمركز الدولة صاحبة الهيمنة على تلك المدينة
المقدسة.

- | | | |
|-----|---------------|---------------------------|
| (١) | د. سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٧ |
| (٢) | د. سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٨ |
| (٣) | أبو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٠ |
| (٤) | ابن الجوزي | المنتظم ج ٩ ص ١٠٨ |
| | أبو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٠ |

وهكذا صار لابد للافضل من أن يبادر بعمل حاسم حتى يبعد نفوذ الخلافة العباسية السنية في بغداد اذا ما فكرت — جد لا — في القيام بعمل ما للتدخل في شئون بلاد الشام تحت ستار انقاذ تلك البلاد من الخطر الصليبي .

وحدث ذلك في الوقت الذي كان انفتاح الاسماعيليين على بلاد الشرق منذ حملة جعفر بن فلاح على بلاد الشام عام ٣٦٠ هـ (٩٧٠ م) . مركزا في المقام الاول على امتلاك الاماكن المقدسة كالحرمين الشريفين في مكة والمدينة وبيت المقدس في فلسطين حتى يجذبوا اليهم أنظار العالم الاسلامي وقتذاك وحتى يستمدوا منه العون والقوة ضد اعدائهم العباسيين وليظهروا بمظهر حماة العالم الاسلامي . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كي يسدوا الطريق امام المد الصليبي المتجه جنوبا بكل سرعة .

ولذلك كان استيلاء الأفضل على بيت المقدس من أيدي الارائقة في شعبان عام ٤٩١ هـ (يوليو ١٠٩٧ م) في زحمة الحروب الصليبية المستعمره نارها في الشمال وفي لحظة انشغال السلاجقة بمواجهة الغزو الصليبي المفاجئ لارضهم^(١) . وقد ظن الأفضل انه كسب بذلك صيدا ثميناً . ولم يكن يعتقد انه مهد بذلك لاستيلاء الصليبيين على المدينة المقدسة التي كانت تشكل هدفهم الاساسي منذ خروجهم من الغرب الاوربي .

والواقع انه اذا كان الحظ قد خان الأفضل في أنه لم يوفق في استعادة بيت المقدس الى حظيرة الاسماعيليين بعد ان ملكه الصليبيون ، فاننا لاننكر أن عهد — رغم اتهمته بالتقصير — كان عهد نضال جاد وصراع شديد ضد

(١) الذهبي
(٢) د . سعيد طشور
دول الاسلام ج ١ ص ٢٢٢
شخصية الدولة الفاطمية ص ٢٢

القوى الصليبية في بلاد الشام (١) . ذلك انه لم يبخل بنفسه أو بولده فسى
سبيل صد ذلك الغزو الضارى ما أمكنه ذلك . ولكن الذى يؤخذ عليه فعسلا
هو ترحيبه في بادئ الامر بأولئك الذين أخفوا غيبتهم وأهدأفهم عن حكام
المنطقة . وذلك عكس ما صار بعد عهد الافضل وابن الواخشى وابن السار من
تقاعس أولئك الذين تولوا الامر بعده (٢) فشغلتهم مباهج القاهرة وطيب
ريحها عن الجهاد فى سبيل الله والدين والوطن . فراحوا ينشغلون باهوائهم
أو بالحفاظ على مكاسبهم أو بالتطلع الى مناصب أعلى داخل البلاط الاسماعيلى
وتركوا ما بقى لهم من مدن الشام طعمة يتلقفها الصليبيون المدينة تلو الاخرى

ومهما يكن من أمر فقد حدد سقوط بيت المقدس فى يد جودفرى اول
حكام بيت المقدس الصليبيين الخطوط العريضة فى سياسة الصليبيين ضد
حلفائهم الاسماعييين . لذلك جهز الافضل جيشا بقيادة سعد الدولة
الطواشى الذى أخذ من عسقلان قاعدة لتحركاته العسكرية (٤) . وبعد انتظار
طويل لوصول الامدادات المصرية تحركت جيوشه لتلتقى بجيوش الملك بلدوين
الاول ملك بيت المقدس الصليبنى (١١٠٠ — ١١١٨ م) فى ذى الحجة عام
٤٩٤ هـ (سبتمبر ١٠١٠ م) فى سهل يقع جنوب مدينة الرملة (٥) . ولما تخلف
الملك الصليبنى بلدوين الاول (٦) ، أيضا عنصر المفاجأة للجيش المصرى حيث
كان قد وصلت أخبارهم ، ان انتصر عليهم وشتت شملهم مع استشهاده قائد هم

- | | | |
|-----|--|--|
| (١) | د . سعيد طشور | شخصية الدولة الفاطمية ص ١٩ |
| (٢) | د . سعيد طشور | شخصية الدولة الفاطمية ص ٤٦ — ٤٧ |
| (٣) | ابن الاثير
المقرئزى
سيد امير على
سيد يو | الكامل ج ١١ ص ١٢٤
اتماظ الحنفا ج ٣ ص ٢٠٤ — ٢٠٥
مختصر تاريخ العرب ص ٤٩٦ — ٤٩٧
تاريخ العرب العام ص ٢٢٦
اتماظ الحنفا ج ٢ ص ٢٦ |
| (٤) | المقرئزى | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٩٤ — ٢٩٥ |
| (٥) | د . سعيد طشور | هذا هو اول من تلقب بملك بيت المقدس |
| (٦) | ويلدوين | حيث تسلمها فى صفر عام ٤٩٥ هـ نوفمبر عام ١١٠١ م اثر وفاة اخيه
جودفرى د . حسين مؤنس : نور الدين ١١٠ |

سعد الدولة الطواشي^(١) . وقد حدث ذلك بعد انتصار حاسم سابق على تلك المعركة يقال أن جوده فرى قتل فيه بسبب " سهم اصابه فقتله " ^(٢) الا أن الثابت أنه مات متأثر ليعرض ألم به أثناء المعركة ^(٣) .

وهكذا تعين على الأفضل أن يجدد العزم على مقاتلة الفرنج أشهر هزيمة جيشه الثاني . ولا فعليه أن يتحمل طار الهزيمة . فبعث بجيش ثالث بقيادة ابنه شرف المعالي في رجب عام ٤٩٥ هـ مايو عام ١١٠٢ م الى فلسطين حيث أخذ شرف المعالي هذه المرة عنصر المفاجاء . فوقع بجيش الملك الصليبي بلدوين الاول هزيمة ساحقة على الرملة . الامر الذي نجم عنه تشتت شل الجيش الصليبي وهروب بلدوين نفسه من ميدان المعركة حيث استقبل فسي أرسوف ثم في يافا استقبالا حافوا فرحا بنجاته ^(٤) . وهناك في تلك المدينة التي رحبت به بعيدا عن عيون الجيش المصري استطاع مع من تجمع حوله مسن الصليبيين وما وصله من امدادات مختلفة استطاع برغم تفوق الجيش المصري من حيث العدد والعدة أن يعيد الكرة على الجيش المصري ^(٥) . فحاق الهزيمة بعسكر شرف المعالي كما أخذ يتتبعه الى عسقلان ^(٦) .

- | | | |
|-----|---|---|
| (١) | ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٤ وقد ذكره تحت اسم القوامسي |
| (٢) | ابن الاثير | الكامل ج ١٠ ص ١٢٧ |
| (٣) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٢٤ |
| (٤) | Runciman : A Hist. of the crusades Vol. I.P. | |
| (٥) | د . سعيد طشور | الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٩٧ - ٣١٣ |
| (٦) | ابن القلانسي | ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٩ |
| | ابن ميسر | تاريخ مصر ج ٢ ص ٤١ |
| | المقريزي | اتعاظ الحنفاء ج ٣ ص ٣٢ |
| | Grousset: „Hist des croisades Vol. I.P. 229 - 233 | |

ومما يؤسف له ان النواحي المذهبية لعبت دورا هاما فى هزيمة جيش مصر الاسماعيلى فى تلك الجولة . ذلك ان الافضل اراد ان يمد يده طالبا نجده دقاق صاحب دمشق ليكون حليفة ضد اولئك المعتقدين^(١) . ولكن صاحب دمشق السنى ابى ان يؤاخذ الافضل الاسماعيلى . " فاعتذر عن ذلك^(٢) . ونعتقد ان سلوكه هذا كان ردا على موقف مصر العدائى منهم حينما رحب — قادتها بالصليبيين علو انطاكيه من قبل . او بسبب ما كان بين حكام دمشق وحكام مصر من الخلافات المذهبية^(٣) .

والواقع لم يكن ذلك الموقف وحده من اسباب الهزيمة فحسب ، بل هناك سبب اخر اخطر من ذلك كله هو " اختلاف قادة الجيش فى مقصدهم^(٤) . وهو الخلاف الذى دب بين كل من تاج العجم قائد الجيش والقاضى ابن قادوس^(٥) . الامر الذى ادى الى تفكك القوى الاسماعيليه على يافا^(٦) . فهاقت الهزيمة بهم^(٧) .

الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٩٩

تاريخ مصر ج ٢ ص ٤١

شخصية الدولة الفاطمية ص ٢٨

الكامل ج ١٠ ص ١٢٢

اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٣

الكامل ج ١٠ ص ١٢٢

ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٩

(١) د . سعيد عاشور

(٢) ابن ميسر

(٣) د . سعيد عاشور

(٤) ابن الاثير

(٥) المفريزى

(٦) ابن الاثير

(٧) ابن القلانسي

ولم يتقاعس الافضل — رغم تلك الهزائم المتلاحقة —
 فبادر مرة اخرى الى ارسال بانه سناء الملك حسين في ذي الحجة
 عام ٤٩٨ هـ اغسطس عام ١١٠٥ على راس حملة رابعة (١) . وقد
 مد يده هذه المرة الى طغتكين اتابك دمشق — الذى تولى
 امرها اثر موت صاحبها دقاق صاحبها دقاق في رمضان عام ٤٩٧ هـ يونيو
 عام ١٠٤ م. (٢) . للمعاونة على حرب الفرنج (٣) . فما كان من
 طغتكين الا ان استجاب لدعوته الى الجهاد فارسل اليهم قائده
 واصيد صبا ويوافقه الف وثلاثمائة فارس . ذلك في الوقت الذى
 فيه الجيش المصرى نحو خمسة الاف مقاتل (٤) . فالتقى الجيشان
 مع جيش الملك الصليبنى بلدوين الاول البالغ عدده حوالى الف
 وثلاثمائة فارس وكذا ثمانية الاف راجل . فوقع المصاف بينهما على
 عسقلان يومى ١٠ ، ١١ من ذي الحجة عام ٤٩٨ هـ ٢٣ ، ٢٤
 اغسطس عام ١١٠٥ (٥) . فلم تظهر احدى الطائفتين على الاخرى
 (٦)

-
- (١) د . سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية ص ٣٠
 (٢) ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٠
 Grousset: Hist des croisades Vol. I. P. 242
 (٣) المقرئى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٥
 (٤) سبط. ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٤ — ٥
 (٥) ابن الاثير Grousset: Hist des croisades Vol. I. P. 244
 الكامل ج ١٠ ص ١٣٧ — ١٣٨
 (٦) ابن الاثير Grousset: Hist des croisades Vol. I/P. 243
 الكامل ج ١٠ ص ١٣٨ .

وقد قتل من الفريقين عدد من غير قليل قدره الذهبي باكثر من الفين ، حيث " قتل من كل منهما ازيد من الف ^(١) . وكان على راس شهداء المسلمين جمال الملك امير عسقلان . وابتداء المعركة على هذا الشكل رجع كل من شاء الملك بن الافصل الى القاهرة واصبى صبا والى دمشق ^(٢) .

لا شك ان هزائم عسقلان هذه اكدت من غير جدال امتلاك الصليبيين لبית المقدس من ناحية ، ومن ناحية اخرى فتحت امامهم الطريق على مصراعيه . ليتملكوا الكثير او البقية الباقية من بلاد الشام وما حوله ^(٣) . وعليه فقد ان الاوان للقاء الاسلام في المنطقة ان تحدد موقفها من ذلك الخطر الداهم .

واذا اشتعرضنا ما استولى عليه الفرنج من بلاد الشام . نجد هم قد ملكوا اقليما كساحلا مع البحر الشامي ^(٤) . اى الابيض المتوسط .

-
- (١) الذهبي
(٢) المقرئ
(٣) د . سعيد عاشور
(٤) ابن فضل الله العمري
- دول الاسلام ج ٢ ص ٢٨
اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٥
Grousset : Hist des croisades . Vol I.P. 243-244
الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٧
ابن فضل الله العمري التعريف ص ١٧٣

يشتمل ذلك الاقليم على سبيل ساحلى وعلى تتأثر فيه بعض الاراضى الصالحة للزراعة . ويقع فيه بعض موانئ البلاد الاسلاميه مثل اللاذقيه وطرابلس وبهروت وصيدا وثور وعكا والتي كانت على مدى عمر التاريخ معبرا للتجارة الشرقية الى الغرب^(١) . هذا فضلا عما كانت تصدره من مختلف المصنوعات المحلية التي اشتهرت بها بلاد الشرق . كانت كل تلك الاراضى باستثناء الرها تلاصق بالبحر المتوسط وترتكز في اتصالها باوربا على المواصلات البحرية^(٢) .

ولما كانت كل تلك الاراضى في متناول القوى الاسلامية . فقد تعين على الغزاه الجدد ان يقيموا الامرات الصليبية المختلفة . بل^(٣) وقيموا بها من الحاميات العسكرية ما يكفل حصانتها لرد اغارات المسلمين ومن الطبيعى كان عليهم ان يقيموا علاقات تجارية مع بعض القوى الاسلامية بالمنطقة ان مهما توسع الصليبيون وامتلكوا من الاراضى العربية فانهم لن يمثلوا اكثر من نقطة في محيط .

لذلك نلاحظ حرص الصليبيين وهم وسط غمار الحروب الطاحنة على التماس وبعض جيرانهم المسلمين من الذين تعاضفوا معهم اما بدافع الخوف ، واما بدافع الكسب المادي .

(١) د . حسين مؤنس نور الدين ص ١٠٢

(٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٦١

(٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٥٩

والواقع ان بلاد الشام غدت بعد الغزو الصليبي ، وقد استند تقاسمها مع الصليبيين ثلاث قوى اسلامية . ففي الشمال يقبع البيست السلجوقي الذي وقف رجاله — بعض الوقت — بالمرصاد لكل توسع صليبي ، وان كان قد لعب البعض منهم دورا هاما في تعزيز ذلك الغزو ودعمه ردحا من الزمن جريا وراء مصالحهم الخاصة . مثال ذلك تحالف الامير رضوان مع تنكرد امير انطاكية عام ٥٠٢هـ / ١٠٨٠م ضد جاولي سقاو^(١) . كذلك تساهل بعض الحكام والامراء العرب في تحالفهم مع الصليبيين عند عبورهم الجنوب ليستكملوا فتوحاتهم في جنوب الشام على حساب اسماعيلية مصر المتداعية .

وقد ورث الزنكيون — فيما بعد — سلاجقة الشام بزعامه عماد الدين زنكى الذى قدر له ان يقيم دولة بين الجزيرة والعراق والعرب عام ٥٢١هـ / ١١٢٧م^(٢) . قبلج من الهيمنة على — من جاوره من الامراء مدى واسعا^(٣) . ثم ورثه فيما بعد ابنه السلطان

-
- | | |
|----------------|--|
| (١) ابن الاثير | الكامل ج ٠ ص ١٦٣ — ١٦٤ |
| ابن القديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ١٥٣ |
| (٢) ابن الاثير | Grousset: Hist des croisades. Vol. I. P. 439-440 |
| ابن الشامة | التاريخ الباهر ص ٣٤ — ٣٥ |
| (٣) ابن واصل | الروضتين ج ١ ص ٣٠ |
| سيدو | مفرج الكروب ج ١ ص ١٠٠ |
| | تاريخ العرب العلم ٢٢٥ — ٢٢٦ |

نور الدين محمود (١) . الذى عاش عمره مجاهداً في سبيل الله
حريصاً على اقامة جبهة اسلامية متحدة تقف في وجه الخطر الصليبي (٢)

الاسماعيلية والصليبيون =====

اما في الجنوب فتقف الخلافة الاسماعيلية على حدود مصر
الشمالية والشرقية لترد ما امكن لها ردة من المد الصليبي المستعمر
فقدانها ما كان لها من موانئ الشام ومدنه الهامة .

واما في منطقة طرابلس وحول دمشق وحلب وفي جبل لبنان
حول منطقة جبل السماق فقد عاشت فرق مختلفة على راسها وفي
مقدمتها تلك الفرقة التي عرفها التاريخ بالنزارية او الحشيشية ا و —
الاسماعيلية او الباطنية (٣) . وهي احدى الفرق الشيعية التي
تفرغت من البيت الاسماعيلي في مصر والتي لعبت دوراً هاماً في مقدمات
الامور ابان الحروب الصليبية (٤) .

(١) ابن واصل
المقريزي

(٢) د . سعيد عاشور

(٣) ابو شامة

د . سامي نسيب مكارم

(٤) د . سعيد عاشور

مفرج الكروب ج ١ ص ١٠٧
السلوك ج ١ ص ٣٨

الروضتين ج ١ ص ٢٠٠ — ٢٠١

اضواء على مسلك التوحيد ص ١٤٠ — ١٤١

الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٠

وكانت بداية المطاف عندما استطاع الاسماعيليون امتلاك
 قلعة الشريق^(١) . وهى التى بداوا منها مدهم للتوسعى الى مختلف
 بقاع البلاد الشاميه . خاصة بعد ان تولى ابو الوفا الاسماعيلى
 وظيفة القضاء بدمشق . فترتب على ذلك وقوع المواجهة الاسماعيليه
 الصليبيه حول دمشق طمعا من الاسماعيليه فى الاستيلاء على صور^(٢)
 وهى التى ملكها الملك الصليبي بلدوين الثانى فى شهر جمادى
 الاولى عام ٥١٨ هـ (يوليو ١٢٤٤ م) . وذلك على عهد الخليفة
 الامر باحكام الله الاسماعيلى بعد ان فشلت جهوده المشتركة مع
 طغتكين صاحب دمشق فى الدفاع عن البلد^(٣) . وكان ذلك على اثر
 مقتل الافضل بن بدر الجكالى وزير الامر^(٤) . وانتهى الامر باحتلالهم
 عسقلان عام ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م)^(٥) . وكان ذلك عقب مقتل وزير الخافق
 راس الامراء على بن السلار^(٦) .

-
- (١) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص ٩٦
 (٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٩
 (٣) ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٢٢٥
 (٤) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ص ٢١١
 (٥) ابو الفدا المختصر ج ٢ ص ٢٣٧
 (٦) ابن ابيك الدوادار كنز الدرر ج ٦ ص ٥٤٨ — ٥٤٩
 ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٨٢
 (٦) الذهبى دول الاسلام ج ٢ ص ٦٣

ومهما يكن من امره فان الذى يهمنا فى هذا المقام هو ما تمخض عن فشل المؤامرة الاسماعيلية الصليبية حول دمشق ، وهو وقوع حصن بانياس فى ايدى الصليبيين . فظلت فى ايديهم حتى استردها شمس الملوك بورى بن تاج الملوك عام ٥٢٧هـ / ١١٣٢م (١) . وقد عبر سبط ابن الجوزى عن ذلك بانه كان فتحاً عظيماً لم يراهل دمشق مثله (٢) . وقد اعتبر نفس المؤرخ ان تسليمه للاسماعيليين من قبل كان سيئة من اكبر سيئات طغتكين بحيث تغطى حسانه (٣) .

والواقع ان حصن بانياس بوقوعه فى يد الصليبيين لعب دوراً خطيراً فى تلك الفترة ، اذ ترتب على ذلك ان قويت نفوس الفرنج على قصد دمشق واستعدوا لها (٤) . فهب بلدوين

(١) ابن الاثير . الكامل ج ١٠ ص ٢٤٤

(٢) سبط ابن الجوزى . مرآة الزمان ج ٨ ص ١٤٥

(٣) سبط ابن الجوزى . مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٩

(٤) سبط ابن الجوزى . مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠

في ندى القعدة عام ٥٢٣ هـ اكتوبر عام ١٢٩١ م مع من اجمع اليه
 كن انطاكيه وطرابلس وبلاد الساحل الشامى ، فضلا عن الامدادات
 الاوربية لذلك الغرض (١) . ولكن يقظة تاج الملوك لم تترك لهم
 الفرصة لتحقيق اغراضهم . ففشل غزوهم لدمشق حينما التقى الجيشان
 على جسر الخشب قرب دمشق (٢) . فهاقت الهزيمة بجيش بلدوين الاول
 واندحر يجررا ذيال الخيبه والعار امام عسكر دمشق (٣) . لكن ليس
 معنى ذلك ان دمشق كانت في منأى من شرهم . وظلت مهددة من
 جراء الفزوالصليبي منذ ان استولوا على عسقلانه ، حتى استولى
 عليها لوردين محمود بن صغر عام ٥٤٩ هـ - ابريل عام ١١٥٤ م (٤) .

والواقع ان مؤامرات الاسماعيلية ضد حكام وامراء الشام لم يقتصر
 على المدن الكبرى مثل دمشق وحلب فعسب ، بل تجاوزتها الى حدود
 المعاونة العسكرية لحلفائهم الصليبيين ضد بنى جلدتهم من المسلمين
 مثال ذلك ما حدث من اتحاد على بن وفا شيخ الباطنية وانضمامه

(١) Runciman: A.Hist of the crusades. Vol. II.P. 179 - 180

١٧٩ - ١٨٠

ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٤ - ٢٢٦

(٢) اين القلانسي

(٣)

(٤) سبط ابن الجوزى المرأة ج ٨ ص ١٣١ .

(٤) واصل مغرر الكروب ج ١ ص ١٦٥

الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ٦٥

وزاد الامر خطورة — من وجهة نظرهم — ما اقبل عليه نور الدين حينما نجح في استصدار تقليد من خليفه بغداد " المستضى " العباسى " بان عمله هذا جهاد دينى ، فاجابه الخليفة الى ما طلب ، فضلا عن ذلك فانه جعل له امرة مصر اذا تم له فتحها (١) . كما لقبه بالملك العادل (٢) . يضاف الى ذلك كله امتلاكه لحصن شيب عام ٥٥٢ هـ / ١٦٨ م الذى كان الاسماعيليون قد طمعوا من قبيل لحصانته واهميته لهم (٣) . كل هذه الاعمال المختلفة اثارت حنقهم عليه وزادت من كرهيتهم له .

وفى ذلك الوقت حينما كان نور الدين مشغولا بحرب بانياس عام ٥٥٩ هـ / ١٦٤ م (٤) . وشيركوه يسيطر على بعض الاراضى المصرية

-
- | | |
|----------------|---|
| (١) ابن الاثير | الكامل ج ١ ص ١٤٨ |
| د . حسين مؤنس | نور الدين ص ٢٩٨ |
| (٢) الذهبى | دول الاسلام ج ٢ ص ٦٦ |
| (٣) ابن الاثير | الكامل ج ١ ص ٨٢ |
| ابوشامه | للروضتين ج ١ ص ١١١ - ١١٣ |
| (٤) ابن العديم | زبدة الحلب ج ٢ ص ٣٢١ |
| ابن واصل | King: The knights Hospitallers P. 90
مفرج الكروب ج ١ ص ١٤٠ |
| (٥) ابن الاثير | التاريخ الباهر ص ١٢١ |
| ابوشامه | الروضتين ج ١ ص ١٣٠ - ١٣١ |

كان شاور وزير العاضد يرتقى بحاميته وبكل قواه — بعد ان حنت بوعده لنور الدين وشيركوه في احضان عموري صاحب بيت المقدس . ذلك ليقف معه ضد الغزو النوري لمصر^(١) . وقد نسب شاورا وتناسى ان الفضل يرجع قبل كئلا شىء لجيش نور الدين الذى اعاده الى وزارة مصر بعد ان قضى على ضرغام وثبت اقدامه بها^(٢) .

وكيفما كان الامر فقد نجم الغزو للنورى الثالث لمصر عام ٥٦٤ هـ عام ١١٦٨ م . في فتح مصر بقيادة اسد الدين شيركوه^(٣) فقضى على قتله الوزير شاور وقتله بامر العاضد خليفة مصر وقتئذ^(٤) .

ولكن على الرغم من ذلك كله فان الامور لم تقف عند هذا الحد بعد ان استمجد قادة مصر الاسماعيلية في نفس الوقت بالامبراطور البيزنطى مانويل كومنين الذى كان على اهبة الاستعداد عندما دعاه عمورى وصادفت دعوته رغبة المنشقين الذين ارسلوا يطلبون اليه المسير الى مصر للتخلص من جيش نور الدين^(٥) . لوكن فات

-
- | | |
|--------------------|---|
| (١) د . سعيد عاشور | شخصية الدولة الفاطمية ص ٥٩ |
| (٢) د . سعيد عاشور | الايوبيون والمماليك في مصر والشام ص ١٣ — ٢٥ |
| (٣) ابن شداد . | النوادر السلطانية ص ٣٩ — ٤٠ |
| ابن الاثير | التاريخ الباهر ص ١٣٧ — ١٤٠ |
| (٤) ابو شامة | ابروستين ج ١ ص ١٢٢ |
| الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ٧٧ |
| (٥) ابن كثير | البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٤٨ |
| د . حسين مؤنس | نور الدين ص ٣٢٠ |

الجميع ان صلاح الدين لا يقل خطوره ولا مهارة ولا اقداما عن سلفه شيركوه . وفي تلك الاثناء استطاع صلاح الدين ان يستحوذ على عطف الخليفة العاضد وان يتولى هو شئون الوزارة في البلاد (١) كما انه استطاع ان يحطم من جهة اخرى مشروعات الخليفة واعوانه فقد قيل ان الخليفة العاضد رضى بعض الوقت عن تصرفات اولئك المنشقين ، ولكنه — امام سطوة صلاح الدين وقدرته على السيطرة على الجوالعام في البلاد — عاد الى صوابه (٢) .

وكان ان تحقق ما كان يرنو اليه اعداء العهد الجديد . ففي الوقت الذى انشغل صلاح الدين باخماد ثورة الجند داخل البلاد الاسماعيلية في مصر وصلت طلائع الغزو الصليبي للبلاد . فدخلت قوات عمورى وتجمعت عند القرماء بينما اتجه الاسطول البيزنطى مباشرة الى دمياط في صفر عام ٥٦٥ هـ نوفمبر عام ١١٦٩ م (٣) . وكانت المفاجأة لصلاح الدين حيث اضحى بين شقى الوحى في القاهرة ، ثورة . وعلى اطراف البلاد اشمالية غزو خطير . الا ان ذلك لم يشن من عزمه في مجابهة الخطرين معا . فقرر على الفور ارسال الحامى الى دمياط في الوقت الذى لا بد ان يكون على اتصال

(١) نبطا بن الجوزى . مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٢٩ .

(٢) د . سعيد عاشور . مصر في العصور الوسطى ص ٢٩٢

(٣) د . سعيد عاشور . شخصية الدولة الفاطمية ص ٦٣

دائم برئيسه نور الدين في الشام • فبعث اليه يستجده ويوضح له الامر^(١) • فانه ان خرج من مصر خلفه اهلها بسوء وان قصسد عن الفرنج اخذوا دمياط وجعلوها معتقلا يتقووا بها على اخذ مصر^(٢) • وكان من الطبيعي ان يستجيب نور الدين على الفور للنداء " فانه فوق الجند ارسالا^(٣) • ذلك في الوقت السدي وقف اهل دمياط مع صلاح الدين على قلب رجل واحد • فسددوا الميناء امام سفن الاسطول البيزنطي بسلاسل ضخمة مما عاق سيرها جنوبا نحو القاهرة • فضلا عن منعها من دخول البرزخ الديماري^(٤) كذلك لعبت كرات النار التي قذفه بها الاهالي دورا هاما في تدميره • فانت على جزء كبير منه^(٥) •

وان دل ذلك على شيء • انما يدل بصورة جلية وواضحة على ان اهل مصر رحبوا بحكم صلاح الدين السني نابذين وراء ظهورهم عهد الاسماعيليين بكل ملامحه • وان كان ذلك لا يمنع ان نحقق الحق فقد ورد ان العاضد الاسماعيلي اخر الخلفاء بمصر امس

-
- | | |
|--------------------|----------------------------------|
| (١) ابوشامه | الروستين ج اص ١٨٠ |
| د • حسين مؤنس | نور الدين ص ٣٢٥ |
| (٢) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٦٠ |
| (٣) ابن الاثير | التاريخ الجاهر ص ١٤٣ |
| ابن واصل | مفرج الكروب ج اص ١٨٩ |
| (٤) د • سعيد عاشور | مصر في العصور الوسطى ص ٢٩٤ — ٢٩٥ |
| (٥) د • سعيد عاشور | شخصية الدولة الفاطمية ص ٦٣ |

صلاح الدين بما لا يقل عن " ألف الفدينار " لمساعدته في حربه على دمياط^(١) . الامر الذي جعل صلاح الدين يعترف له بالفضل وقد اعلن ذلك بنفسه قائلا " ما ريات اكرم من العاضد جهز السى في حصار الفرنج الف الف دينار سوى الثيان وغيرها^(٢) .

بيد ان القدر اراد ان يلعب دوره في هزيمة اولئك المعتدين فاشتركت السماء بهميل منهمر لتحول الارض تحت اقدامهم او حالا . فلم يبق لهم من الرحيل مناص^(٣) . فغادرت الحملة دمياط في الثالث والعشرين من ربيع الاخر عام ٥٦٥ هـ - ١١ ديسمبر عام ١١٦٩ م^(٤) . ذلك في الوقت الذي كان نور الدين يلعب اعظم ادوار البطولة في بلاد الشام حيث قام بغارات عنيفة على مملكة بيت المقدس وممتلكاتهم في الشام . فدخل بلاد الفرنج فنهبها واغار عليها واستباحها ووصلت النارات الى مالم تكت تبلغه لخلو البلاد من مانع^(٥) . فترتب على ذلك ان " قتل خلقا من رجالهم وسبي كثيرا من نساءهم واطفالهم

- | | |
|--------------------|--|
| (١) ايسوشامه | الروستين ج ١ ص ١٨٢ |
| (٢) سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٧٩ |
| المقريزى | الخطط ج ١ ص ٢١٤ |
| (٣) د . حسين مؤنس | نور الدين ص ٣٢٦ |
| (٤) المقريزى | اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣١٥ - ٣١٦ |
| ٥٥٠ ابن الاثير | Grousset: Hist des croisades Vol. II. P. 544 |
| | التاريخ الباهر ص ١٤٤ |

ونغم من أموالهم^(١) . فاضطر عموري امام ذلك الخطر الداهم السي
سرعة الرحيل لبلاده^(٢) . فضلا عن ذلك فقد فسر الاسطسول
البيزنطي هاربا الى الشمال ليلاقى حتفه وسط عاصفه ارسلها الله
تعالى لتكتب نهاية ما سلم من سفنه في جريقدمياط بسبب عجز
بمحاربتها عن السيطرة عليها^(٣) .

وبذلك فشلت المؤامرة الاسماعيلية لطرد الجيش النوري
من البلاد . وماتت خيوطها البالية تذورها الرياح . . . مما مهد
لرسوخ اقدام صلاح الدين في مصر^(٤) . لتسبح بقية خيوط النهاية
لقصة الاسماعيلية في مصر اولا ثم في بلاد الشام فيما بعد .

على ان عموري الاول ملك الصليبيين في بيت المقدس لسم
يقف مكتوف الايدي في ذلك الدور امام خطر الجبهة الاسلاميه
التي جمعت بين الشام ومصر والتي احاطت بمملكة بيت المقدس الصليبيه
وطوقتها من الشمال والجنوب^(٥) .

البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٦٠

مفرج الكروب ج ١ ص ١٨٢

شخصية الدوله الفاطميه ص ٦٤

شخصية الدوله الفاطميه ص ٦٤

شخصية الدوله الفاطميه ص ٦١

(١) ابن كثير

(٢) ابن واصل

(٣) د . سعيد عاشور

(٤) د . سعيد عاشور

(٥) د . سعيد عاشور

لذلك انتهر عموري الاول فرصة الخلاف الواقع بين اسماعيلية الشام بزعامة راشد الدين سنان وبين نور الدين ليحقق بعض المكاسب ويدعم مكانته على حساب المسلمين وكان سنان — كما ذكرنا انفاً — قد اعتبر نفسه الوارث الشرعي لاسماعيلية مصر . هذا من وجهة ، ومن جهة اخرى فان نور الدين استطاع القضاء على القوضى الضاربة اصحابها في بلاد الشام بسبب الفتن الاسماعيلية كله قضائه . على سبيل الخلاف الاسماعيلية في مصر^(١) . لذلك كان على سنان ان — يتعاطف مع غريم نور الدين الصليبي ليقضيا معاً على ذلك القائد الذي اقلق بالهم وشتت شملهم وما زال يتعقبهم حينما حلوا ركا بهم .

لذلك حدث على اصرار عودة نور الدين الى دمشق — صلاح الدين الى مصر ان انتهر كل من سنان وعموري تلك الفرص المواتية ليعقداً ما اتفقا مشتركاً ضد نور الدين . فحواه ان يتوسط عموري لرفع الاتاة التي فرضها فرسان الدولة على بعض الحصون والقـرى الاسماعيلية المتفوقة في الجبال التي سيطر عليها الاسماعيليون .

ثم خضعت فيما بعد من ارتاحية السياسية للنفوذ الصليبي^(٢) ولا غرابة ان يوافق عموري على ذلك لكسب صديق سلم قوى ضد نور الدين .

(١) د . سعيد عاشور الايوبيون والمماليك في مصر والشام ص ٢٩ — ٣١

— ٣١ —

(٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٣٤

ومهما يكن من امر فقد نجح وفد سنان الى عمورى فى ذلك •
فوافق عمورى من حيث المبدأ على التوسط بين كل من الاسماعيلية
والدوية فى ذلك الشأن (١) • وكما سبق ان اوضحنا فقد اتهم راشد
الدين سنان فى هذا الصدد بانه عرض على عمورى قبول اعتناقه
المسيحية مقابل ذلك (٢) • الامر الذى كان له اطياب الوقع فى نفس
عمورى مما جعله يستمر فى تأييدهم فى طلبهم هذا (٣) • الا اننا
فى واقع الامر نؤيد الراى القائل برفض مثل ذلك الاتهام الباطل (٤)
ولا نستبعد ان يكون ذلك الامر مدسوسا عليه من بعض المؤرخين •

ومما يدعم راينا هذا ان الوفد الاسماعيلى لبيت المقدس لسم
تكتب سلامتهم على طريق العوده • ذلك انهم ماكادوا يقتربون من
طرابلس حتى ارسل رئيس الداوية فارسا من طرفه يدعى "الترميسنيل" •

(١) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٢٣٥

(٢) د • حسين مؤنس نور الدين ص ٣٥٢

Runciman: A Hist. of the Crusades. Vol. II. P. 397

Runciman: A Hist. of the crusades. Vol. II. P. 397

(٤) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٢٣٤

فانقض عليهم فقتلهم جميعا^(١) . ونعتقد انهم اقبلوا على ذلك حتى
يفشل حذفهم مع صاحب بيت المقدس ، فيكون الداوية في حل
ما اتفقوا عليه من ناحية وليفسدوا العلاقات بين كل من عموري و—
الاسماعيليين من ناحية اخرى وقد كان لذلك الحادث رد فعل خطير
حيث غضب عموري Amalric انه غضبا بالغنا^(٢) . فاصدر
امرا بالقبض على " والتر " walter والقي به في السجن .
كذلك بعث الى الباطنيستازنه في حل جماعة الداوية . ذلك على
الوقت الذي ارسل يسترضي حذيفه سنان ويعتذرله عما حدث
متعاهدا واپاه على تنفيذ ما كانا يبغيانه معا^(٣) . لدرجة ان المؤرخين
الاوربيين اعتبروا ان عام ١١٧٤م هو عام العلاقات
الطيبة بين الاسماعيلية الحشيشيه والصليبيين^(٤) .

(١) د . حسين مؤنس نور الدين ص ٣٥٢
Runciman: A Hist of the crusades. Vol. II.P. 297

(٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٣٥

(٣) د . حسين مؤنس نور الدين ص ٣٥٣
Grousset: Hist des croisades. Vol.II.P.601 602

Runciman. A Hist. of the crusades. Vol.II.P.397

وكيفما كان الامر فنحن لا نستطيع لن نوكد اتهم راشد الدين سنان بذلك الامر الخطير . وخاصة اذا علمنا ان فرسان الداوية جاءوا على كل شيء مع الوفد الاسماعيلي ليخفوا معالم الاتفاقية التي ي حتمل ان تكون قد وقعت بينهم . فضلا عن ذلك فان راشد الدين سنان لم يكن من الضعف بمكان لدرجة انه يخرج عن دينسه ودين ابائه واجدادهم ، في سبيل كسب مادي رخيص يتمثل في الضرائب او الاناوات المفروض عليهم دفعها للداوية اولغيرهم^(١) . ولذلك فاننا نعتبر ان ذلك الاتهام كان محض افتراء لا اساس له ولا يتمتع باى نصيب من الصحة

ومهما يكن من امر فان مخطط عموري — سنان ، ضد نور لدين فشل بسبب كارثة الاسماعيليين على مشارف طرابلس^(٢) .

وكيفما كان الامر فانه بوفاة نور الدين محمود في شوال عام ٦٩٥ هـ مايو عام ١١٧٤ م اصبح صلاح الدين يتعامل وجها لوجه مع كل من الفريقين الصليبي والاسماعيلي معا .^(٣)

-
- (١) د . سعيد عاشور الحركة الصيلية ج ٢ ص ٧٣٤
(٢) د . سعيد عاشور . الايوبيون والمماليك في مصر والشام ص ٧١
(٣) د . سعيد عاشور . الايوبيون والمماليك في مصر والشام ص ٧٤

وقد وضحت الصورة تماما عندما ملك الاسماعيلوية حصن مصياف عام ٥٣٥هـ / ١٤١١م^(١) . فتأكد بذلك دورهم الرئيس في المجالين الاسلامي والصليبي على السواء . وعلى وجه الخصوص عندما اتخذها سنان قاعدة له^(٢) . والواقع فقد لعب حصن مصياف دورا هاما في التاريخ الاسماعيلي لاهمية موقعه بين دمشق وطرابلس وفي منطقة جبل اللكام . هذا فضلا عن جملة الطبيعة من جوله . فقد كان محاطا ببعض الحدائق الغناء بالاضافة الى قرية من نهر العاصي وكان — فوق ذلك كله — يتوسط قلاع الاسماعيليه في تلك المنطقة ، وهي القدموسى والمنبثقة والعلية والكهف . فضلا عن تمتد — باستحكامات نوية ومنيعه . لذلك اتخذ مقرا لشيخ الجبل^(٣) . والمشاهد ان النواحي المذهبية كان لها بالضرورة المقام الاول في كل الاتجاهات الاسماعيليه ذلك فضلا عن نوع الخطر المحدق بهم ، سياسيا كان ام عسكريا .

(١) سيط ابن الجوزي مرآة الزمان ج ٨ ص ١٧٧

(٢) الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ٥٤

(٣) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص ١٠١

ذلك انه عندما وطدوا امارتهم في مصيف ، وجدوا انفسهم امام قوة طامعه في الغرب متمثلة في الصليبيين . وقوة ناهضة فسي الشمال والشرق والجنوب متمثلة في المملكة الثورية الجديدة فاخذوا في التمكين لانفسهم بتحسين قلاعهم وحشدها بالجند من الفداويه مع التركيز على تدريبهم في مدرسة الكهف^(١) . ومن هنا نفهم انه كان للحصون الاسماعيليه في بلاد الشام - ارض متخصصة لعبت دورا هاما في تربية اتباعهم على مختلف درجاتهم في الدعوة .

وكان اول تعاملهم الفدائي مع الصليبيين عندما لاح خطر
ريمنسند الثاني امير طرابلس عام ٥٤٧هـ
١١٥٢م . فكان ردهم عليه ان لقي مصرعه بخناجرهم^(٢) . والواقع
لقد اقام الاسماعيليون علاقاتهم بكل من المسلمين المسنين والصليبيين
على اساس المصلحة الذاتيه البحتة دون النظر الى اي اعتبار اخر .

وفيما يبدو ان شعروهم بالاقليه في وسط ذلك البحر الخصم
من التيارات السياسيه والحربيه هو الذي املى عليهم ضرورة اتباع
سياسة العنف احيانا والمراوفه والمداهنه احيانا اخرى .

(١) ميشيل لباد : الاسماعيليون في مصيف ص ١٠٦

(٢) د . سعيد عاشور : الحركة الصليبيه ج ١ ص ٥٦٠

ذلك انهم اقدموا على قتل كونراد مونتقرات عندما اعترض رجاله
سفينة اسماعيليه كانت تحمل تجارة لشيخ الجبل راشد لدين سنان .
وكانت قد اخذت طريقا تجاريا في البحر املتوسط فاسروها بمن وما فيها^(١)
ولما فشل سنان في مفاوضاته مع مونتقرات
في شأن اعادة سفينته مع اطلاق الاسرى ورد الاموال . تعين عليه
ان يحدد موقفه من خصمه العنيد . فلقى مونتقرات مصرعه على يد
فدائيته يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الاخر ٥٨٨ هـ ٢٨ ابريل ١١٩٢ م
في صور^(٢) . ثم ذلك بعد ان دس سنان اثنين من رجاله تعايشا
في الاوساط الكنسية في مدينة صور فترة غبر قصيرة من الزمن لينفذوا
ما امر به في غريم الاسماعيليه مونتقرات^(٣) . حتى ليقال انهم
تظاهروا باعتناق المسيحية لاختفاء حقيقة شخصيهما . فارتدوا ملبسين
الرهبان^(٤) . فضلا عن ذلك فانهما استطاعا تعلم لغة الفرنسـ
واجادتها^(٥) .

(١) Sykes: A hist of Persia Vol. II.P.100

Runaiman :A Hist of the crusades. Vol.II.P. 64-65

(٢) العمال الاصغرهاني الفتح القسي ص ٤٧٩

Guyard: Un grand moitre . P. 84

الكامل ج ٢ ص ٣١

(٣) ابن الاثير

مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٨٢

(٤) ابن واصل

مناقب المولى سنان ص ١٨٤ .

(٥) ابو فراس

Guyard: Un grand moitre . P.50

وقد اختلفت الروايات حول دوافع اغتياله . فانهم البعض صلاح الدين ^(١) . وكان سبب ذلك هو تحسن علاقائه براشد الدين سنان . حتى قيل ان راشد الدين سنان براس مونتقرات هديسه لحليفه صلاح الدين ^(٢) . فيقال انه عندما تم اغتياله + اجتسز القاتلان راسه وخطاه في مخلاء واخطا سيفه وحياسته وخرجا مسن جيش الافرنج مسرعين الى ان دخلا على الملك صلاح الدين فوضعا راسه بين يديه وسيفه وحياسته ^(٣) . الا ان ذلك - في تصورنا - امر بعيد الاحتمال . اذ كيف جىء يراس مونتقرات Montferrat الى صلاح الدين وقد تم القضاء على القاتيلين في الحال ^(٤) ؟

وهناك رأى اخر يفيد ان صلاح الدين كان قد اوعز الى سنان يقتل كل من مونتقرات Montferrat وريتشارد قلب الاسد ^(٥) . الا انه كان على سنان ان يحدد موقعه من كل من الثلاثة . فوقع الاختيار على مونتقرات دون ريتشارد حتى لا يخلل

(١) د . محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه ص ١٠٤

ميشيل لباد الاسماعيليون في مصيف ص ١٠٧

(٢) فصل من اللفظ الشريف

(٣) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٣٠

Guyard: Un grand moitre P.49

(٤) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ٣١ Rundiman: A Hist. of the crusades. Vol. III. P

(٥) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ٣١

King: The Knights Hospitallers: P. 153

الجوالصلاح الذين • وحيث لم يره سنان مصلحة لهم لئلا يخلصو وجه صلاح الدين من الفرنج ويتفرع لهم (١) .

لم يقتصر الامر عند حد اتهام صلاح الدين فحسب ، بسبل اتهم ايضا الملك ريتشارد في هذا الصدد اتهاما صريحا وواضحا (٢) فنجد بعض مؤرخى الصليبيين يتهمونه بالتدبير لاغتيال مونتفرات حتى يصفوله الجوفى الارض الفلسطينيه من جهة ، ومن جهة اخرى لينفرد هو بزعامه الصليبيين فى الارض العربيه المحتله ، وذلك بالتخلص من منافس خطير مثل مونتفرات (٣) . وايدهم فى هذا الراى كثير من مؤرخى المسلمين وعلى راسهم ابن الاثير . وقسده عبر عن ذلك بقوله : " ونسب الفرنج قتله الى وضع من ملك انكلتار لينفرد بملك الساحل الشامى (٤) . فضلا عن ذلك فان اغتيالـه وقع موقعا طيبا من نفس ريتشارد وقد عبر صاحب المراه عن ذلك بقوله : وسر ملك الانكلتار بقتله لانه كان يضاهيه ويضاده ويراسل السلطان فى الاعانة عليه (٥) . يؤكد ذلك ما جاء فى الروضتين : فلما قتل سكن روعه وذهب عنه ضره (٦) .

(١) King: The knights Hospitallers: P. 153

(٢) مونورند تاريخ الحروب المقدسه ج ٢ ص ١٥٣

Runciman: A Hist of the crusades. Vol. III. P. 65

(٣) ابن الاثير الكامل ج ٢ ص ٣١

(٤) سبط ابن الجوزى مراه الزمان ج ٨ ص ٤٣٠ - ٤٣١

(٥) ابوشامه الروضتين ج ٢ ص ١٩٦

(٦) سبط ابن الجوزى مراه الزمان ج ٨ ص ٤٣١

King: The knights Hospitallers .P.153

Runciman: A Hist of the crusades vol. III. P. 66

يـ مـرـزـ ذـلـكـ كـلـهـ اـنـهـ لـمـ يـكـدـ يـمـضـىـ حـوـالىـ اـسـبـوعـ مـنـ مـصـرـعـهـ
 حـتـىـ اـعـلـنـ فـىـ الخـامـسـ مـنـ مـايـوـ عـامـ ١٩٢ م (٢٠ ربيع ثـانـى عـام ٥٨٨ هـ)
 خـبـرـ زـواـجـ اـرـمـلـتـهـ " اـيـزـابـيـلا
 مـنـ الـامـيرـ هـنـرى
 شـامـبـيـنـى
 اـبـنـ اخـتـ رـيـتـشـارـد لـيـحـمـلـ بـدـورـه
 لـقـبـا مـلـكـيا و هـمـيا و هـو مـلـك بـيـت المـقـدـس (١) . و ذـلـكـ فـى الـوقـت الـسـنـى
 كـانـت مـديـنـه بـيـت المـقـدـس ذـاتـها قـد سـقـطـت فـى يـد صـلاـح الـديـن يـوم
 الـجـمـعـة ٢٧ مـن رـجـب عـام ٥٨٣ هـ الثـانـى مـن اـكـتـوبـر عـام ١١٨٧ م
 و لـم يـعـد لـها مـلـك غـيرـه (٢) .

و قـد سـاعـد عـلى تـعـزـيـز اـتـهـام رـيـتـشـارـد ان الـقـاتـلـين اعـتـرا فـا
 بـانـهـما مـن الـاسـمـاعـيـليـه " و ان الـانـكـتـار و ضـعـنا عـلـيـه (٣) .

و لـقـد تـمـثـلـت خـطـورـة مـصـر مـونـتـفـرات فـى اـنـه كـان لـلـمـشـرـح الـو حـيـد
 لـتـاج بـيـت المـقـدـس . و قـد جـرت مـفاـضـلة بـيـنـه و بـيـن جـاى لـوزـجـنـان فـى
 مـؤـتـمـر عـسـقـلان اـبـرـيـل عـام ١٩٢ م عـلى هـيـئـة اسـتـفـتـاء فـكان الـراى فـى
 جـانـبـه (٤) . و قـد لـعبـت عـوا مـل الكـرا هـيـة الـتى - اـضـمـرـها الصـليـبـيـون

(١) سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٣١

(٢) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨١٩ - ٨٢٢

(٣) ابن شداد العليمى النوادر السلطانية ص ٢٠٨

أنس الجليل ج ١ ص ٣٥٨

(٤) د . سعيد عاشور الناصر صلاح الدين ص ٢٥٤

في بلاد الشام لال لوزجنان دورا هاما في تعزيزاتهم ريتشارد بفللك (١)

والواقع لو أننا بحثنا في ثنايا الموقف بالنسبة للقضية العربية لتبين لنا انه كان من الضروري والافضل لصلاح الدين ان يظل منتفرا على مسرح الحوادث . بسبب انه تساهل مع غريمه ريتشارد في التفاوض مع صلاح الدين كل يريد ان يكون له قصب السبق في النيل بموافقتيه على ما يريد .

ففي الوقت الذي كان صلاح الدين يستقبل مبعوث منتفرات (٢) كان شقيقه العادل يجرى - من ناحية اخرى - مفاوضات مع الملك ريتشارد . وقد دازت المفاوضات جميعها على مستوى واحد اوبعضني اخرفي مجال مقارب (٣) . ولا شك ان مصرعه كان لابد ان يعطى ريتشارد دفعة قوية للتمادي في مطاولة صلاح الدين . ولكن صلاح الدين فيما يبدو لم يتأثر كثيرا بموت منتفرات (٤) . بالرغم انه " لم يعجبه قتل المركس لانه كان قد ابدى عداوة الانكليز ومنازعته في الملك (٥) . فسار صلاح الدين في تحديه لريتشارد حتى ادعس

قبرص والحروب الصليبية ص ٢٧
الفتح القسى ص ٥٦٠ - ٥٦٢
النوادر السلطانية ص ٢٠٦ - ٢٠٨
الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٨٤
الروضتين ج ٢ ص ١٩٦
مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٨٢

(١) د . سعيد عاشور
(٢) العيا (الاصفهاني
(٣) ابن شداد
(٤) د . سعيد عاشور
(٥) ابوشامه
(٥) ابن واصل

الاخير لطلبه (١) . وهكذا لعب الاسماعيليون بقتل مونتفيسرات
دورا هاما — ربما عن غير قصد — حتى تتم
الصلح المثير بين كل من صلاح الدين وريتشارد .

وعليه فقد ارسل ريتشارد " لصلاح الدين في الصلح وظهر
من ذلك ضد ما كان يظهره اولا فلم يحبه صلاح الدين الى ما طلب
ظنا منه انه يفعل ذلك خديعة ومكرا (٢) . ولكن المفاوضات سارت بينهما
في الطريق المرسوم لها حتى عقد ما عرف " بصلح الرملة في العشرين من
شعبان عام ٥٨٨ هـ ٢ سبتمبر عام ١١٩٢ م (٣) . وكان من اهم بنوده
دخول بلاد الاسماعيلية في حوزته (٤) . فتم الاتفاق على ان البلاد
الساحلية التي بايدى الفرنج هي لهم والبلاد الجبلية التي فيها القلاع
تبقى بايدى المسلمين (٥) . ذلك مع السماح بالحج المسيحي —
المجرد من تكل الغايات العسكرية — الى بيت المقدس مع اعضاء
الحجيج من اية ضريبة مقابل ذلك (٦) .

-
- | | |
|---|---------------------------|
| (١) العما الاصفهاني | الفتح القسى ص ٦٠٣ |
| (٢) ابن الاثير | الكامل ج ١٢ ص ٣٤ |
| (٣) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٩٨ |
| (٤) تولى العما الاصفهاني كتابة عقد الهدنة . وكان ذلك في يوم
الثلاثاء الحادى والعشرين من شعبان عام ٥٨٨ من اول ايلول
(سبتمبر عام ١١٩٢ م المدد ثلاث سنين وثمانية اشهر الاصفهاني
ابفتح القسى ص ٦٠٥ . | |
| (٥) ابن الجوزى | المنتظام ج ٢ ص ٢٠٠ |
| سبط ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٤١٨ |
| (٦) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٩٨ |

ويرجع اعتقاد البعض في ان صلاح الدين كانت له يد فسي
اغتياال منتفرات الى ان صاحب المناقب ادعى ان صلاح الدين
اصبح على اثر سماعه بذلك الحادث . فرحا مسرورا . فطلب الفداويه
فلما حضرا قام قائما لهما وعظم قدرهما وقام وزراؤه وجلساؤه لقيامه
لهما ثم خلع عليهما واحسن اليهما واجلسهما الى جانبه (١) . كما
ادعى نفس الكاتب ان صلاح الدين رسم بان يكتب لدعوة المهادية
في كل معاملة من المعاملات القريبه الى قلاع الدعوة عشرة ضيع ويبسني
لبيت الدعوة الهادي في كل مدينة من المدن دارة دعوة في مصر ودمشق
وحمص وخماه وحلب وغير هذا من المدن . وسير المولى واشد الدين
هديه سنه (٢) .

على ايه حال فان علاقة الاسماعيليين بالصليبيين لم تكن على
اسس عدائيه بصفه دائمه . فقد سادتها عوامل الود والصدقه فتسرة
غير قصيرة وتبودلت الزيارات بين قادة كل من الفريقين . وكان —
الصليبيون قد اعتقدوا ان موت سنان عام ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م سيحدث
فراغا في المجتمع الاسماعيلي ولمن ابنه الحسن سرعان ما استطاع
ان يملأ ذلك الفراغ . ففتح ابواب قلاعه ليستقبل الملك الشاب
هنري الشامبني

(١) فصل من اللفظ الشريف ١٤٥

(٢) فصل من اللفظ الشريف ١٤٥

الذى تولى امر الصليبين بالشام اثر مصرع مونتقرات وهو طريقة السى انطاكية فهرع هنرى لزيارة الحسن بن سنان صاحب قسـلاع الاسماعيليه . حيث استقبله فى قلعة الكهف (١) . ذلك لانـسـه كما وصفه ابن الاثير " كان خير الطبع قليل اشرف فقا بالمسلمين محبا لهم (٢) .

وهناك فى قلعة الكهف استطاع هنرى ان يقف على قسوة الاسماعيليين . وكيف حولوا شأبا من البشر فى مقتبل العمر السى مجموعات من الفداويه لايهايون الموت ولا يخشون الردى فى سبيل تحقيق اغراض شيخهم وعملا على مرضاته كما وانهم كانوا رهن اشارته (٣) فدعا الحسن بعض رجاله بن الفداويه لأمره بقتل نفسه بخنجر ففعل . وامر اخر بالقاء نفسه من اعلى ابراج القلعة فهوى على الغور ليراه هنرى بعد ثوان جثة هامده . ولما راعه ما راي ، طلب الي الحسن الا يامر بثالث وكفى (٤) .

الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٠٩

الكامل ج ٢ ص ٣٤

(١) د . سعيد عاشور

(٢) ابن الاثير

٨٩٣ Rubciman: A Hist f the crusades vol. III. P

الاسماعيليون ، مصيا ف ص ٨٠٨

(٤) ميشيل لباد

وهذا — في واقع الامر — مما جعلهم يتعلشون مع جيرانهم
الاسماعيلية على اساس من الود والمحبة . اوربما هو الخوف من شر
مخناجرهم . فخرج هنرى من القلعة مرتبط مع الحسن بصدقة عريقة .
وعلى وعد من الحسن بانهم على اتم استعداد لمساعدته بضد اذى عسكو
يشير اليه (١) . وان دل ذلك شئ فانهما يدل على انه كان لريتشارد
دور في اغتيال مونتفرات عن طريق الاسماعيلية انفسهم . والا لما عرض
الحسن على هنرى المساعدة ولما لبى هنرى على وجه السرعة
الدعوة لزيارته وقلعه . وربما كان ذلك اعترافا بفضل الاسماعيلية في
تقلده ذلك المنصب الكبير باخلاء الجو من مافيه الخطير مونتفرات (٢)

ومهما يكن من امر فقد كسب المسلمون بتعيب هنرى ملكسا
على ما خلفه مونتفرات صديقا حينما . لانه كان عاقلا كثيرا لمداراه —
الاحتمال (٣) . وكان فيما يبدو على درجة كبيرة من الدبلوماسية
والذكاء . لذلك استطاع ان يقيم علاقة دائمة مع كل صلاح الديين

(١) د . سعيد عاشور الحرقلة الصليبية ج ٢ ص ٩٠٩

(٢) وقد علل بعض المؤرخين الاوربيين ان خليفة سنان قصد من وراء
ذلك التصرف باستمرار قيام العلاقات الطيبة بينهم وبين الصليبيين .
حتى لنجده يذكر ان الحسن اعتذر لاقدامهم على اغتيال مونتفرات
باعتباره احد القادة الصليبيين العظام . فما كان من هنرى دى شا مبني
الا ان قابل اعتذاره معن ذلك ببساطة ودون تكلف . اى انسه
حسب مفهومنا نحت الشرقيين طيب من خاطر اصد يفه الجديسد

الحسن بن سنان . Runciman: A Hist of the crusades. Vol. III. P89

الكامل ج ١٢ ص ٣١

(٣) ابن الاثير

وخلفاء راشد الدين سنان على مستوى متكافئ حتى يتعايش مع كل من الفريقين في ود وإخاء (١) .

وكما استخدمهم بعض حكام المنطقة الشامية من المسلمين كأداة فعالة للتخلص من أعدائهم أو ممن لا يرغبون فيهم ويرهبون جانبهم . فقد استخدمهم الصليبيون كذلك في هذا المضمار . ولما كان الاسماعيليون قد ارتبطوا بدفع جزية لكل من الاستبارية والداوية ، فقد حاولوا عبثا بعد ذلك التخلص من ذلك العبء الباهظ بأساليب شتى كان من أهمها تلك المحاولة التي أقبل عليها راشد الدين سنان بتحالفه مع عموري Amalric لذلك الغرض ولكن دون جدوى . فصلا عما فقد ، بمن اغتيل من رجاله على مشارف بطرابلس . لذلك لم تكن هناك مندرحة امام ذلك من تحالفهم مع كل من الفرقتين الداوية الاستبارية كان في بعض الاحيان اجدى واسرع من ايجالهم مع قرينتها الدواية خاصة انهم كانوا على عدا مع الدارية بسبب ما اتقرفوه معهم من قبل .

وفيما يبدو ان الود او التفاهم دام بين الفريقين اى بين الاسماعيليه والصليبيين وقنما . حتى اقبل الباطنية على اغتيال ريموند Raymond

الابن الاكبر لبوهمند الرابع Bohemond IV

امير انطاكية عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م في كنيسة انطوسوس (٢) .

(١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٩٠٩ - ٩١٠

(٢) ابن واصل مفرج الكروب ج ٣ ص ٢١٩

Runciman: A Hist of the crusades. Vol. III. P. 13

ولما كان لذلك الحادث المؤسف وقع سيء في نفوس الصليبيين ، فقد قرروا الانتقام من الاسماعيليه . فشن بوهند بوهند هجوما عنيفا على الممتلكات الاسماعيلية . فحاصر الخواوي عام ٦١١ هـ / ١٢٢٤ م حصارا شديدا كادت تسقط بسببه في يده ^(١) . لولا ان بادرا الاسماعيليون بالاستغاثة بالملك الظاهر صاحب حلب فاسرع بالرسالة نجده لحماية الحصن وفك حصاره ^(٢) . كذلك اتخذ من جانبه خطوة جريئة لتأديب الصليبيين فهاجم اللاذقية ^(٣) . وفسى ذلك دالة واضحة على ان الاسماعيليين كانوا على وفاق مع بعض القوى الاسلامية في بلاد الشام في ذلك الوقت . الامر الذي حدى بالملك الظاهر الوقوف بجانبهم في اكثر من مناسبة والشاهد على ذلك ما رواه ابن واصل حيث " بعث الملك الظاهر الى الفرنج يعلمهم انه لا يمكنهم من الاسماعيليه ^(٤) .

ونعتقد ان خوفه من عمه العادل صاحب مصر ودمشق هو السبب لعب دورا هاما في محالفته للاسماعيليين ضد بوهند ليكونوا عوناً له اذا ما فكر العادل في اغتصاب حلب منه . رغم انه كان عمر وصهره في

نفس الوقت .

د . سعيد عاشور

الحركة الصليبية ج ٢ ص ٩٥٤

زبدة الحلب ج ٣ ص ١٦٦

الحركة الصليبية ج ٢ ص ٩٥٤

مفرج الكروب ج ٣ ص ٢٢٤

(٢) ابن العديم

(٣) د . سعيد عاشور

(٤) ابن واصل

وقد اشتهرت الكشوك — فيما يختص بمصر ريموند Raymond
حول الاستتارية بسبب تعاطف الاسماعيليه معهم جريا وراء تحقيق
مطالبهم الخاص بالاعفاء من الجزية المقررة عليهم^(١) . اما بوهنفسد
فقد وجه الاتهام لكل من الاستتارية والداويه معا . الامر الذى ترتب
عليه رفع تقرير ضدهم الى البابا ، والذى بعث بدوره الى
امراء صيدا وصور وببيروت يطلب اليهم ابلاغ النظام العسكرى المتمثل
فى الاستتارية والداويه ضرورة الغاء كل ارتباط مع الاسماعيليين فى بلاد
الشام^(٢) . او بمعنى اوضح قطع العلاقات فيما بينهم .

والواقى كان لابد للبابا من اتخاذ مثل ذلك القرار . فقد ثبت
ان مؤامرات الاستتارية لم تتوقف عند حد اغتيال ريموند فحسب بل
حدث اغتيال الاسماعيليون — بايعاز منهم — ادم سيد بغراس الذى
تولى الوصاية على ملكة ارمينيا الطفلة ايزابيلا لبنته ليو الثانى
^(٣) . فضلا عن ذلك فقد اغتالوا بايعاز منهم ايضا — البرت
بظريرك بيت المقدس عام ٦١٢ هـ / عام ٢١٥ م^(٤) . الامر الذى كان

(١) King: The Knights Hospitallers P. 216

(٢) King: The Knights Hospitallers P. 234 - 235

(٣) Runciman: A Hist of the crusades Vol. IIIP

(٤) 171

Runciman: A Hist of the crusades Vol. III.

P. 138

له اثر شىء فى نفس البابا والصلبيين جميعا فترتب على ذلك ان نازل الفرنج الخوابى وجدوا فى حصاره وقتال اهله ، وقتلتهم رجالة الحلبيين الذى بعثهم الملك الظاهر — مرة اخرى — نجده لاهل الخوابى (١) . ثم وقع الصلح بينهم (٢) .

مما سبق عرضه نتبين ان المد والجذر الاسماعيليين قد استمرا يلعبان ادوارهما المختلفة فى بلاد الشام حتى تعرضت تلك البلاد للغزو والتتري الذى جاء بمثابة لداية النهاية لوضع سياسية متعددة فى بلاد فارس والعراق والشام .

(١) ابن واصل

(٢) المقرئى

(٣) د . سعيد عاشور

مفرج الكروب ج ٣ ص ٢٢٩

السلوك ج ١ ص ١٨٠

الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١١٤

”الفصل الرابع”

الفصل الرابع

انكماش النفوذ الاسماعيلي على عصر سلاطين المماليك

ففي بلاد الشام

حالة بلاد الشام عند قيام دولة المماليك في مصر سنة ١٢٥٠ . الحشيشية والصليبيون . موقف اسماعيلية الشام من المماليك في مصر . ظهور التتار . سقوط حصون الاسماعيلية في بلاد فارس والشام في أيديهم . موقعه عين جالوت واثرها في عودة ظهور نفوذ الاسماعيلية . تمرد الاسماعيلية ضد الحكم المماليكي في بلاد الشام . الظاهر بيبرس يستولي على حصون الاسماعيلية . خضوع الاسماعيلية في بلاد الشام للحكم المماليكي . أثر ذلك في المجتمع الاسلامي في مصر والشام .

تمخضت حملة لويس التاسع على مصر عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م عن تطور خطير في الاوضاع السياسية في مصر والشام هو سقوط دولة الايوبيين وقيام دولة المماليك في مصر (١) .

ويهمنا من امر هذه النقلة الخطيرة ان الاسماعيلية في بلاد الشام لم يرتاحوا لقيام بدولة المماليك في مصر ، وهي دولة ناشئة فتيه ، لان هذه الدولة لم تلبث أن تمد سيطرتها على بلاد الشام . مما جعل الاسماعيلية في مواجهة قوة جديدة نامية بدلا من قوة الايوبيين المتداعية (٢)

مصر في عصر دولة المماليك البحرية ص ١٨
العصر المماليكي في مصر والشام ص ٦٣

(١) د . سعيد عاشور

(٢) د . سعيد عاشور

لذلك بادرا الاسماعيلية في رمضان عام ٦٤٨ هـ (ديسمبر عام ١٢٥٠ م) فأرسلوا مندوبين من طرف شيخ الجبل الداعي ابي الفتح الى الصليبيين فاستقبلهم الملك لويس — الذي اتخذ من عكا مقرا له بعد الطلاق سراحه من الاسر — استقبالا فوق العادة وسمح لهم أن يجلسوا في حضرته ^(١) . وكان القصد من زيارتهم التفاوض لفرض اتاوة على لويس مقابل التزام الاسماعيليين بالوقوف على الجهاد في النزاع بين الصليبيين ^(٢) .

والواقع فقد اردوا الاسماعيليون بذلك أن يضربوا هدفين برمية واحدة فأمن فسلوا في طلبهم هذا فلا أقل من أن يحصلوا على اغناء من الجزية التي كانوا يدفعونها للاستتارية والداوية حلفاء لويس التاسع في بلاد الشرق الاسلامي ^(٣) .

وكان من الطبيعي أن ينذر لويس في طلبهم على الفور . فحدد اليسوع التالي موعدا للاجتماع بهم والتفاوض مع وليم دى شاتينم —
رئيس طائفة الاستتارية وريئال دى فيشييه —
رئيس طائفة الداوية ^(٤) . وكان أن استطاع كل من الاستتارية والداوية تغيير سير المفاوضات ، ففرضوا شروطهما لقبول طلب الاسماعيلية وهو أن يبادر شيخ الجبل بارسال هدية قيمة للملك لويس التاسع تكفيرا عن جراته

-
- (١) د . زيادة حملة لويس التاسع على مصر ص ٢٥٣
King: The Knights Hospitallers. P.249
- (٢) مونروند تاريخ الحروب المقدسة ج ٢ ص ٣٣٦
- (٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٩٧
- (٤) King: The Knight Hospitallers. P . 249

فى طلبه هذا (١) . حيث اعتبر ذلك الطلب من وجهة نظرهما خروجاً عن المؤلف ، وأن فيه امتهان لكرامة الملك الفرنسى زعيم الصليبيين فى ذلك الوقت وتحت تأثير الضغط والتهديد استجاب الاسماعيليون . فتبذلت الهدايا مع لويس التاسع الذى غدا من أقرب المقربين لشيخ الجبل الذى سعى بدورته جاهدًا لا مكان اغاثهم من الاتاوة المقررة عليهم (٢) .

كما أنه تم تبادل السفارات بين الطرفين بغية اقامة تحالف وثيق بينهما وقد لعب بيف البريتون Yves The Breton دوراً رئيسياً فى عقد معاهدة دفاع مشترك بين الاسماعيلية ولويس التاسع عندئذ (٣) .

وكان هدف لويس التاسع من ذلك كله اذكاء نار العداوة والبغضاء بين الاسماعيليين الشيعة من جهة واخوانهم من أبناء المنطقة السنيين ليحقق مكاسب على حساب الجميع (٤) .

-
- (١) مونروند "وقد اضاف المؤرخ على ذلك ان الرسولين كانا قد هُددوا بقتلهما ورميهما فى الحبر الابيض المتوسط لولا أنهما فى حضر الملك لويس ؛
- (٢) King The Knights Hospitallers. P. 249
- (٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٩٨
- (٤) د . زياد . حملة لويس التاسع على مصر ص ٢٥٤

لم يكن الاسماعيليون وحدهم هم الذين اقبلوا على عقد معاهدة مع
لويس التاسع . اذ عقد الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب معاهدة معه ففى
ذى الحجه عام ٦٤٩ هـ فبراير عام ١٢٥٢ م حتى يتفرغ لمواجهة خطر التتار^(١)
وكان ذلك فى الوقت الذى أخذ لويس التاسع نفسه يسعى الى ابرام تحالف
مشترك مع التتار ضد مسلمى الشام ومصر . فأرسل مبعوثهوليا م دوسرك
الى قراقورم مقر الخان الاعظم فى عام ٦٥٢ هـ /
١٢٥٤ م لهذا الغرض^(٢) .

على انه يبدو أن الماليك فى مصر لم يعبأوا بهذه التحركات وان كانوا
من جانبهم قد عقدوا اتفاقا مع لويس التاسع أطلقوا بموجبه سراح ثمانمائة من
أسرى المنصورة . وذلك بقصد منع لويس التاسع من الاستمرار فى تحالفه مع
الناصر يوسف^(٣)

-
- (١) المقرئى السلوك ج ١ ص ٣٩٣
(٢) King: The knights Hospitallers P. 249
Sykes: A Hist. of Persia Vol.II.P.169.170
(٣) Eunciman A Hist of the crusades. Vol.III.P.295
مصر فى عصر دولة الماليك البحرية ص ٣٥

المغول في بلاد الشام :-

وفي ذلك الدور ظهر خطر المغول ليهدد الوطن الاسلامي فسمى الشرق الادنى ، فضلا عن الاسماعيليه والصليبيين جميعا .

وقد بدأ احتكاك المغول بالاسماعيليين اثر الشكوى التي اثارها بايجونيان — حاكم ايران من قبل المغول — ضد الملاحدة وخليفة بغداد . ذلك فضلا عما اثاره شمس الدين القزويني في حضرة هولاكو من خطر الملاحدة في خراسان . اذ اوضح له انهم لا يقتنعون عن القضاة على الدولة المغولية اذا ما تيسر ذلك لهم . وكان شمس الدين هذا يلبس الزرد تحت ملابسه خشية الملاحدة (١) ، وذلك في وقت " كثر أمر الباطنية بالعراق وقتلهم الناس واشتد الخطب بهم حتى كان الامراء يلبسون الدروع تحت ثيابهم (٢) . وذلك خوفا منهم . وعليه فقد تجرد هولاكو لقتلهم والخلاص منهم (٣) .

وكان أن وقع اختيار منكوقان على أخيه هولاكو لفتح غرب ايران والشام ومصر وبلاد الروم والارمن (٤) . وأمره فيما أمره به أن " أبداً باقليم قهستان فخر بالقلاع والحصون " (٥) . ثم أمره ايضا أن يجعل كردكوه وقلعه لنيسر رأساً على عقب " فلاتبق في الدنيا قلعة قط ولاكومة واحدة من تراب " ثم

- | | | |
|-----|---------------------|----------------------------|
| (١) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٣٣ |
| (٢) | السيوطي | تاريخ الخلفاء ص ١١٧ |
| (٣) | ابن فضل الله العمري | التعريف ص ٤٣ — ٤٤ |
| (٤) | د . سعيد طشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١١٢ |
| (٥) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٣٧ |

طلب منه " فاذا فرغت من هذه المهمة فتوجه الى العراق وأزال من طريقك اللور والاكراذ الذين يقطعون الطرق على سالكيها ، واذا باد ر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة فلاتتعرض له مطلقا . أما اذا تكبر وعسى فالحقة بالآخرين من الهالكين " (١) .

من هذا القول نستطيع الوقوف على خطة المغول في عزو بلاد العراق والشام . ومنه ايضا نفهم ان قلاع الاسماعيليه وبغداد وضعت في المقام الاول للغزو المغولي على اثر الترابط الذي حدث بين بابوات روما وخانات المغول نتيجة للرسائل والسفارات المتبادلة بين كل من الطرفين (٢) . وعليه فقد تحرك هولاء كوجيوشه الى تلك الديار في ذي الحجه عام ٦٥١ هـ يناير عام ١٢٥٤ م (٣) . ومن مدينة كاش التي تقع في الجنوب الغربي من سمرقند والتي كان قد وصلها في شعبان عام ٦٥٣ هـ سبتمبر عام ١٢٥٥ م (٤) . أرسل عدة رسائل الى ملوك وسلاطين فارس جاء فيها " بناء على امر القان قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة وازعاج تلك الطائفة (٥) . فاذا اسرعتم وساهمتم فسي تلك الحملة بالجيش والعدد والالات فسوف نبقي لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم وسنحمد لكم موافقكم . أما اذا تهاونتم في امثال الاوامر واهملت فانا حينئذ

-
- | | | |
|-----|------------------|---|
| (١) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٣٧ |
| (٢) | | Sykes: A Hist . of persia Vol. II. P.169 |
| (٣) | سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٠٩ |
| (٤) | المقريزي | King : The knights Hospitals P. 255
السلوك ج ١ ص ٣٨٣ |
| (٥) | يسراون | تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٥٧٦ |
| | يقصد بالملاحدة : | الاسماعيليين |

نفرغ بقوة الله من امر الملاحدة فاننا لانقبل عذرکم ٥ وتتوجه اليکم فيجرى على ولاياتکم ومساکنکم ما يكون قد جرى عليهم" (١) ٥ وكان من الطبيعي أن يستجيب أمراء وملوك المنطقة لهذه الدعوة — أو بمعنى أكثر وضوحاً — لهذا الانذار عن يدوهم صاغرون ٥ الامر الذي ساعد هولاء على أن يعبر نهر جيحون — بسهولة ويسر وكان ذلك في ذي الحجة عام ٦٥٣ هـ يناير عام ١٢٥٦ م ٥

وهنا تحددت الخطوط العريضة لمسيرة المغول ٥ فتعين على كتيوبقانويا ن أحد قادة جيش هولاء أن يسبقه الى قلاع الاسماعيليه فسي قهستان حيث توجه على رأس مقدمة الجيش الى تلك البقاع ليمهد الطريق للجيش الرئيسيه بقيادة هولاء فيما بعد ٥ وقد وقع ذلك في المحرم عام ٦٥١ هـ مارس عام ١٢٥٣ م ٥ وكانت قلاع الاسماعيليه في فارس هي أول أهداف هولاء اذ أنه لن يستطيع اقامة حكومة منظمه في بلاد الجديدة ما لم يحطم اصحاب المذهب الاسماعيلي او مذهب الملاحدة على حد وصفه لهم (٢) ٥ هذا فضلاً عما كان يكتنه لهم من بغض عميق بسبب اقدامهم على اغتيال جفتاى ثانى أبناء جنكيزخان (٣) ٥

(١) د ٥ سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٤

(٢) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٠

(٣) Runciman: A Hist of the crusades. Vol. III

وهكذا كان على كيتوبوقا أن يعبر جيجون ليحاصر قلعة كرد كوه (١) إلا أن حاميتها استطاعت أن تفاجئ الجيش المغولي في شوال من هذه السنة فدمرت معسكرهم وقتلوا منهم حوالي المائة شخص كما قتل في تلك المعركة قائدهم الأمير "بورى" الذى كان قد تولى قيادة الجيش حال غياب كيتوبوقا . لذهابه في مهاجمة بعض القلاع الأخرى (٢) . ومع ذلك فقد احتفظ الجيش المغولى بقوته وعنفوانه . وعلى الرغم مما تحمله المغول في تلك المعركة فقد استطاع كيتوبوقا اثر عودته أن يعيث في المنطقة فسادا ، ويخرب انحاءها مما اثر على حامية القلعة نفسها ، الامر الذى جعلهم يبعثون الى علاء الدين محمد صاحب قلعة الموت يخبرونه أن وباء قد انتشر في قلعة كرد كوه تسبب في القضاء على معظم المحاربين . كما أوضحوا له أن القلعة قد تسقط قريبا (٣) ولم يقف علاء الدين عاجزا امام الخطر المحدق به ، فأمدهم فورا بنجدة حربية بقيادة " مبارز الدين على ثوران وشجاع الدين حسن السريانى واستطاعت تلك القوة أن تخترق صفوف المغول وتصل الى القلعة دون أذى إلا أنه حدث في تلك الاثناء ان تغيرت القيادة في الموت بقتل علاء الدين بيد حاجبه حسن المازندرانى نتيجة مؤامرة دبرها ابنه خورشاه الذى تولى الامر بعد فى ذى القعدة عام ٦٥٣ (٤) هـ ديسمبر عام ١٢٥٥ م .

- | | | |
|-----|-----------------|-------------------------|
| (١) | رشيد ابن الجوزى | مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٠٩ |
| | سبط ابن الجوزى | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٣ |
| (٢) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٤ |
| (٣) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٤ |
| (٤) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٥ |

ولقد وضحت خطورة خورشاه أو بمعنى آخر عناده وتحديده لهولاكو
عندما أرسل الأخير برسالة الى ناصر الدين المحتشم في قلعة " سرتخت
يدعوه للدخول في طاعته ، فاستجاب الأخير على الفور لدعوته . وعند ما
سأله هولاكو " لما لم تنزل معك سكان القلعة وتحتهم على التسليم أجابه
ناصر الدين " ان لهم ملكا يدعى خورشاه يأتمرون بأمره ^(١) . وازاء ذلك
زاد اصرار هولاكو على فتح بلاد الاسماعيليه وتخريبها . وكانت الاوامر قد
صدرت اليه بتدمير كل معاقل الدعوة ^(٢) . فاتجه على الفور الى مدينة طومس
في ربيع الاخره عام ٦٥٣ هـ مايو عام ١٢٥٥ م وعسكر فيها ، ومنها بعث
برسالة الى ركن الدين خورشاه يطلب اليه التسليم ^(٣) .

وكان ذلك في نفس الوقت الذي تحركت جيوشه لتحاصر بقية قلاع
الاسماعيليه وعلى رأسها الموت ، فوصلت امام بعضها في جمادى الاخره عام
٦٥٣ هـ يوليو عام ١٢٥٥ م . وفي العاشر من شعبان عام ٦٥٤ هـ الثاني من
سبتمبر عام ١٢٥٦ م أعاد هولاكو مراسلة خورشاه مهددا اياه حتى يستسلم ^(٤)

وكان ان تدخل القدر في تلك الظروف ليلعب دورا اساسيا في تحديد
مصير ركن الدين خورشاه . ذلك انه عاش معه في نفس الموت عدد من العلماء

-
- (١) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٦
(٢) Runciman: A Hist. of the crusades. Vol.III. P.300
(٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٤ - ١١١٥
(٤) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٤٩

الافغانى وعلى رأسهم الخواجه نصير الدين الطوسى الذى " وزر لاصحاب قلاع الموت من الاسماعيليه ثم وزر لهولاكو وكان معه فى وقعة بغداد (١) — فاستطاعوا أن يوءثروا على خورشاه ويحملونه على الاستسلام والاعتراف بهولاكو والخضوع له . وفى ضوء ما جرى من مفاوضات بينه وبين هولاكو حول هدم وتخريب بعض جوانب قلاع الاسماعيليه واسوارها وافق خورشاه شريطة أن يمنع " مهلة سنة يفاد ربعدها القلعة (٢) . فأيقن هولاكو ان فى الامر خدعة وعليه أن — يحدد هو بنفسه موقعه من تلك القضية الهامة والخطيرة .

وكان هولاكو على صواب . حيث أن ركن الدين كان يراوفه فعلا فى التسليم حتى يقف على نتائج محفولات المغول فى اقامة تحالف مع غرب اوريا المسيحي ضد (٣) . أما ركن الدين فكان قد بعث هو الآخر بسفارة الى اوريا ولكنها قوبلت بفتور تام . ويقال ان مبعوثا من قبله زار بلاط هنرى الثالث ملك انجلترا (٢١٦ م — ٢٢٧ م) بقصد عقد تحالف مشترك بينهما ولكن عداوة اساقفة منشتر للاسماعيليه بسبب اغتيالهم بعض أمراء الصليبيين جعلت أحدهم يعبر عن رايه للملك فنصحته قائلا " دع هؤلاء الكلاب ينهبش بعضهم البعض وافنهم كلية " وسوف نرى الكنيسة الكاثوليكية العاليه تقوم على انقاضهم (٤)

- | | | |
|-----|--------------|--|
| (١) | ابن كثير | البدایه والنهایة ج ١٣ ص ٢٦٧ |
| (٢) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٠ |
| (٣) | برناردو لویس | الدعوة الجديدة ص ١٦ |
| (٤) | | Sykes: A Hist of Persia Vol. III.P.172 |

وعليه فقد باءت كل محاولات ركن الدين بالفشل ^(١) وبالطبع لم يكن هنرى نفسه قد نسي اعتداءات الحشيشيه من قبل .

حدث ذلك فى الوقت الذى تحركت جيوش المغول فى شعبان عام ٦٥٤ هـ (ديسمبر ١٢٥٦ م) نحو قلاع الاسماعيليه فوصلت الى مدينه " عباس آباد الرى " ليتخذها هولاكو منطلقا لتحركاته العسكرية اذا ما فشلت التحركات السياسيه مع خورشاه ^(٢) . وبالرغم من أن ركن الدين اظهر الولاء والطاعة عن فضلا امثاله لاوامره ^(٣) . فان هولاكو استطاع ان يفاجئه بحصار ضربه حول أهم قلاعه . وفى شوال عام ٦٥٤ هـ اكتوبر عام ١٢٥٦ م ثم حصار قلعة الموت مقر ركن الدين ^(٤) . فلما تعذر عليه فتحها . شاور قادة الجيش فيما يجسب أن يكون عليه مصير القلعة فاختلّفوا فى رأيهم . ولكنه فى النهايه نزل عند رأى القائل باستمرار الحصار .

وعليه فقد باءت هولاكو من جانيه فى اعادة المفاوضات مع خورشاه تلك التى انتهت باستسلام ركن الدين ونزوله من القلعه ^(٥) . وقد صحبه فى

(١) المقرئى السلوك ج ١ ص ٣٨٣
وقد أورد المحقق نفس النص المشار اليه فى الحاشيه (٢) مترجماً
باللغه الانجليزية ولكن عن Browne: A lit Hist Vol. II
وفى ما يلى نصه من I P 6 Sykes
الجزء الصفحه :

Let those dogs devour each other
and be utterly wiped out and then we shall see
found on their wins, the Universal Catholic church.

(٢) المقرئى السلوك ج ١ ص ٣٨٣
Runciman: A Hist of the crusades vol. III. P. 300

(٣) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٤

(٤) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٣

(٥) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٥

ذلك الخواجه نصير الدين الطوسي والخواجه أصيل الدين الزوزنى الوزير
مؤيد الدين وابناء رئيس الدولة • "فودع ذلك الحصن الذى ظلت اسرته
تتخذ مقرها لمدة قرنين (١) فجاء فقبل الارض بين يدي السلطان الاعظم (٢)
وتم ذلك صباح الاحد غرة ذى القعدة عام ٦٥٤ هـ ٢٠ نوفمبر عام ١٢٥٦ م (٣)
وباستسلام خورشاه سقطت جميع قلاع الاسماعيليه فى بلاد فارس فى يد هولاء (٤)
ذلك فيما عدا قلعة كردكوه التى صمدت فى مقاومتها حوالى العام حيث سقطت
فى ايديهم عام ٦٥٨ هـ / ٢٦٠ م (٥)

أما ألموت مركز الاسماعيليه الرئيسى فقد أراد قائد حاميتها الاستمرار
فى مقاومة هولاء الا أنها ما لبثت ان استسلمت بعد ان عجز قائد ها عن الاستمرار
فى المقاومة ، فسقطت فى يوم الاثنين السادس والعشرين من ذى القعدة عام
٦٥٤ هـ ١٥ ديسمبر عام ١٢٥٦ م (٦) وسقوط ألموت توالى سقوط بقية قلاع فارس

-
- | | | |
|-----|--|---------------------------------------|
| (١) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٤ |
| (٢) | د • سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٤ |
| (٣) | ظلت ألموت قائمة حتى عهد الشاه اسماعيل الصفوى الذى اتخذها | |
| | معتقلا لاعداد البلاد "البديسى ١ / ٤٤ | |
| (٤) | الذهبي | ذول الاسلام ج ٢ ص ١٥٨ |
| | | Sykes: A Hist of persia Vol.II.P. 173 |
| (٥) | رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٥ |
| | بـ زاون | تاريخ الادب فى ايران ج ٢ ص ٢٨٠ |
| (٦) | د • سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٤ |

وخراسان القلعة تلو الأخرى (١) ومن أهمها لمر التي سقطت في ذي الحجة عام ٦٥٤ هـ يناير عام ١٢٥٧ م (٢) ولا شك أن نصير الدين الطوسي وحاشيته من أولئك الذين تنعموا في خيرات الاسماعيلية في الموت ، كانوا من أوائل الخارجهين على ساداتهم السابقين حيث زينوا لخورشاه ضرورة التسليم وخوفسوه من هولاء . وما كان ذلك إلا لعداوة أظهروها للاسماعيلية رغم ما خاطوهم به من كرم وترف وأبهة ورخاء عيش (٣) .

ومن مفارقات القدر أن يتعاون الاسماعيليون في الموت مع المغول في بادئ الأمر على محاربة جلال الدين خوارزمشاه . لأنه كان قد ناصبهم العداة فاعتدى على قلاعهم (٤) . فأوقعوهم على عورات جيشه حيث أرسل أمام الاسماعيلية صاحب الموت عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م فعرف التتر ضعف جلال الدين بالهزيمة الكائنه عليه من الملك الأشرف وسلطان الروم وحشهم على قصده وضمن لهم الظفر للوهن الذي هار اليه (٥) .

- | | | |
|-----|----------------|---|
| (١) | لسترنج | بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٥٦ |
| (٢) | المقريزي | السلوك ج ١ ص ٣٩٩ . |
| | بـروان | تاريخ الادب في ايرات ج ٢ ص ٥٨٢ |
| (٣) | المقريزي | السلوك ج ١ ص ٢٠٤ حاشية ٥ |
| (٤) | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ١٣٠ |
| (٥) | سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٠٣ |
| | ابن واصل | مفرج الكروب ج ٤ ص ٣١٥ - ٣١٦ مطبوع |
| | | "كان صاحب الموت وقتذاك شيخ الجبل علاء الدين محمد بن جلال الدين : زامبارز : معجم الانساب : ج ٢ ص ٣٢٩ . |

كذلك ابلغوهم بأنه " قد عادى جميع الملوك حولة حتى الخليفة (١) وكان جلال الدين هذا قد أساء الى الاسماعيليين بحربه التى شنّها على قلاعهم عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م فخرّبها وقتل اهلها (٢) . . حيث سار فى عسكره الى بلاد الاسماعيلية من حدود الموت الى كردكوه بخراسان فخرّب الجميع وقتل اهلها ونهب الاموال وسبى الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وعمل بهم الاعمال العظيمة وانتقم منهم (٣) .

والواقع أن ذلك لم يكن رغبة فى حرّسهم . وانما كان ردا على اغتيالهم لامير له كان قد ولاه حكم مدينة كنجة واعمالها . فوثب عليه ثلاثة من الفداويّة فقتلوه بظاھرهما . هذا الى انهم تعادوا على تحديهم لجلال الدين خوارزمشاه فدخلوا المدينة والسكاكين بايديهم ينادون بشعار علاء الدين (٤) ومن المؤسف أن جلال الدين حينما اكشف تأمرهم ضده مع هولاء زاد من عداّته لشيخهم علاء الدين محمد الثالث (٥) وكان ذلك فى الوقت الذى كان يتعين عليه مداراتهم لمصلحته .

- | | | |
|-----|------------|-----------------------------|
| (١) | ابن كثير | ابداية والنهاية ج ١٣ ص ١٢٨ |
| (٢) | ابن واصل | مغزى الكروبيج ٤ ص ٣١٧ |
| (٣) | ابن الاثير | الكامل ج ١٢ ص ١٨٢ |
| (٤) | النسوى | سيرة جلال الدين ص ٢٢٩ |
| (٥) | النسوى | سيرة جلال الدين ص ٣٣٩ — ٣٤٠ |

والواقع لقد اخطأ الاسماعيليون في تحريضهم المغول على محاربة جلال الدين حيث انه كان بمثابة السد المنيع بين المغول وبينهم^(١) . وكان سدا بين المسلمين والكفار وسندا لاهل الاسلام من الفجار . كان يدفع التتر عن المسلمين فلما هلك انفتح السد^(٢) . وكانت كسرة خوارزمشاه على حد تعبير الملك الاشرف " سببا لدخول التتر بلاد المسلمين ، وما كان الخوارزمي الا مثل السد الذي بيننا وبين باجوج وماجوج^(٣) . لكن فيما يبدو ان الاسماعيليين لم يتوقعوا أنهم سيشربون من نفس الكأس التي شرب منها جلال الدين وهو الدمار الشامل والطرده من القلاع التي طنوا الكثير في سبيل الاستيلاء عليها وامتلاكها من اصحابها . وقد حدث ذلك على يد هولاكو هادم المنيعة بدأت الجولة بمقتل جلال الدين في منتصف شوال عام ٦٢٨ هـ — ١٦ أغسطس عام ١٢٣١ م بيد أحد الفلاحين الاكراد^(٥) وذلك بالقرب من ميلقارقين^(٦) حيث كان الاكراد يحفظون الطرق لسحت يجمعونه فوق في ايديهم^(٧) .

يضاف الى ذلك ما كان هناك من عداوة قديمة بين الاسماعيليين والخوارزميين . فقد اقبل الباطنية من قبل على محاولة اغتيال خوارزم شاه

-
- | | | |
|-----|----------------|---|
| (١) | سيد سيو | تاريخ العرب العام ص ٢٣٢ |
| (٢) | سبط ابن الجوزي | مرآة الزمان ج ٢ ص ٦٧٠ |
| | الذهبي | دول الاسلام ج ٢ ص ١٣٤ |
| (٣) | ابن كثير | البدایه والنهایة ج ١٣ ص ١٣٢ |
| (٤) | | Ivanow: Studies in Early Persian Ism. P. 27 |
| (٥) | د . سعيد طشور | مصر في العصور الوسطى ص ٣٦٧ |
| (٦) | ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٤ |
| (٧) | النسوي | سيرة جلال الدين ص ٣٨١ |

مؤسس الدولة الخوارزمية^(١) . حيث قيل " ان الباطنية جهزوا
اليه رجلا ليقتله وكان يحترز كثيرا . فجلس تلك الليلة يلعب بالعود^(٢)
فاكتشف امره . فخاف الباطني منه وارتعد وهرب فاخذوه وحمل اليه
فقرره فاقر فقتله^(٣) . ومن هنا نرى ان قديما لعب دوره في تذكية
نار العداوة بينهم . فضلا عن ذلك فان السلطان جلال الدين
كان قد اشار بقتل قافلة من تجار الاسماعيلية فالدين من الشام
الى اصفهان وكان عددهم ينيف عن السبعين رجلا . وعلى الرغم
من أن جلال الدين طيب خاطر اسد الدين مودود رسول علاء الدين
صاحب الالموت " برد ما اخذ من القتل^(٤) . فان الاسماعيلية
بيتوا مرا . وخاصة انهم كانوا ملتزمين بدفع جزية للسلطان جلال الدين
وصل مقدارها الى ثلاثين الف دينار^(٥) .

(١) "ينتسب الخوارزميون الى " انوشتكين " وكان عبدا تركيا اشتراه احد
امراء السلاجقة من رجل من غرستان . فاستطاع ان يظهر مسن
الكفاءة . وحسن التدبير ما جعله يسير في سلك الترقى على عهد
ملكشاه حتى عين واليا على حوارزم . فظل في منصبه حتى توفي
عام ٤٩٠ هـ (١٠٩٦ م) . فخلفه ابنه قطب الدين محمد السدي
لقب بخوارزمشاه . واسس دوله التي عرفت فيما بعد بالدولة
الخوارزمية .

ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٩٢ — ٩٣

د . عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران ص ١١٥ — ١١٦

د . فؤاد الصياد : المغول ، التاريخ ص ٢١ — ٦٣

(٢)	سبط ابن الجوزي	مراة الزمان ج ٨ ص ٤٧١
(٣)	سبط ابن الجوزي	مراة الزمان ج ٨ ص ٤٧٢
(٤)	النسوي	سيرة جلال الدين ص ٢٦٥ — ٢٦٦
(٥)	النسوي	سيرة جلال الدين ص ٣٣٦

أما عن هولاء فقد استمر في سياسته العدائية تجاه الاسماعيليين رغم انه انعم على زعيمهم خورشاه ووهبه فتاه مغولية ليتزوج منها (١) فواصل تحقيق اهدافه وخطته ضدهم ، واخذ يتطلع الى قلاعهم في بلاد الشام . وكان هولاء قد حافظ — بعض الوقت — على خورشاه حتى يتم تسليم جميع قلاع الاسماعيليه (٢) . لذلك فانه ارسل هولاء — من جانبه مبعوثين الى قلاع الاسماعيليه في الشام صحبة رجلين او ثلاثة من خاصة خورشاه (٣) . وكان القصد من تلك السفارة دعوة الناس هناك الى التسليم فور وصول الرايات الهمايونيه اليهم (٤) .

وكان ذلك في الوقت الذي كان يتحتم على هولاء — اذا فكر في فتح قلاع الاسماعيليه بالشام — ان يغزو بغداد اولا — وخاصة ان العراق وبغداد كانتا جزءا من مخططة لغزو الشرق الالمانى (٥) لذلك ، شغل في مفاوضات مع الخليفه المستعصم (٦) . الذي وصف بانه قليل المعرفة بتدبير الملك نازل المهمه مهملا للامور المهمه محبا

(١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٥

(٢) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٨

Guyard: Un grand maitre P. 52

(٣) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٥

(٤) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٥٧

(٥) براون تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٥٨٣

(٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١١٧

(٦) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٤

لجمع الاموال ، يقدم على فعل ما يستقيم اهل امر هلاكو حستى
كان فى ذلك هلاكه (١) . ولكتها كانت مفاوضات غير مجدية ، فاقترح
العراف وحاصروا بغداد فى الحادى عشر من شهر المحرم عام ٦٥٦ هـ
(١٨ يناير عام ١٢٥٨ م) (٢) . وتواصل القتال حتى الاحد الرابع من
صفر عام ٦٥٦ هـ (العاشر من فبراير عام ١٢٥٨ م) (٣) . فخرج الخليفة
ومعه اولاده الثلاثة ابو الفضل عبد الرحمن وابو العباسى احمد وابو
المناقب مبارك فى ثلاثة الاف من السادة والاشراف والائمة والفضاء
واكابر الدولة واعيان البلد (٤) . وكان خروج كل هؤلاء لمقابلة هولاكو .
على مشارف بغداد للتفاوض فى الامر (٥) .

على ان هولاكو مهد للاستيلاء على بغداد بما اجراه من
مفاوضات سرية مع الوزير الشيعى مؤيد الدين محمد بن العلقمى
الذى اعان على المسلمين فى قضية هولاكو وجنوده (٦) . وكان وزير شوم
على نفسه وعلى اهل بغداد (٧) .

-
- | | |
|----------------------|--|
| (١) ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٤ |
| (٢) رشيد الدين | اجامع التواريخ ج ١ ص ٢٨٦ |
| (٣) ابن العبرى | تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٠
Sykes: A Hist of persia Vol. II. P. 173 |
| (٤) ابن طباطبا | الفخرى فى الاداب السلطانية ص ٢٤٢ — ٢٤٣ |
| (٥) رشيد الدين | جامع التواريخ ج ١ ص ٢٩٠ |
| (٦) د . سعيد عاشور | الحرقة الصليبية ج ٢ ص ١١١٦ — ١١١٧ |
| (٧) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٦٤ |

وكيفما كان الامر فانه يخرج الخليفة على هيئة ما ذكرنا
ادركت بغداد انه لا مفر من القضاء المحتوم . وفي يوم الاربعاء السابع
من صفر عام ٦٥٦ هـ (١٣ فبراير عام ١٢٥٨ م) بدا وطيس القتال
يشدد . فاندفع الجيش للتتري مرة واحفدة نحو بغداد (فاخذوا
يحرقون الاتخضر واليابس^(١) . وفي يوم الجمعة التاسع من صفر
الحامس عشر من فبراير ، دخل هولاكو بغداد فاستولى على قصر
الخلافه بها^(٢) . ذلك بعد ان قتل جنوده جميع من قدروا عليه
من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان^(٣) . وفي
مساء الاربعاء الرابع عشر من صفر عام ٦٥٦ هـ (٢٠ فبراير ١٢٥٨ م)
تم القضاء على الخليفة المستعصم وابنه الاكبر مع لفيف كبير من
العباسيين^(٤) . وبذلك سقطت الدولة العباسية بعد حكم دام حوالي
٥٢٥ سنة . كان اولهم السفاح واخبرهم المستعصم^(٥) . وبذلك
ايضا فتح طريف الشام على مبراعيه امام جيوش هولاكو .

-
- (١) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٢٩
(٢) د . فؤاد الصياد المغول في التاريخ ص ٢٦٥
Marco- Polo Travels P. 26 - 27
(٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠١
(٤) ابن العبري تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٢
(٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠١

ولم يسلبث ان وصل هولاء الى حلب وحاصروها . ولكن اهلها بقيادة الملك المعظم تورانشاه من الناصر يوسف الايوبي رفضوا الخضوع والتسليم معتمدين على حصانة قلعتها (١) . فباشروا القتال ضده (٢) . وكان هولاء قد ارسل يقول لاهل حلب نحن انما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق فاجعلوا لنا عدكم شحنة (٣) . فان كانت النصر لنا قال بلاد كلها في حكمنا فان كانت علينا فان شئتم قبلتم الشحنة وان شئتم اطلقتموه . فاجابو مالك عندنا الا السيف فتعجب من ضعفهم وجوابهم (٤) . هذا ولا يستبعد ان يكون — لاسماعيلية حلب في هذا المقام دور اساسي في تذكية نار لحرب ضد هولاء وحتى لا تتسع رفعة انتصاراته ضدهم ، وحتى ينتقموا لبنى جلدتهم الذين قضى عليهم في منطقة الموت . الا ان ذلك لا يمنع ان نعترف لاهل حلب عامه بالصمود والصبر .

-
- (٢) ف . فؤاد عبد المعطي الصباد المغول في التاريخ ص ٢٩٤
(٢) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٣٠٦
Runciman: A Hist of the crusades vol.III P.305
(٣) الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ٦٦٢
(٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢١٨
وردت كتب هولاء لحكام الشام في مختلف المصادر التاريخية
في صيغ مختلفة وقد اجتهد الباحث ان يصيغها في قالب
مترايط الباحث .

ولكن على الرغم من ذلك كله فقد شدد هولاكو الحصار على حلب لمدة اسبوع حتى فتحت ابوابها في ذى الحجة عام ٦٥٧ هـ ديسمبر عام ١٢٥٩ م فاباح المغول القتل والسلب في المدينة سبعة ايام (١) . ثم بعد ان صدت قلعتها حوالي اربعين يوما عادت فسقطت في يد هولاكو في التاسع من صفر عام ٦٥٨ هـ ٢٥ من يناير عام ١٢٦٠ م (٢) . وازاء ما اصاب حلب استسلمت دمشق للمغول دون قتال (٣) . فقد فر اهلها وباعوا اموالهم بابحث ثمن (٤) . انقاذا لانفسهم من مصير مظلوم كان ينتظرهم لو انهم نهجوا نهج اهل حلب . وكان هولاكو قد ارسل جيشا مع امير من كبار دولته وهو كيتخانويسن فوصلوا دمشق في اخر صفر من عام ٦٥٨ هـ اوائل فبراير عام ١٢٦٠ م فاخذوها سريعا من غير ممانعة ولا مدافع (٥) .

وباستلام دمشق ومع مطلع العام ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م تسم الاستيلاء على ديار الشام بأسرها (٦) . ان استسلمت قلعة بعلبك واخذوا مدينة نابلس وغيرها بالسيف (٧) . وعليه فقد خضعت مصايف اعمالها

- | | |
|--------------------|-----------------------------|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٢٥ |
| (٢) المقریزی | السلوك ج ١ ص ٤٢٢ |
| (٣) ابو المحاسن | النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٧٦ |
| (٤) ابن العبري | تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٩ |
| د . فؤاد الصياد | المغول في التاريخ ص ٢٩٦ |
| المقریزی | السلوك ج ١ ص ٤٢٠ |
| (٥) ابن كثير | البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢١٩ |
| (٦) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٢٢ |
| (٧) الذهبي | العصور المملوكية ص ٣٠ |
| | دول الاسلام ج ٢ ص ١٦٢ |

لسلطان الغازى الجديد . (١) . وكان النائب فى حصص الاسماعيلية
الثمانية بالشام رضى الدين ابوالمعالي (٢) .

وبسقوط بغداد وحلب ودمشق وحماه اصبح المسلمين فى غرب
آسيا فى موقف خطير (٣) . فقد اضحوا امام الغزو الجديد وانصاره من
الصلبيين شبه اقلية او غرباء بعد ان كانوا هم اصحاب الامر والنهي
فى البلاد وهم الحكام والامراء واصحاب النفوذ منذ ان فتحت مدينة
دمشق ومعظم الشام على عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب عام ١٤هـ /
٦٣٥م (٤) .

موقعة عين جالوت ونتائجها :

ولما كانت مصر منذ فجر التاريخ هى تاج العلاء فى مفرق الشرق
فقد تعين عليها ان تحمل درع الدفاع عن منطقة الشرق الاسلامى كله .
فنواصل ارسالها لتصد ذلك الخطر الجديد حيث تم للترفتح بلاد الشام
حتى اطراف غزواخلبل وبركة وزراء والصلت (٥) .

(١) Guyard : un grand maitre. P. 52 - 53

(٢) ابوالمحاسن النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٦

(٣) Runciman: A Hist of the crusades vol .III (٣)
P. 307 - 308

(٤) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ١٠١

سيد امير على
مختصر تاريخ العرب ص ٤٦ - ٤٧
Huart: Hist des Arabes Tome I.P. 234

(٥) المقرئى السلوك ج ١ ص ٢٥٤

وكان ان تصدى ممالك مصر للمغول ، نأزّلوا بهم هزيمة
كبيرة في موقعة عين جالوت ، في رمضان المعظم عام ٦٥٨ هـ
(سبتمبر عام ١٢٦٠ م) . واستطاع السلطان قطزان يردهم على
ادبارهم ويطردهم من بلاد الشام الذي حقق لدولة المماليك
الناشئة مكانة كبرى ، فضلا عن سيطرتها على بلاد الشام ، مما اعاد
للوحدة بين مصر والشام تحت زعامة صلاطين المماليك (١) .

وبهزيمة المغول في عين جالوت وفرار من سلم من القتل والاسر
في بلاد الشام عادت قلاع الاسماعيلية التي كان قد استولى عليها
هولاكو في بلاد الشام الى حوزة الحكم الجديد (٢) . وكان التتار لما
ملكوا الشام سلم الاسماعيليون ايهم اربع قلاع من هذه القلاع . فلما
كسروهم المظفر قطز عادت الاربعة قلاع اليهم فتسلمها رئيسهم وقتل اصحابه
الذين سلموها للتار (٣) . وفي الواقع استطاع المغول في فترة وجيزة
السيطرة الكاملة على بقاع واسعة من الاراضي الاسلامية في فارس و
العراق والشام . وعليه فلم يبق خارج حكمهم في الجانب الشرقى
الا الديار المصرية والحجاز واليمن (٤) . وعلى اثر هزيمة كثيفا فسي

(١) د . سعيد عاشور العصر المماليكى في مصر والشام ص ٣٤ — ٣٧

السلوك ج ١ ص ٤٣٣

تاريخ مصر ج ٢ ص ٦٨

النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٨٧

(٢) المقريزى

(٣) ابن ميثم

(٤) ابو المحاسن

عين جالوت اراد هولاء ان جدد الكرة على بلاد الشام فيرسل جيشا جارا ينتقم لموت قائده (١) . ولكن ظروفه لم تكن تسمح بذلك الخلافات التي طرأت على البلاط المغولي عقب وفاة منكوقان الاخ الاكبر لهولاءكو (٢) . فضلا عن ذلك فان كل محاولاته لغزو الشام مرة اخرى بلغت بالفشل . ويرجع ذلك الى ان " الدولة كانت قد تغيرت والسوا عد قد شمرت وعناية الله بالشام واهله قد خصلت " (٣)

وبذلك نجت دولة المماليك في مصر من خطر احدثق بها . وكانوا قد امتلات قلوب اهل الافاق رعبا منهم ، ولم يحدث احد نفسه بان يمكن لقاءهم الى ان انتصر الله للمسلمين بهذه الطائفة من التورك الذين هم عسكر مصر . فانهم اسقطوا هيبتهم من القلوب (٤) . والواقع فقد انقذت معركة عين جالوت الاسلام والمسلمين من خطر فاق في ضراوته الخطر الصليبي الذي دهم الاراضي الاسلامية من قبل (٥) . فضلا عن ذلك فانها جعلت الدولة المماليكية في مصر والشام من اعظم القوى الى سيطرت على مقدرات الامور في منطقة الشرف الاوسط مدة تقرب من قرنين او تزيد حتى قيام الدولة العثمانية (٦)

- (١) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٤١
 (٢) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٣١٧
 Runciman: A Hist of the crusades Vol. III.
 P ٣١١
 (٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٢٢
 (٤) ابن واصل مفرج الكروب ج ٤ ص ٣٢٨
 (٥) د . سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٣٧
 (٦)

ترتب على انتصار مصر المماليكية في عين جالوت امران على
درجة كبيرة من الاهمية • اولهما القضاء على البقايا الايوبية ففى
بلاد الشام على الاطلاق^(١) • وثانيهما وهو ما ترتب على اولهما هو
عودة الكيان المصرى الشامى فى دولة واحدة من جديد • ولكن
هذه المرة تحت حكم المماليك^(٢) •

وبناء عليه فقد تعين على المماليك اصحاب النفوذ الجدد فى
تلك البلاد ان يواجهوا خطرين كل منهما اشد واعنف من الآخر •
فاما الخطر الصليبي فقد تحدد موقف المماليك منه على اثر انتصارهم
على المغول فى عين جالوت • فاستطاعوا تقليص اظاهر الصليبيين
بالاستيلاء على حصونهم • الحصن تلو الحصن • وكانت البداية عندما
استولى الظاهر بيبرس — الذى تولى امر السلطنة اثر مقتل قطز —
فى يوم السبت خامس عشر ذى القعدة عام ٦٥٨ هـ — ٢٢ اكتوبر عام
١٢٦٠ م^(٣) • على انطاكيه فى الرابع من شهر رمضان المعظم عام
٦٦٦ هـ — ١٨ مايو عام ١٢٦٨ م ثانى انماليك الصليبية فى بلاد الشام^(٤)
كما اعقب ذلك استيلائه على عدة حصون كانت على جانب كبير
من الاهمية^(٥) •

-
- (١) د • سعيد عاشور الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ٢٢٣—٢٢٤
(٢) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٣٨
(٣) المقرئى السلوك ج ١ ص ٤٣٥
Grousset: Hist des croisades Vol. III. P. 607-608
(٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٥١—٢٥٢
ابن المحاسن النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٤٣
(٥) ابن الوردي تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٢١٩
(٤) د • سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٤٩—١١٥٢

الظواهر البيبرسي والاسماعيلية :
=====

اما لاسماعيلية فقد تمثل خطوهم في الانتحالات الخطيرة
التي اقدموا عليها كلما واتتهم فرصة للانتقام من غريمهم . والمعروف ،
انهم شكلوا طبقة مرهوبة الجانب ظلت تلعب دورا خطيرا في
بلاد الشام ابان الجرب الصليبي بتحالفتهم مع الصليبيين احيانا ،
واحيانا اخرى مع السنين من المسلمين . وظلوا كذلك حتى كان عهد
الظواهر بيبرسي ، فخطبوا وده . فقدمت رسل دار الدعوة
بالهدايا — وهو على الكرك عام ٦٦١ هـ ١٢٦٣ م — فاحسن اليهم
وعادوا ^(١) . وكان الظاهر بسيس قد استقل مع مطلع العام ٦٦١ هـ
١٢٦٣ م . بجميع الشام ومصر وصفت له الامور ^(٢) . الا ان ذلك لم
يمنعه من النظر في امرهم . ففرض عليهم شرائب عرفت بالحقوق
الديوانية وذلك على الهدايا التي ارسلها الانبرور والبرنس صاحب
طرابلس وبعض ملوك الفرنج ^(٣) . وذلك رسول ملك اليمن السلطان
المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول عام ٦٤٧ هـ — ٦٩٩ هـ
١٢٥٠ — ١٢٩٥ م ^(٤) . الى الاسماعيلية في بلاد الشام طلبا لودهم او وقاية

السلوك ج ١ ص ٤٨٧

البفاية والنهاية ج ١٣ ص ٢٣٣

السلوك ج ١ ص ٥٤٤

السلوك ج ١ ص ٥٥٣

(١) المقریزی

(٢) ابن كثر

(٣) المقریزی

(٤) المقریزی

من شرهم وقد اقبل بيبرس على ذلك . افسادا لنواميس الاسماعيليه وتعجيزا لمن اكتفى شرهم بالهدايا . (١) . وحتى يشعروا بالتبعيه المطلقة للسلطان الجديد وانه لا مفر من ذلك .

كذلك اقبل بيبرس على خطوة هامة على اثر حرب صفـر وافتحها اياها في ثامن عشر موال عام ٦٦٤ هـ — ٢٣ يوليو عام ١٢٦٦ م والتي اوسع فيها الدوايه والاستتاريه قتلا ونهبها حيث امر السلطان بضرب رقابهم عن اخرهم (٢) . وعليه فقد عقد هدنة مع فرسان الاستتارية ونجم عنها القضاء على هويتهم ونفوذهم في المنطقة . فاشترط عليهم الاقلاع عن الاستمرار في اخذ الاتاوات من الحشيشيه واصحاب حماه وشيرز وفاميه (٣) . حدث ذلك عقب استيلائه على هونين وتبين والرملة (٤) . حيث قدم عليه رسول الاستتاريه في ذى القعدة من تلك السنة يطلب اليه عقد صلح معه فانتهز بيبرس تلك الفرصة فاملى شروطه اولا : فلا احب الا بشرط ابطال مالكم من القطيعه على بلاد ابي قبيسس وهي ثمانمائة دينار ، وقطيعتكم على بلاد الدعوة وهي الف ومائتا

- | | |
|--------------------|---|
| (١) المقریزی | السلوك ج ١ ص ٥٤٣ |
| برنارد لويس | الدعوة الجديدة ص ١٣٩ |
| (٢) ابن كثير | البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٤٦ — ٢٤٧ |
| (٣) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥٧ — ١١٥٨ |
| (٤) د . سعيد عاشور | الايوبيون والمماليك في مصر والشام ص ٢٤٧ |

دينار ومائة مد حنطه وشعير نصفين (١) . فاجاب الاستتاريه السى
ابطال ذلك (٢) . وما لاشك فيه فان الظاهر بيبرس نجح فيما فشل
فيه الاسماعيليون انفسهم في محاولاتهم العديدة لاعفائهم من الجزية
التي كانوا يدفعونها للاستتاريه او الداويه والتي تحالفوا بسببها مع
عورى صاحب بيت المقدس اولويس التاسع من قبل دون ما فائدة .

وبذلك اصبح الاسماعيليون — فيما عدا بعض القلاع مثل المنقة
التي رفضت الخضوع للسلطان حوالى ثلاث سنين الا بعد حرب ضارية
بين الفريقين (٣) . خاضعين بطريف مباشر لسلطان الظاهر بيبرس .
وبناءً عليه فقد تعين عليهم ان يدفعوا له ما كانوا يدفعونه من جزية
للاستتاريه (٤) . فترتب على ذلك ان بدا الالتحام العملى بين السلطان
والاسماعيلين مباشرة ونعتقد ان الاسماعيلين رحبوا بذلك فى بادىء
الامر . فقد وصلت رسلتهم الى مصر فى جمادى الآخرة عام ٦٦٥ هـ —
فبراير عام ١٢٦٧م يحملون الجزية . لبيت مال المسلمين لينفق
فى المجاهدين (٥) . وكانوا يحملونه من قبل قطيعه وجزية للصليبيين

-
- | | |
|-------------------------|--------------------------------|
| (١) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٥٥٠ |
| برنارد لويس | الدعوة الجديدة ص ١٣٨ |
| (٢) د . جمال سرور | دولة الظاهر بيبرس ص ٩١ |
| (٣) فصل من اللفظ الشريف | س ١٣٣ |
| (٤) الذهبى | دول الاسلام ج ٢ ص ١٧١ |
| | Guyard: Un grand maitre . P.54 |
| (٥) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٥٥٧ |

ليكون عوناً لهم على حرب المسلمين فيما بعد ، وليعود اليهم على هيئة رماح وسهام تغمد في صدورهم ونيران حارقة تهدم حصونهم فصاروا يحملون القطيعة للملك الظاهر لقيامه بالجهاد في سبيل الله (١)

وفي ذلك الدور اقدم الاسماعيلية على عمل خطير بالنسبة للصليبيين وان كان المسلمون قد افادوا منه فائدة عظيمة . ذلك ان الفدائيه اغتالوا زعيماً كبيراً من زعماء الصليبيين في بلاد الشام وهو فيليب مونتفرات يوم السبت الموافق ٢٧ من ذى الحجة عام ٦٦٨ هـ (١٦ اغسطس عام ١٢٧٠ م) (٢)

والواقع ان مصرع هذا الرجل كان خسارة فادحة لبنى جنسه لانه كان هو الرجل الوحيد الذي تمتع بشخصية بارزة وقوية يمكن اعتمادها عليها عندئذ . كما انه كان احد الدعائم الاساسية التي قويت بها الجبهة الصليبية في بلاد الشام . وكان هيو الثالث خاكم ارمينيا الصغرى قد استماله عن طريق المصاهرة بزواج اخته من حنا بن فيليب المذكور لتقوى بذلك اواصر المودة بينهم ، ولتنعكس اثارها الطيبة على تقوية جبهة صومعنا الصليبية ضد بيبرس (٣) . ولكن اغتياله

- | | |
|--------------------|----------------------------|
| (١) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٥٥٢ |
| (٢) د . زيادة لويس | حملة لويس ص ٢٥٣ |
| | الدعوة الجديدة ص ١٣٠ |
| (٣) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥١ |

اضاع احلامهم وقضى على امال هيو . فتمكن بيبرس من الاستمرار فى
الاستيلاء على بعض الممتلكات الصليبية فى الشام . مثل حصن مافينثنا
من الداوية فى شهر رجب عام ٦٦٩ هـ (فبراير عام ١٢٧١ م) (١) .
ثم الاكراد من الاسبتارية فى رمضان عام ٦٦٩ هـ (ابريل عام ١٢٧٢) (٢)
كما انه استولى على عكا من الاسبتارية ايضا فى رمضان المعظم عام
٦٦٩ هـ (مايو عام ١٢٧١ م) (٣) . وقد اتهم بيبرس بالتدبير لقتله
عن طريق حلفائه الاسماعيليين (٤) .

على ان بيبرس نفسه لم يامن مكر الاسماعيليين ، فى الوقت الذى
كان فيما يبدو يخشى باسهم وكان رسول الاسماعيلية قد قدم على
السلطان بدمشق عام ٦٦١ هـ يتعهدونه ويتوعدونه ويطلبون منه اقطاعات
كثيرة (٥) . لذلك تعين عليه ان يحدد موقفه منهم فيعمل على استئصال
شافتهم ويستولى على بلادهم . وعلى ذلك ، فلم يكد يجمع له حكم
مصر والشام وحلب (٦) . حتى نجد " يقدم بكل قوة على خطة فريدة لم
يسبقه اليها حاكم من قبل . فعزل مقدمهم نجم الدين حسن بن الشعراني

النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٥٠
دولة المماليك البحرية ص ٦٣
الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥٢

(١) ابو المحاسن
(٢) د . سعيد عاشور
(٣) د . سعيد عاشور

5) Runciman: A History of the crusades Vol. III. P. 333

(٥) ابن كثير البداية النهاية ج ١٣ ص ٢٣٩

(٦) ابن فضل الله العمرى التمرى ص ١٨٧

بسبب الرسالة التي بعث بها للسلطان وهو على حصن الاكراد في
جمادى الاولى عام ٦٦٨ هـ ديسمبر عام ١٢٦٩ م يطلب فيها تخفيض
الجزية التي يدفعها الاسماعيليون الى بيت المال ^(١) . وكان الظاهر
قد قرر عليه ان يحمل في العام مائة الف درهم ^(٢) . ولما لم يقبل
بيبرس ذلك منه امر على الفور بعزله وتولية صارم الدين مبارك بن الرضى
صاحب العليقة بدله منه ^(٣) . وكان قد وقع بين صارم الدين والسلطان
خلاف من قبل فسعى صاحباً صهيون للمباحة بينهما ففله السلطان
بلاد الدعوة استقلالاً واعطاه طبلخاناه وعزل نجم الدين حسن بن
الشعرانى وولده من نيابة الدعوة . وتوجه صارم الدين الى مصياف
كرسى بلاد الاسماعيليه في سابع عشر جمادى الاخره عام ٦٦٨ هـ وصحبته
جماعة لتقرير امره ^(٤) . وكان قد اشترط عليه ان تكون مصياف وبلادها
وعلى وجه الخصوص الكهف والخوابى والمنقه والعليقه والقدموس —
والرصافه للسلطان . كما ارسل صحبته نائبا عن السلطان بمصياف ^(٥)

-
- | | |
|--------------------|--|
| (١) د . سعيد عاشور | الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٥٨ |
| (٢) الذهبى | الايبويون والماليك في مصر والشام ص ٢٤٠ |
| (٣) د . سعيد عاشور | دول الاسلام ج ٢ ص ١٧١ |
| (٤) المقرئى | الظاهر بيبرس ص ٨٢ |
| (٥) د . سعيد عاشور | السلوك ج ١ ص ٥٨٦ — ٥٨٧ |
| | الظاهر بيبرس ص ٨٣ |

والواقع ان بيبرس لم يتتح بذلك ، وانما تطلع الى ان يخضع الاسماعيليين لسلطانه المباشر^(١) ولتكن مصر مقاما لهم بدلا من الشام وهذه خطوة اخرى جريئة . فمتابع عمله السابق الاشارة اليه بالاستيلاء على معاقلهم وحصونهم جميعا عام ٦٧٠ هـ / ١٢٧٢ م واقطعتهم بدلا منها بعض الاراضي في مصر^(٢) . ثم لم يمض عام ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م حتى سلمت الاسماعيليه ما كان بقى بايديهم من الحصون وهي الكهف والقدموس والمنبقة وعوضوا عن ذلك^(٣) . وكل هذه الاعمال ان دلت على شيء انما تدل على مدى قوة بيبرس الذي استطاع ان يخضع لسلطانه تلك الفئة العاتية . وبذلك انتهت امرهم في بلاد الشام^(٤) . حيث لم يدع مع الاسماعيليه شيئا من الحصون^(٥) . وقد نجم عن ذلك ان اقيمت الجمعة في بلادهم التي تركوها وترضى عن السحابة وعفيت المنكرات منها وظهرت شرائع الاسلام وشعائريهم^(٦) . فضلا عن ذلك فقد انكسرت شوكتهم " وكان الضرر على المسلمين وملوكهم منذ خرج ابن الصباح والى سنة بضع وعشرين وستمائة عظيما^(٧) .

العصر المالكي في مصر والشام ص ٦٣

دولة الماليك البحرية ص ٦٣

البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٦٤

دولة الظاهر بيبرس ص ٩٢

الظاهر بيبرس ص ٨٣

البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٧٥

السلوك ج ١ ص ٦٠٨

تاريخ مصر ج ٢ ص ٦٨

(١) د . سعيد عاشور

(٢) د . سعيد عاشور

(٣) ابن كثير

د . جمال سرور

(٤) د . سعيد عاشور

(٥) ابن كثير

(٦) المقرئ

(٧) ابن ميسر

وسبحان من يداول الايام بين الناس • فقد اتفق فـسـى
لك العام — حسب تعبير ابن كثير — وقوع امور عجيبة • ففسى
هذه السنة كانت الشام للسلطان الناصر بن العزيز • ثم في النصف
صفر صارت له ولا كونه ملك التتار • ثم في اخر رمضان صارت للمثـلفـسـر
نـلـز • ثم في اخر ذى القعدة صارت للظاهر بيبرس (١) •

لاسماعليه والبيت القلاوونى :

لكن وعلى الرغم مما قام به الظاهر بيبرس ضد الاسماعليه
قد كانت حصونهم لا تزال تتميز بمظاهر القوة والمنعة • ما هدد سلطان
لهماليك وشكل خطرا على نفوذهم في بلاد الشام • لفلـكـ تعين على
لسلطان المنصور قلاوون الذى تولى السلطنة عام ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م
ان يسير على نمط بيبرس (٢) • فوضع في اعتباره ان بلاد الاسماعليه
لا بد ان تكون في حوزته عند اى اتفاق مع الجانب الاخر من الحكومات
الصليبية • فاشترط في هدنته المحقودة بينه وبين مقدم الاستتاريه
وامارة طرابلس في المحرم عام ٦٨٠هـ ابريل عام ١٢٨١م (٣) • ان تكون
مصياف وملادها وحصون الدعوة وما اشتملت عليه من البلاد والقلاع
وهي القدموس والكهف والمنبقة والخوابي والرصافه والقلية والعليقة
ضمن ما تخضع للسلطان دون منازع (٤) •

- | | |
|--------------------|---|
| (١) ابن كثير | الهداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ |
| (٢) د • سعيد عاشور | العصر المماليكى في مصر الشام ص ٦٧ |
| (٣) د • سعيد عاشور | الايوبيون والمماليك في مصر والشام ص ٢٥٧ — ٢٥٨ |
| (٤) المقرئى | السلوك ج ١ ص ٩٧٥ — ٩٧٦ |
- يلاحظ ان قلعة الخوابي طالت قائمة حتى هدمت عام ٨١٩هـ •
فصارت اثرا بعد عين المقرئى : السلوك ٣٧٣/٤ •

والواقع ان قلاوون ومن خلفه افادوا من فداويه الاسماعيليه
 فيحدثنا ابن بطوطه انه زار قلاع الاسماعيليه • وقد اوضحها لنا بانها
 القديس المنبقة ، الحليقه ، مصياف الكهف وهذه الحصون لطائفه
 يقال لهم الاسماعيليه ويقال لهم الفداويه (١) • كما اضاف ابن بطوطه
 قائلا : ولا يدخل عليهم احد من غيرهم ، وهم سهام الملك الناصر (٢)
 ومما هو جدير بالذكر ان السلطان الناصر محمد بن قلاوون استعان
 بهم في الانتقام من اعدائه • كما انه خصص لهم مرتبات مغرية نظير
 ذلك • يدل على ذلك ما ذكره ابن بطوطه من انه اذا اراد السلطان
 ان يبعث احدهم الى اغتيال عدوله اعطاه دينه • فان سلم بعد
 تاتي مايولد منه فهي له ، وان اصيب فهي لولده (٣) •

وهكذا استطاع الاسماعيليون ان يستعيدوا شيئاً من نفوذهم من
 جديد بعد ان اضمحل ذلك النفوذ على عهد بيبرس •

تم بتوفيق الله تعالى

-
- (١) ابن بطوطه
 (٢) هو الناصر محمد بن قلاوون : ابن بطوطه • نفس المصدر والجوهر
 والصفحة
 (٣) ابن بطوطه
 تحفه النظار ج ١ ص ٦١ •

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- البخارى : ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ٢٥٦ هـ
-
- صحیح البخارى ٦ اجزاء القاهرة ١٣٨٦ هـ
- مالك بن انس ١٧١ هـ
-
- الموطا : بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى
جزءان القاهرة ١٣٥٦ هـ
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم
وضع محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٩٧٢
- ابن الاثير : على بن احمد ٦٣٠ هـ
-
- الكامل فى التاريخ ١٢ جزء القاهرة ١٣٠٣ هـ
- التاريخ الباهر فى الدوله الاتاكيه
تحقيق عبد القادر احمد طليمات القاهرة ١٩٦٣
- اسد الغابه الجزء الاول القاهرة ١٩٦٤
- تحقيق محمود فايد واخرين
- الارهاى : عبد الرحمن سنهط قنيتو ٧١٧ هـ
-
- مختصر الذهب المسبوك
تحقيق مكى السيد جاسم بغداد ١٩٦٤

- الإشعري : أبو الحسن علي بن إسماعيل ٣٣٠ هـ
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين
- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد جزآن القاهرة ١٩٥٠
- إسماعيل بن منقذ ٥٨٥ هـ
- كتاب الاعتبار
- تحقيق برنستون القاهرة ١٩٣٠
- الأصفهاني : العماد الكاتب ٥١٩ - ٥٩٧ هـ
- الفتح القسي في الفتح القدسي
- تحقيق محمد محمود صبح القاهرة ١٩٦٥
- ابن أبي إسحاق : محمد أحمد البصري ٩٣٠ هـ
- بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣ أجزاء القاهرة ١٣١١ هـ
- البدليسي : شرف خان القرن العاشر هـ
- شرفنامه جزآن
- ترجمة محمد علي عوضى مراجعة د . يحيى الخشاب القاهرة ١٩٦٢
- ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن عبد الله ٧٧٩ هـ
- رحلة ابن بطوطة
- البغدادى : أبو منصور عبد الله ٤٢٩ هـ
- الفسرقي بين الفرق

القاهرة ١٩٦٣

تحقيق محي الدين العربي

— البنداري : الامام الفتح بن علي بن محمد

القاهرة ١٩٠٠

كتاب دولة سلجوق

— ابن بهالار (محمد بن احمد ت ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ م)

مخطوط بدار الكتب

فتوح النصارى تاريخ ملوك مصر جز'ان

رقم ٢٣٩٩ تاريخ

— ثابت بن سنان و (ابن العديم)

تاريخ اخبار القرامطة

بيروت ١٩٧٢

تحقيق د . سهيل زكار

الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م

بيروت ١٩٧٢

رسائل الجاحظ

— ابن جبير : ابو الحسن بن احمد الكثاني ٩٦٤ هـ

بيروت ١٩٧٠

رحلة ابن جبير

— جعفر الحاجب

سيره جعفر الحاجب

القاهرة ١٩٣٦

تحقيق ايفانوف — مجلة كلية الاداب

— جعفر بن منصور اليمنى (الداعي)

كلكتا ١٩٥٢

كتاب الكشف
نشر — ز — ستروطمان

— ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ٥٩٧ هـ

— المنتظم في تاريخ الملوك والامم ١٠ اجزاء حيدر ابا د
الدكن ١٣٥٩/٥٧ هـ

— تلبيس ابليس

تحقيق محمد منير الدمشقي القاهرة ١٩٢٨

— الجويني : أبو المعالي عبد الملك امام الحرمين ٤٢٩ / ٤٧٨ هـ

— لمع الادلة في قواعد عقائد اهل السنة والجماعة
تحقيق الدكتور فوقيه حسين محمود القاهرة ١٩٦٥
مراجعة د . محمود الخضيرى

— الجيلاني : علي بن فضل الله

— التوفيق بالتطبيق

تحقيق د . محمد مصطفى حلمي القاهرة ١٩٥٣

— ابن حزم : أبو محمد علي بن احمد ٤٥٦ هـ

— الفصل في الملل والاهواء والنحل ٤ اجزاء القاهرة ١٣٢٧ هـ

— ابن حيون : القاضي النعمان محمد بن منصور احمد التميمي ٣٦٣ هـ

جزءان

— داعثم الاسلام

القاهرة ٦٣ - ١٩٦٥

تحقيق ناصف فيظي

- تأويل الدعائم ٣ اجزاء
تحقيق محمد حسن الاعظمي القاهرة ١٩٢٠
- رسالة افتتاح الدعوة
تحقيق د . داود القاضي بيروت ١٩٢٠
- كتاب الهمم في اداب اتباع الائمة
تحقيق د . محمد كامل حسين القاهرة
- الحمدى اليماني : محمد بن مالك بن ابي القضايل
- كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة
نشر عزت المطار القاهرة ١٩٣٩
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن علي ٨٠٨ هـ
- المقدمة القاهرة ١٣٠٥ هـ
- العبرود يوان المهتدا والخبر ٧ اجزاء القاهرة ١٣٠٥ هـ
- ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد ٦٨٠ هـ
- وفيات الاعيان ٦ اجزاء
- تحقيق محمد محيي الدين العربي القاهرة ١٩٤٨
- الدواداري : ابو بكر بن عبد الله بن ابيك
- كنز الدرر وجامع الزهر الجزء السادس
تحقيق د . صلاح الدين المنجد القاهرة ١٩٦١

الدهلوى : شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوى

- مختصر التحفة الاثنى عشرية

القاهرة ١٣٨٧ هـ

تحقيق : محب الدين الخطيب

الديلمى : محمد بن الحسن

- بيان مذهب الباطنية وبطلانه

استنبول ١٩٣٨

نشر . ز . ستروطمان

الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد ٧٤٨ هـ

جوان

- دول الاسلام

تحقيق فهم محمد شتلوت ومحمد مصطفى ابراهيم

القاهرة ١٩٧٤

سبط ابن الجوزى : شمس الدين ابن المظفر يوسف بن قزاوغلى ٦٥٤ هـ

- مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان

الجزء الثامن
حيدرآباد الدكن
١٩٥٢/٥١

السمرقندى : النظامى العروضى

- جہار مقالہ

القاهرة ١٩٤٩

ترجمہ د . عبد الوهاب عزام

السيوطي : الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر ٩١١ هـ

— تاريخ الخلفاء — القاهرة ١٣٠٥

— حسن المحاضرة — جزآن

تحقيق محمد ابراهيم ابوالفضل القاهرة ٦٨/٦٧

ابوشامه : شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن ٦٩٦ — ٦٦٥ هـ

— كتاب الروضتين في اخبار الدولتين جزآن — القاهرة ١٢٨٨ هـ

ابن شداد : القاضي بهاء الدين بن شداد ٦٣٢ هـ

— النوادر السلطانية —

تحقيق د. جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٦٤

الشهرستاني : ابوالفتح محمد ٥٤٨ هـ

— الملل النحل — ٣ اجزاء

تحقيق عبد العزيز الوكيل القاهرة ١٩٦٧

الشيرازي : المؤيد في الدين داعي الدعاء هبة الله

— سيرة المؤيد —

تحقيق د. محمد كامل حسين القاهرة ١٩٤٩

— ديوان المؤيد —

تحقيق د. محمد كامل حسين القاهرة ١٩٤٩

ابن طباطبا : محمد بن علي ٧٠١ هـ
الفخرى في الاداب السلطانية
القاهرة ١٣٣٩ هـ

الطبرى : محمد بن جرير ٢٢٤ - ٣١٠ هـ

- تاريخ الرسل والملوك الجزء الثالث
تحقيق ؟ محمد ابراهيم ابوالفضل
القاهرة ١٩٦٠
ابن العبري : غريغوريوس الملقى ٦٥٨ هـ

- تاريخ مختصر الدول
ابن العديم : كمال الدين عمر بن محمد ٦٦٠ هـ
بيروت ١٩٥٨

- زبدة العلب في تاريخ حلب ٣ اجزاء
نشر د . سامي الدهان
دمشق ١٩٤٥
- سيرة راشد الدين سنان
نشر د . برنارد لويس

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)

- الحركة الصليبية جزآن
القاهرة ١٩٧١
- العصر المملوكي
القاهرة ١٩٦٥
- مصر في عصر دولة المماليك البحرية
القاهرة ١٩٥٩
- الظاهر بيبرس
القاهرة ١٩٦٣
- مصر في العصور الوسطى
القاهرة ١٩٧٠
- قبرس والحروب الصليبية
القاهرة ١٩٥٧

- اللابيون والماليك في مصر والشام القاهرة ١٩٧٠
- شمسية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية (بحث في المجلة
التاريخية مجلد ١٦ لسنة ١٩٦٩)
- سامي نسيب مكارم (دكتور)
أضواء على مسلك التوحيد بيروت ١٩٦٦
- المغربى :
- ظاهرة تعاظم الحشيش
إسماعيل الكاشف (دكتور) القاهرة ١٩٦٢
-
- مصر في فجر الاسلام
مصر في عصر الاخشيديين القاهرة ١٩٤٧
القاهرة ١٩٥٠
- أمير على
- روح الاسلام جزآن
- ترجمة د . أمين الشريف مراجعة د . محمد . مصطفى زيادة
القاهرة ١٩٦١
- مختصر تاريخ العرب
ترجمة منير البعلبكي بيروت ١٩٧٠
- سميد محمد العزاوي
- فرقة النزاهة . على ضوء المصادر الفارسية القاهرة ١٩٦٨

- الشبيبي : كامل مصطفى (دكتور)
القاهرة ١٩٦٩ - الصلة بين التصوف والتشيع
صباحي : احمد محمود (دكتور)
القاهرة ١٩٦٩ - نظرية الامامية لدى الشيعة الاثني عشرية
طه حسين (دكتور)
القاهرة ١٩٧٠ - القته الكبرى
طه شرف (دكتور)
القاهرة ١٩٥٠ - التزاوية اجداد افغان
عارف تامر
بيروت ١٩٥٥ - الامامة في الاسلام
عبد النعيم حسنين (دكتور)
القاهرة ١٩٥٤ - نظامي التجري
القاهرة ١٩٧٠ - سلاجقة ايران والعراق
عمر ابو النصر :
بيروت ١٩٧٠ قلعة الموت
فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور)
بيروت ١٩٧٠ - المغول في التاريخ

ف. بارتولسد

- الحضارة الاسلامية

القاهرة ١٩٥٢

ترجمة حمزة طاهر

فيليب حسنى (دكتور)

بيروت ١٩٦١

٣ اجزاء

- تاريخ العرب

كرستوفر دوسن

- تكوين اوربا

القاهرة ١٩٦٧

ترجمة د. سعيد عبد الفتاح عاشور

ل. ا. سيديو

- تاريخ العرب العام

القاهرة ١٩٦٩

ترجمة عادل زعيتر

لسترنجسج

- بلدان الخلافة الشرقية

بغداد ١٩٥٤

ترجمة بشير فرنسيس واخر

لويس (برنارد) - دكتور

- الدعوة الجديدة

دمشق ١٩٧٠

ترجمة د. سهيل زكار

متز : آدم

- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى

القاهرة بدون

ترجمة د . محمد عبد الهادي ابوريده

محمد حسن الاعظمي

القاهرة ١٩٧٠

- الحقائق الخفية

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

القاهرة ١٩٤٤

- اصل الشيعة واصولها

محمد جمال الدين سرور (دكتور)

القاهرة ١٩٥٧

- التقوى الفاطمي في بلاد الشام

القاهرة ١٩٥٨

- دولة الظاهر بيبرس

محمد مصطفى زيادة (دكتور)

القاهرة ١٩٦١

- حملة لويس التاسع على مصر

محمد كامل حسين (دكتور)

القاهرة بدون

- (طائفة الاسماعيليه)

القاهرة ١٩٦٠

- طائفة الدروز

- الحياة الفكرية والادبية بمصر من الفتح العربي حتى آخر

القاهرة ١٩٥٩

الدولة الفاطمية

محمد كرد علي

دمشق ١٩٢٥

- خطط الشام ج ١ ٢ ٥ ٦

محمد مختار باشا

- التوفيقات الالهامية في مقارنه التواريخ الهجرية
بالسنين الافرنكية والقبطية
بولاقي ١٣١١ هـ

محمد يحيى الهاشمي (دكتور)

- الامام الصادق
حلب ١٩٥٨

مصطفى غالب

- تاريخ الدعوة الاسماعيليه
دمشق ١٩٥٣
— سنان راشد الدين
بيروت ١٩٧٠

سامي نسيب مكارم (دكتور)

- اضواء على مسلك التوحيد
بيروت ١٩٦٦

مكسيوس فونرود

- كتاب الحروب المقدسية في المشرق
اورشليم ١٨٦٥

ميشيل لباد

- الاسماعيليون بمصيف
دمشق ١٩٦٢
— دائرة المعارف الاسلاميه
الترجمة العربيه

Browne: Edward G.

A literary Hist. of Persia

Vol.I. London 1919.

Defremery.

Essai sur L. Hist. des Ismaelionse ou
Batinions de La perse.

Grousset: Rone

Hist. des croisades.

III Tomes.

Gustave. E. Von. Grunobaum.

Medieval Islam.

Chicago. 1953

Guyard. S.

Un Grand Maitres des Assassins au Tomp de
Saladin. Paris 1874.

Huart. Cl.

Hist. des Arabes.

II Tomes. Paris 1912, 19

King. Colonel.

The Knights Hospitallers in the Holy Land.
London 1931.

Le Strange. Guy.

Palestine Under the Moslems from A.D. 550-
1500.

London 1890

Lewis: Bernard.

Saladin and the Assassins.

Assassins of Persia. Rome 1971

The Original of Ismailism. London 1941.

Polo: Marco.

Travels. London 1931.

Runciman.

A Hist. of the Crusades.

III Vols. Cambridge

1951-1954.

Sykes.

Hist. of Persia.

II Vols. London 1915.

W. Ivanow.

Studies in Early Persian Ismailin

Loiden. 1948.

Riso Rise of The Fatimids Calcuta 1942.
Kalami Pir. Bombay 1935.
A Guide To Ismaili Lit. London 1933.
OXFORD DICTIONARY. Oxford 1969.

=====

